قراءات فى
الكتب المقدسة

تأليف
عبد الرحيم محمد

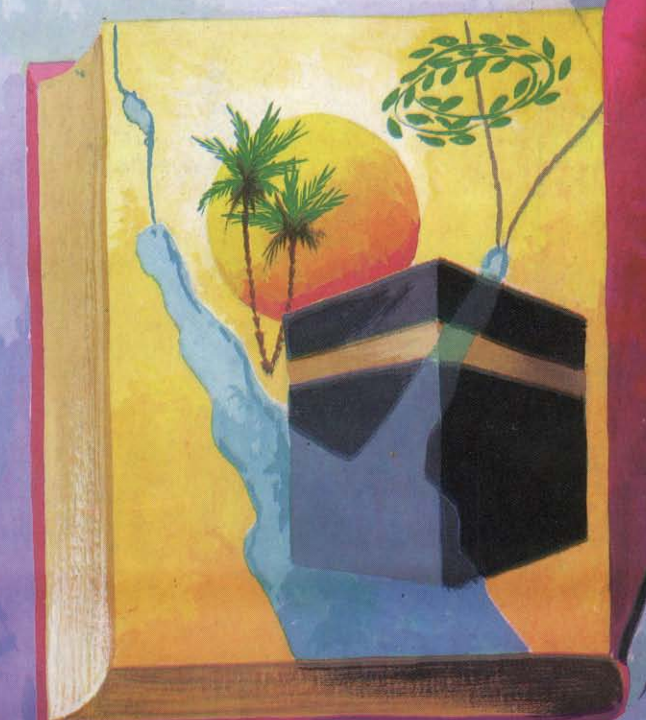

الجزء الثانى

العهد الجديد

(أ) مقدمة : علاقة العهد الجديد بالعهد القديم:

تطلق كلمة العهد الجديد علي الأناجيل الأربعة التى كتبها متى ومرقس ولوقا ويوحنا وما تلا ذلك من أعمال الرسل ورسائل لبولس وغيره ومختتمة برؤيا يوحنا اللاهوتى .

ويعتبر العهد الجديد مكملا للعهد القديم لأن المسيح جاء استمراراً لتعاليم موسى وناموسه وهو وإن عدَّل بعض الأحكام أو أضاف أو حذف فإن هذا لا يعنى التخلى عن العهد القديم كله فكلاهما جزء من الكتاب المقدس الذى يتلوه ويؤمن به جميع المسيحيين- ولا أعلم أحداً منهم طعن فيه بالتحريف أوالرفض أو أنه ليس من عند الله.

وإن كان اليهود ينقسمون كما قلت سابقا إلي عبرانيين يقرون اسفار العهد القديم السبعة والأربعين وسامريين لايقبلون منها غيرالاسفارالخمسة الأولى وهى التوارة إلا أن المسيحيين جاءوا على أثر المسيح الذى أقر منهج العبرانيين وحسب قولهم أقر منهج العبرانيين وشذ عن ذلك الارثوذ كس وحدهم فقد قبلوا من العهد القديم تسعه وثلاثين سفرا ورفضوا ثمانية - مثل يهوديت وطوبيا وغيرها وقبلت الطوائف الأخرى من كاثوليك وبروتستانت تلك الكتب.

أما اليهود أنفسهم فإلى جانب تلك الاسفار فإن لديهم التلمود وأقوال الأحبار ويعتبر اليهود ما يكتبه مجمع الأحبار فى مستوى كلام الله ويرتفع كلامهم إلي مستوى التشريع السماوى وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله تعالى س﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**﴾ .

ورأى اليهود فى العهد الجديد معروف فهم لا يعترفون بنبوة المسيح أصلاً ويقولون فيه وفى مريم بهتانا عظيماً.

أما المسيحيون فقد اعتمدوا اعتماداً كبير علي أسفار العهد القديم التوراة والأنبياء

لأخذ البشارت الدالة على نبوة المسيح والاستدلال علي صدق معتقداتهم- ويقول المسيح فى متى ٥ / ١٨«ما جئت لأنقض بل لأكمل وإنى والحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل» والناموس هوتعاليم موسى عليه السلام والعهد القديم أى أن المسيح أتي مكملا لاناقضالماسبقه من تعاليم وشرائع وأكد على استمرار واحترام الناموس متى ٥ /١٩[فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس ذلك يدعى أصغر فى ملكوت السموات].

ولكن هذا لايمنع بالطبع من أن المسيح أدخل بعض التعديلات والإضافات على العهد القديم فمثلا يقول فى متى ٥ / ٣١ [وقيل من طلق امرأتة فليعطها كتاب طلاق- أما أنا فأقول لكم من طلق امرأتة إلالعلة الزنا يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى] وهذا تعديل صريح وإلغاء لحق الرجل فى الطلاق أو الزواج من مطلقة وقد يكون التعديل بالإضافة لا الحذف فمثلا يقول [سمعتم أنه قيل للقدماء لاتقتل ومن قتل يكون مستوجب لحكم وأما أنا فأقول لكم- من يغضب على أخية باطلا يكون مستوجب الحكم] متى ٥ / ١.

. بمعنى من قتل يقتل- أما المسيح فقد أضاف معنى آخر عميقا لهذا الخطيئة وهو أن الغضب وهو أولى المقدمات لتلك الجريمة مجرد الغضب على أخ تجمعك به رابطة العقيدة يعتبر إثما يسجل فى صحيفتك عند الله وهذه إضافه لاحذف. ووصايا المسيح بعد ذلك فى جملتها مواعظ أخلاقية تدعو إلي التسامح والإخلاص والزهد في الدنيا وعدم التكالب عليها وقد بالغ فى بعض الأحيان مبالغة قد توهم البعض بأنه إلغاء للناموس فمثلا يقول فى وصاياه [سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن أما أنا فأقول لكم لاتقاومواالشربالشر من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضا ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين] متى ٥/ ٣٨.

فلا يمكن أبداً أن نفهم من هذا أنه ألغى حق القصاص- ولكنه أضاف على المستوى الفردى حكمة أخرى تقول أن الإنسان عبدٌ للإحسان وأن المعاملة بالحسني تأسر الأخ

والصديق والتسامح أبلغ أثراً وفعالية من التشدد ولكن هذا لايمكن أبداً أن يكون إلغاء لحق القصاص فيفقأ أحدهم عين أخية ثم يذهب بغير عقاب أوأن القاتل لا يقتل وإلا لتحولت المجتمعات إلي الفوضى- ولكان ذلك إفساداً لا إصلاحاً للبشرية - فمن الناس من لا يجدى معه الأحسان ومن المجرمين من يغرية التهاون فيتمادى فى غيه فهل تعطل قوانين الدول وتترك بغير نظام يحمى أموالها وأرواحها؟ ليس من المقبول أن يتصور أحد ذلك فهذه نصيحة للوعظ علي المستوى الأخلاقي- هذا مجرد تحذير ثم أضيف كلمات المسيح [لايزول حرف ولا نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يعد أصغر فى ملكوت السموات] فالناموس قائم بقوانينه ونظمه ومعتقداته ويضاف إليه أنه من استطاع أن يكبت غيظة ويسامح أخاه ويتنازل عن حقه فهو أقرب إلي الكمال أما إن طالب بحقه- فلا يملك القاضى إلا أن يقيم العدل حتى لا تفسد الأرض فهو دواء كثرته مثل نقصه يضر ولايفيد ونظرا لأن المسيح جاء رعية للدولة الرومانية وليس مؤسسا لدولة سياسية فإنه لا يستيطع أن ينفذ هذه القوانين من تلقاء نفسه فهي من مهام الدولة الرومانية حتى لايتهم بأنه يحاول أن يقيم دولة داخل الدولة- فهو لا يستطيع مثلا أن يقيم أحكام التوراة ومنها رجم الزانى - فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يستطع أو يأذن له الله بإقامة الدولة إلا بعد أن قضى مرحلة الدعوة وأتم شرح مبادئها واستقر له القرار فى المدينة وأمكن الله له فيها- ثم أخذ بالحدود- بخلاف المسيح الذى لم تستقر له الأمور أبداً حتى رفعه الله فلا نستطيع أن نطالبه بما فوق طاقته أو بأقامة الحدود كامله كما جاءت فى التوراة فتلك مرحلة أكثر تطورا من مجرد ا الدعوة إلي الدين- وإقامة دولة مسيحية يتطلب أولا الانتشار الكافى وعدداً من المؤمنين يكون قادراً علي الاضطلاع بهذه المهمة وبعد الأنتشار تكون مهمة الناس ومسئوليتهم عن تطبيق الحدود وهذه مسأله مرحلية بالطبع- و قد كان اليهود خيرمن فهم تلك الحقيقة فأتوه بزانية وسألوه مايفعلون بها- وهم يعلمون حكم التوراة فيها والمسيح يعلمه- ولكن الهدف

الحقيقى من السؤال هو إحراج المسيح- فهل يأمر برجمها؟ وما موقف الدولة لو فعل ذلك؟ وأين سلطانها؟

كان الهدف الخبيث هو الأيقاع بين الدولة الرومانية والمسيح وقد كان يحلولهم أن يطلقوا علي المسيح «ملك اليهود» حتى يقنعوا الحاكم الرومانى بأنه يريد ملكا ويوغروا صدرره عليه. وعلم المسيح خبث مقصدهم فقال لهم بلباقة البارعة يوحنا ١٨ / ٨ [من كان منكم بلا خطيئة فليلقها بحجر] فهو إذا لم يلغ حد الرجم- ارجموها ولكن إن كنتم أخبث منها مقصدا وأبعد مكرا وأكثر كفرا برسالة المسيح نبى الله فكيف تنصرون حكم الله وأنتم خطاة تلك لقطة دبلوماسية بارعة للمسيح ومرة أخرى أرادوا أن يوقعوا به فسألوه متى ١٥/٢٢ [حينئذ ذهب الفريسيون لكى يصطادوه بكلمة وقالوا أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبث مقصدهم فقال لماذا تجربونني يامراءون أرونى معاملة الجزية فقدموا إليه ديناراً فقال لمن هذه الصورة والكتابة قالوا لقيصر فقال أعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله] وبهذه الحكمة البارعة كان يسوس الأمورو هذايجب إلايقودنا إلي أن المسيح ألغى أحكام الناموس بل وقتها لتوقيتهاالصحيح.

***

العهد الجديد وكلام الله عز وجل

(ب) يقصد بالعهد الجديد- الأناجيل الأربعة ثم أعمال ورسائل كما قلنا سابقا ويبلغ مجموع صفحاتها ٤٣٢ منها ثمان وثلاثون وهى رؤيا يوحنا اللاهوتى.

والأناجيل فى شكلها العام لا تزيد عن كونها كتبا من كتب السيرة للمسيح مولده وحياته ومعجزاته ومواعظة ثم رفعه ثم تلاها أعمال الرسل أوما فعله الحواريون من أجل مواصلة حمل الرسالة- ونقلها والتبشير بها ثم رسائل لبولس تمثل رحلة حياته وتنقلاته ومواعظة وآراءه بتفصيل طويل ثم مقتطفات ضئيلة من تلاميذ المسيح بين أو مع تلك الرسائل- ثم ختمت كما قلنا برؤيا يوحنا اللاهوتى والتى سوف نفرد لها جزءا خاصا من هذه المناقشة أو الحوار.

وتختلف الروايات حول تاريخ تدوين هذه الكتب فليس هناك تاريخ حاسم أو دقيق لكل منها ولكنها تواريخ تقريبية غير متفق عليها. وأقربها للمسيح متى حوالى سنة ٤٠م أربعون ميلادية وأبعدها عن المسيح يوحناما بين ٩٠ إلي ١٠٦ ميلادية- كتبت بعض هذه الرسائل مثل متى بالآرا ميه واختفت النسخة الأرامية لمتى ووجدت ترجمة لهاوالمترجم غير معروف وأترك الحديث عن الأصول فهو موضوع قديم مايزال كثيرمن الجادين يبحث هذا الموضوع ثم أعود لما هو أهم فى نظرى وهو ما هو علاقة العهد الجديد بأناجيلة ورسائلة بالخالق عز وجل؟

يزعم رجال الدين المسيحى أن العهد الجديد من عند الله عز وجل والحقيقة أنه لايوجد في داخل الكتاب ونصوصة باستثناء بعض الايحاءات في رؤيا يوحنا اللاهوتى وسوف نتحدث عنها عقب هذا الحديث باستثناء رؤيا يوحنا التى تمثل أقل من عشر هذه الاسفار (٣٨ صفحة من ٤٣٢) لايوجد فى الكتاب ما يشير من بعيدا أو قريب لهذا المعنى فلم يذكر متى أو غيره أنه قد تنزل عليهم وحى أو ملاك مثلا أو أن الله عز وجل قد خاطبهم بطريق مباشر فقد اختفت الجملة التقليدية التى اعتدنا أن نراها فى صفحات العهد القديم « وكان كلام الله عز رجل إليّ قائلا أو وكان كلام الله

عز وجل إلى ناثان أوداود أو دانيال الخ هذه العبارة قد اختفت تماما ولم تحدد اوترسم تلك الكتب نوع علاقتها بالسماء أو تدعى ذلك أصلا. علما بأن معظم كتبة العهد الجديد مثل لوقا (إنجيله وأعمال الرسل) أو مرقس (انجيله) أوبولس. لم يكونوا من الحواريين أوتلاميذ المسيح الذين عهد اليهم بمهمه التبليغ والدعوة أما متى- فلا تدرى أى متى هو؟ وأما يوحنا- فقد حدث لغط كثير حول علاقته بيوحنا تلميذ المسيح الذى تظن دوائر المعارف وتعتقد أنه مات شهيدا مثل أخيه يعقوب فى وقت مبكر من تاريخ الدعوة ومن ثم لم يشهد كتابة تلك الكتب التى نسبت إليه مثل رسائله وإنجيلة وبشكل خاص رؤياه- ولا شك عند دوائرالمعارف في أن الصورة النهائية علي الاقل التى ظهربها أى من هذه الكتب لم يصله علم بها - وتقول تلك الدوائر أن الرؤيا بشكل خاص يعتقد أنها من صنع أحد التلاميذ في القرن الثانى أقصد تلاميذ مدرسه كانت تسمى بمدرسة الألفيين. ولابد من حدوث خلط فى الأسماء بين يوحنا التلميذ ويوحنا آخر.

يستند المسيحيون فى ادعائهم أن هذه الكتب من عند الله إلى جملة قالها بولس فى رسالته إلى تيموثاوس الصديق العزيز لبولس [وإنك تعرف منذ الطفولية الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك بالخلاص بالايمان الذى فى المسيح. كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم] الرسلة الثانية ٣/ ١٥.

والحقيقة أن العبارة بهذا الوضع واضح أنها تشير إلي العهد القديم بأسفاره المختلفة وذلك لأن طفوليه تيموثاوس وكذلك بولس التى تشير إليها العبارة لم تشهد أو تعرف غير العهد القديم أما العهد الجديد الذى حاولوا أن يدرجوه تحت هذه العبارة فلم يكن حتي كتابة بولس لسطوره هذه قد كتب: أو دون بعد أواتفق علي أسفاره فالكتاب المقدس بوضعة الحالى لم يتم الاتفاق علي أناجيله وجمعه إلا في وقت حدث بعد بولس بزمن كبير وكيف يقصد ذلك ورسالته نفسها سوف تصبح فيما بعد جزءا من هذا الكتاب؟ وكيف يسوغ لإنسان أن يعتبر الرسائل الخاصة للأصدقاء التى كتبها

بولس وآخرون يعبرون فيها عن تجاربهم الخاصة وإحساسهم بالفرح والألم ورحلاتهم كلها من عند الله؟.

إن كتبة الأناجيل أنفسهم لم يكن يدور بخلدهم أبداً أن ما يكتبون سوف يصبح يوما ما دستوراً للمسيحية وكتابا لها – وظهرت هذه الكتب فى بداية الأمر بالسريانية تحت أسم كاروزونا أي مواعظ ثم تحول الإسم فى اليونانية إلي كلمة إنجيل وكانت هذه الأناجيل فى مجموعها لاتقل عن أربعين إنجيلا ومائه رسالة كانت موعظة وسيرة وتاريخا حتى لا تندثر فتره هامة من تاريخ المسيحية- فلما أحرقت كتبْ كثيرة وضاعت فى دوامة الاضطهادات ولم يبق غير هذه الكتب واتفقت مع اهواء الحاكمين بعد أن دمروا ما سواها. أصبحت تلك الكتب بإقرار مجمعاتهم هى مرجع المسيحية وسميت بهذا الاسم وكيف وبأى حق يكون لنا أن ندعي أن تلك الكتب من عند الله وكتبتها انفسهم يصرحون بما لايقبل الشك بغير ذلك.

لوقا ١ / ١ بداية إنجليه..

[إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إليناالذين كانوا من قبْل معاينين وخدًاماللكلمة رأيت أنا أيضا– وقد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب إليك علي التوالى أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به]وهكذا يعترف لوقا منذ البداية ويصرح أنه كتب هذا الأنجيل من عنده هو طبقا لما وصله من معلومات ومنه نستنتج أن ١– أن كثيرين غيره قد كتبوا مثل هذه الكتب وأنه يكتب أسوة بهؤلاء وهذا يوضح كثرة عدد الأناجيل فى بداية الأمر.

٢ –أن ما كتبه هو قصة مجرد قصة كغيرها حول الأمور المتيقنة بمعتي سيرة المسيح ولم يطلق اسم إنجيل على هذا الكتاب

٣ –أنه رغم تيقنه من صحتهاإلا أنه لم يشهدها أو يعاينها بنفسه وانما تسلمها من الجيل السابق الذين حضروا وعاينوا وكانوا خداما للكلمة أى الذين رأوا المسيح وشهدوا رسالته.

٤–لم يحدد لنا بالضبط من هم الذين نقل عنهم أو أسماءهم ومدي أهليتهم لكى ينقل عنهم كلا ما خطيرا كهذا– وهل هم صفوة أم كثيرون كذلك.

٥–لم يحدد لنا منهج التدقيق الذى لجأ إليه لتمحيص الحقيقة والوصول إليها .

٦– أنه يكتب هذا الكلام كرسائل متتالية إلي صديقه ثاوفيلس ليعلم صحة الكلام الذى وصل إليه (إلي لوقا) ويضيف ذلك إلي معلوماته عن ذلك التاريخ.

وفى مقدمة لوقا لأعمال الرسل التى كتبها يكرر ويؤكد ذلك المعنى مرة ثانية فيقول اعمال ١ / ١ [الكلام الأول (الأنجيل) الذى أنشأته (قمت بتاليفه) ياثا وفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلمه إلي اليوم الذى ارتفع فيه بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم] وليس منهم لوقابا لطبع .

وواضح من هذه الديباجة أنه يشير إلى الكلام الأول الذى أنشأه وهوانجيل لوقا. الذى حكى قصة المسيح وحياته حتى رفعه ووصيته لتلاميذه أن يواصلوا الدعوة وكلا الرسالتين إلى ثاوفيلس صديقه العزيز الأولى فى مطلع إنجيلة والثانية في الأعمال حيث يواصل تاريخ الدعوة علي يد الرسل وتلاميذ المسيح.

ونحن نسأل بأى حق يكون لبولس الذى لم يؤمن للمسيح في حياته أو يجلس إليه ساعه أو يتلقى عنه أى حديث بل كان عدوا لدودا للمسيح والمسيحية حتى آخر لحظات المسيح ثم واصل خط العداء بعده وقتل استيفانوس واستمتع بمشهد رجمه وهو يسلم الروح هادئا مطمئنا كيف يصبح له الحق هو وتلميذيه المخلصين لوقاومرقس أن يبتلعا النصيب الأكبر من العهد الجديد برسائله المطولة وآرائه وكيف أصبحت تعاليمه العمود الفقرى للأيديولوجية المسيحية. وكيف سهل علي الناس أن يتقبلوا ببساطه منقطعه النظير رؤياه دون مناقشة جادة وأين دور التلاميذ الذين وكل اليهم المسيح أمانه الدعوة والتبليغ وقال إنهم يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر يوم القيامة.

ونحن هنا نناقش العهد الجديد ونسبته إلي الله عز وجل والإطارالعام لذلك بشرط أن يكون صادراً من كتبه الإنجيل أنفسهم وليس ممن أتوا بعدهم بقرون طويله وأن

يكون ذلك بلفظ صريح .

أما المضمون أو محتويات هذه الكتب- وهل يتفق مع كمال الله عز وجل وكمال الرسالة والمنطق السليم والعقل ثم أمانه النقل والدقه فيه المضمون في حقيقة الامر لانناقشة بل نتركة للقارىء يرى فيه ما يشاء.

(جـ) رؤيا يوحنا اللاهوتي :

ينسب إلي يوحنا ثلاثة أعمال (ولست أدرى هل هو نفس يوحنا في الثلاثة أم اكثر من شخص بهذا الاسم) أولها إنجيله- ثانيها- رسالتين باسمه ثالثها رؤياه والتى تستنفذ الجهد الأكبر فى هذا الجزء .

وفى العمل الأول وهو عمل طويل لم يشر الكاتب فى أى جزء من ذلك العمل أو يثبت وجود علاقة مباشرة بينه وبين المسيح فمثلا لم يقل أبدا قال لى المسيح كذا أو سألت المسيح عن كذا أو سمعت المسيح يقول كذا أو رأيته يفعل كذا.. ومن الصعب تصور تلميذ من تلاميذ المسيح يعايشه ويتتلمذ علي يديه سنوات ويؤثره كما تقول الأناجيل علي غيره من التلاميذ دون زلة لسان أو قصة أو حكاية واحدة تثبت تواجدهما معا في مكان واحد يوما ما لم يحدث ذلك بالنسبة لماورد فى إنجيل يوحنا ولم يحدث كذلك فى متى وهما الاسمان المتشابهان مع تلاميذ المسيح فهل هو يوحنا آخر .. وبالطبع لم يحدث ذلك خلال الرسالتين والرؤيا فهاتين العملين الأخيرين رسائل ورؤيا لاعلاقة لهما بحياة المسيح. ومع ذلك يصر رجال الدين المسيحي أنه تلميذ المسيح الحبيب وهو ادعاء ينقصه الدليل .

أما ما تقوله دوائرالمعارف الأمريكية حول هذا الموضوع ودوائر المعارف لاتمثل كاتبا معينا ولكنهاتمثل وجهة نظر أمة وتاريخ والجانب الحضارى من هذه الأمة فعلى سبيل المثال فإن دائرة المعارف الامريكية في جزء ١٦ص ١٥٥- العمود الأيمن- كتب تحت اسم القديس جون الانجيلى أواللاهوتى يقول [قال ايرانيوس وهو معاصرلبوليكرتس أن جون كتب إنجيلة في جزيرة أفسس في القرن الثالث الميلادي

وأنه كان منفيابجزيرة بطمس- ولابد أن ايرانيوس قد خلط بذلك بين يوحنا الرسول ويوحنا صاحب مدرسة متأخرة لانه من الواضح أن يوحنا الرسول كما في الفصل ٢١ المضاف (وهذه كلمة دائرة المعارف) يتضح أنه مات كشهيد بنفس الاسلوب كما حدث لأخية يعقوب- ثم تتساءل- هل من الممكن أن يكون الرسول قد كتب الرسالتين ولكن يبدوا أنه من غير المحتمل أن تكون الصورة النهائية قد أتت بعلم الرسول نفسه- وكثير من الدارسين (والكلام لدائرة المعارف) يعتقدون أن الانجيل والرسالة قد جاءت من أحد المدارس الفكرية- ثم تتساءل هل من الممكن أن يكون التلميذ قد كتب الرؤيا؟ هذا الافتراض يبدو أبعد احتمالا ولاشك أن المؤلف يعود إلي مدرسة فلسفية في بداية الكنيسة المعاصرة (الألفيين)-

ثم أعود لمناقشة الرؤيا من داخلها كما اعتدت أن أفعل .

تبدأ الرسالة فى ١ / ١٠ [كنت في الجزيرة التى تدعى بطمس- كنت فى الروح في يوم الرب وسمعت ورائى صوتا عظيما كصوت يوق قائلاأنا هو الذى تراه- اكتب وأرسل الى السبع كنائس التى فى آسيا» ويستمر الحديث اكتب إلي ملاك كنيسة افسس ٢ / ٢ وقد جربت القائلين أنهم رسلاً وليسوا رسلا فوجدتهم كاذبين ٢ / ١٨ [يقول ابن الله الذى له عينان كلهيب نار ورجلاه مثل النحاس النقى...

وفى ٥ / ٦ [رأيت فإذا وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح وله سبعه قرون وسبعه أعين هى سبعه أرواح الله المرسلة إلي كل الأرض] وفى إصحاح ٤ [وأمام العرش سبعة مصابيح نار مشتعله هى سبعه أرواح الله وحول العرش حيوانات مملوءة عيونا والأربعة لكل واحد منها ستة أجنحة..].

ثم تتجة الرسالة بعد الخيال الزاخر إلى الهجوم على الكنائس السبعة التى فى آسيا- واحدة بعد الآخرى- والتهديد بانتقام من السماء. والرسالة كما نرى تمتلىء بالخيال والرمزية وهى محاكاة للرؤيا التى رآها حزقيال وأن كانت رؤيا حزقيال لم تزد فى صورها الرمزية عن إصحاح واحد ثم هبطت إلي أرض الواقع أما رؤيا يوحنا فتستمر

على هذا المنوال حتى نهاية السفر ويحار القارىء هل هى رؤيا يقظان أم نائم والأغلب أنها رؤيا استغراقية تصوفيه- رمزية ويبدو أن هدفها هو القاء الرعب فى قلوب كنائس آسيا التى قال عنها بولس كما سيأتى [كل الذين هم فى آسيا ارتدوا عنى] فهى فى رأيي محاولة لرد الاعتبار لبولس وتهديدهم بأنهم ابتعدوا عن الله بخلافاتهم مع بولس ولكن الجديد هو تهجمها الشديد علي أرض الأرجاس في بابل وهى أرض بختنصر الذى شرد يهود وتقديمها لأورشليم على أنها تأتى يوم القيامة كجنة الخلد للبشر بأسوارها الاثنى عشر طابقا. واثنى عشر بابا- وهذا هوالرقم المفضل لإسرائيل دائما فالأسباط اثنى عشر والتلاميذ اثنى عشر ثم حجز السفر مكانا خاصا فى الجنة لبنى إسرائيل لكل سبط اثنى عشر ألفا وهوالرقم المفضل مرة أخرى .. ومن الأمم خلق كثير- أما النار فهى بحيرة من نار كبريت يلقى فيها الأشرار- ثم تأتى صورة الموتة الأولى وتتوالى الصورالرمزية كالحيوانات ذات الآعين الكثيرة والخروف ذو السبعة قرون وسبعة أعين هى سبعة أرواح الله- رمز لغضب الله علي سبعة كنائس وارساله النذرلهم والخروف المذبوح وهو فى العادة يكون رمزا للمسيح وصلبة وهو رمز للحمل الوديع والبراءة والطهر من ناحية ورمز للفداء من ناحية أخرى ولكن من الصعب الاسترسال فى تفسير الرموز حتى لو أمكن تفسير بعضها- فالوحش والتبين رمز لابليس وسلطانه أما حكم القديسين والألف عام فهى رمز كما قلنا للبشارة التى بشر بها جبريل ملاك الرب في متى مريم بأن يحكم المسيح على بيت يعقوب وربما عجزت عن التفسير- فكل ما أراه أنها محاولة استغراقية لإيجاد هذه العلاقة وربما كانت الرؤيا بشكل عام تداركا للحلقة المفقودة بين الله والعهد الجديد من ناحية ورد الاعتبار لبولس ومبادئه وأفكاره من ناحية أخرى

ومهما كان الامر فما تزال الحلقة ناقصة لبعدها الكبير عن الواقع وتشبثها بالخيال من ناحية ولموقف دوائر المعاف من كاتبها من ناحية أخري-

* * *

(٢) الأنجيل

قلنا من قبل أن لوقا كتب فى مقدمته أن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصة تلك القصص التى سميت فيما بعد أناجيل بلغ عددها حسب أغلب الأقوال أربعين وكانت تسمى أول الأمر كاروزونا أو مواعظ ثم دارت الأيام دورتها فأقر البابوات منها ما أعجبهم وما اتفق مع أيديولوجيتهم ومفاهيمهم ورفضواالأعتراف بألاناجيل الأ خرى وكان كل بابا يحرم عددا منها - يحرم تداولها وقراءتها ويدعو لإحراقها وكانت المراسيم البابوية تحدد ماهو مسموح به وما هو محرم. وجاء اسم إنجيل يرنابا من بين الأناجيل المحرمة التى حرمها البابا جلاسيوس في القرن الخامس-

وفى هذا الفصل أحب أن أسأل إذا كنا قد عرفنا إنجيل متى ومرقس ويوحنا ولوقا واختفت أناجيل أخرى بأسمائها- فأين انجيل المسيح من بين هذه جميعا؟ ربما يقول البعض أن هذا لم يحدث وأن هذه هى الأناجيل وحدها فأقول أن قارىء إنجيل مرقس ورسائل بولس علي سبيل المثال الذى يقرؤها بتمعن يدرك تمام الإدراك أنه كان هناك إنجيل- وهو الإنجيل الذى تشير إليه هذه الكتب أوالرسائل وتعرفة بالألف واللام علي اعتبار أنه الإنجيل وماعداه ليس بإنجيل وتنسبه مرة إلى الله ومرة إلى يسوع ومرة إلى الأبن ولم تنسب أنجيلاً واحداً أبداً إلي متى أو مرقس أو آخرين مشيرة بذلك إلي أنه في حقيقتة إنجيل واحد لا أناجيل إنجيل واحد نزل من عند الله فهو انجيل الله ونزل علي المسيح أو يسوع فهو انجيل يسوع أو الابن كما يطلقون عليه وهكذا معرفا بأل ومنسوبا إلي الخالق مرة والرسول مرة أخرى وسوف أورد هنا فقرات عديدة كنموذج لذلك

(١) مرقس ١ / ١٤ «وبعد ما أسلم يوحنا وجاء يسوع إلي الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل

(٢) [وابتدأ بطرس يقول ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فأجاب يسوع الحق أقول لكم- ليس أحد ترك بيتا وإخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولاد أو حقولا

٤ / ١٢ [ولكن ان كان إنجيلنا مكتوما فإنما هو مكتوم فى الهالكين].

١١ / ٧ [بشرتكم مجانا بإنجيل الله].

إلي غلاطية ١ / ٧ [غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولو أنجيل المسيح].

تسالونيكى ٢ / ٢ [جاهرنا فى إلهنا أن نكلم بإنجيل الله] الثانية إلي تسالونيكى ١ / ٨ [لايطيعون إنجيل ربنا] وهكذا تتكرر عشرات المرات الإشارة إلى انجيل الله عز وجل وإنجيل المسيح أو الإبن أو إنجيل ربنا وليس ثمة ولومرة إلى إنجيل متى أو مرقس فلم يكن أى من هذه الأناجيل قد ولد بعد. فهل كان المسيحيون فى ذلك الزمان بغير إنجيل والا فما هو الإنجيل المشار إليه والمعمول به قبل كل تلك الأناجيل؟

هذا ما نؤمن به إنجيل الله والمسيح أو يسوع- إنجيل واحد لا أربعة ولاأربعين نزل من عند الله وكان موجودا في الحقبة الأولى الذهبية للمسيح وتلاميذة ومتعارفا عليه ومعمولا به فيا ترى أين ذهب الآن؟

***

(٣) أين يهوذا ؟

(أ) تحكى لنا الأناجيل أن الرومان عندما أرادوا القبض على المسيح بحثوا عن دليل يدلهم على شخصه ومكانه– وقام اليهود برشوة يهوذا فأخذ جند الرومان ومشاعل ثم باغتوا المسيح وقبضوا عليه.

أما بعض الروايات الاسلامية فتقول إن الله عز وجل أنقذ المسيح والقى بشبهه على الذي جاء يريد القبض عليه فوقع فى الفخ الذى نصبه للمسيح ونفذ فيه الحكم قصاصا عدلا من الله أما المسيح فقد رفع إلى السماء.

روايتان متناقضتان

ولو أن الرواية الإسلامية خاطئة لكان من المنطقى جداً أن نرى يهوذا الخائن يحيا بعد المسيح ليقبض ثمن الخيانة وينال قربا ورفعه من سادته .كان من الطبيعى أن يتمتع بالحياة طولا وعرضا فما هو حظه من الآخرة بعد أن خان النبى وأسلمه إلى أعدائة ؟ هل يتمنى إبليس شيئا غير أن تمتد الحياة فلا تقوم الآخرة أبداً؟

والذى يتتبع الأحداث يحس كما لو أن الكاتب عجزأن يجدا مكانا للبطل وأسهل طريقة للتخلص من شخصية متعبة لايجد لها الكاتب مكانا هو الموت .

الرواية الإسلامية تقول إن المسيح لم يصلب بدليل أنه لقى تلاميذه على الجبل بعدها ورفع أمامهم بعد أن رأوه ولمسوه.

والتعليل لوجوده على الجبل مختلف بيننا وبينهم نحن نقول إن المسيح لم يصلب أصلاً وأن الذى بحثوا عنه بين الأموات كان فى الحقيقة بين الأحياء وأخطأوا طريق البحث وماكان الله ليترك نبيه يضيع بين يدى يهود أما المسيحيون فيرون أنه قام من الأموات وإذا كان أحد قد علم حقيقة الأحداث فلاشك أنهم خاصة المسيح وخاصة تلاميذه– ولم يكن كتبة الأناجيل من خاصة الخواص وما وصلهم من الأخبار هو ما وصل العامة عن طريق الرومان– وعامة الناس وما شاع عن طريق الرومان فما كان

أحد من العامة ليجرؤ على أن يقول إن الرومان عجزوا عن الوصول إلي المسيح وأن الله أن انقذه من يد هؤلاء ذلك قول سوف يحدث زعزعه للدوله والنظام ويهز هيبتها ومكانتها وهو شيء لن يسمح به الرومان ولا يمكن أن يكون الذى أرادوه غير الذى قبضوا عليه- فضلا عن ذلك فإن عدد المؤمنين بالمسيح يوم رفعه لم يكونوا يزيدون بحال على المئات- دخل بعدها إلي المسيحية ألوف وألوف ممن صدقوا قول الرومان ومن شاع بينهم ما سمعوه من رجل الشارع.

لقد اتفق متى وأعمال علي اختفاء كل من المسيح ويهوذا معا فى وقت واحد فكانت النهايتان معا- وهذا أمر يدعو للريب فإذا كان يهوذا قد قتل فأين المسيح ؟ وإذا كان المسيح قد قتل فأين يهوذا ؟ سؤال لاشك أنه حيرالجماهير وحار معهم كتاب الأناجيل فجاءت الآجابات متضاربة بغير دليل ولاذ كثير من الأناجيل بالصمت الرهيب حول هذا الموضوع.

انجيل متى ٢٧ / ١ [ولما كان الصباح تشاورجميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلي بيلاطس البنطى الوالي حينئذ رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين فندم ورد الثلاثين من الفضة إلي رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا- قد أخطأت أذا سلمت دما بريئا . قالوا وماذا علينا أنت أبصر فطرح الفضة وانصرف ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانه لأنها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء حينئذ تم ما قيل بأرميا النبى وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن].

هذه قصة متى ويلاحظ فيها أولا اتفاق موعد النهاية والموت بين المسيح ويهوذا منعا للحرج فبينما أوثقوا المسيح ودفعوه إلي بيلاطس ينتظر نهايتة رد يهوذا الفضة وخنق نفسه.

وهكذا ببساطة منقطعة النظير وفى ثلاث كلمات لا أكثر تخلص الكاتب من مصدر القلق- (مضى وخنق نفسه- بغير رتوش) أوتفاصيل فمن أين يجد التفاصيل وأسدل

الستار نهائيا حول هذه الشخصية وأغلق بابا أمام السؤال الحرج اذا كان المسيح قد صلب فأين يهوذا؟ وهكذا يرى متى أن يهوذا قد تيقظ ضميره فجأه بعد أن سلم المسيح إلى الهلاك إلى الحد الذى جعله يبحث عن حل واهندى إليه هو أن يخنق نفسه. مثل هذا الآثم الذى أسلم نبيا إلي الهلاك مقابل ثمن بخس هل له ضمير حى بهذا الشكل؟ ثم هل هذا هوطريق الصلح مع الله؟ الانتحار ؟ وإذا كان الصلح مع الله مستحيلا فلما ذا يتعجل هلاكة الابدى؟

أمور عجيبة . أما الأعمال فلها حول هذا الموضوع رواية أخرى: ١/١٥ [قام بطرس وسط التلاميذ وكانوا عدة أسماء نحو مائة وعشرين معه فقال أيها الأخوة الرجال كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلا للذين قبضوا علي يسوع إذ كان معدوداً بيننا وصار له نصيب في هذه الخدمة فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط علي وجهة انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها وصار ذلك معلوما عند حميع سكان أورشليم حتى سمي ذلك المكان حقل دم لأنه مكتوب فى المزامير ليصير داره خرابا] وهكذا أيضا وبغير تفاصيل للنهاية المفجعة ليهوذا يحكى لوقا نقلا عن بطرس أن يهوذا .

(١) اقتنى أى اشترى حقلا من أجرة الظلم أى من ثمن الدم والخيانة بالفضة التى حصل عليها.

(٢) أنه سقط علي وجهه فانشق من الوسط وانكسبت احشاؤه كلها ودعى المكان حقل دم وصدقت المزامير قوله.

فالأول صدقه إرميا والثانى صدقته مزاميروهكذا ورغم التحفظ الشديد أتى لوقا بنهاية أخرى أشد عجبا فهل رأيتم شخصاً سقط فانكسبت أحشاؤة كلها وأدى ذلك إلي انشطار كامل – الأول مات خنقا والأخر انشق من الوسط.

وهكذا برغم الكلمات المختزلة جداً وعدم إعطاء أيه تفاصيل اختلفت الروايتان اختلافا بينا – فالأول ندم وأحس بالندم. والثانى مات انتقا ما من الله الأول انتحر والثاني

أصابة حادث لقى فيه حتفه الاول طرح الفضة للكهنة وولى الفرار- الثانى اشترى بهذه الفضة حقلا من أجرة الظلم- الأول اشترى بالفضة مقبرة للفقراء والثانى اشترى حقلا لنفسه الأول صدقه إرميا والثانى صدقته مزامير ويصعب علينا أن نجد الحل بين الروايتين أما باقى الأناجيل فقد تفادت الخوض فى موضوع تنقصه التفاصيل المقنعة وبقى السؤال المحير بغير إجابة شافية وبقى التضارب فى الروايات قائما -.

بعد أن فرغت من الحديث عن يهوذا ومن الكتاب كله سقط فى يدى كتاب اسمه **المناظرة الحديثة فى علم مقارنة الأديان** جمعه وقدم له الدكتور أحمد حجازى السقا وقد استرعانا ما ذكره عن قصة يهوذا والصلب فأردت ألا أغفل ذكره والإشارة إليه هنا كمزيد من إبداء الرأى .

ذكر مؤلف الكتاب روايه الصلب كما جاءت فى انجيل برنابا من الصفحات ٢١٤، ٢١٧، ٧٩. وما ذكره المؤلف فى كتابه من الصفحات ٣ حتى ٣٦ هذا وقد ذكر الكاتب فى معرض حديثه أن إنجيل برنابا يعد واحداً من خمسة وسبعين عملاً تسمى أناجيل الأبوكريفا وهى الأناجيل المختفية أو التى أخفيت عندما حرم البابوات أنجيلاً بعد آخر اضطر أصحاب هذه الأناجيل والمؤمنون بها إلى إخفائها بطريقة ما بعيدة عن الأعين أو دفنوها لعله يأتى زمان وتظهر فيه إلى الوجود مرة أخرى مخافة أن يحرقها أعوان السلطة ويقول الدكتور السقا إنه وجد نسخة بالإنجليزية طبعت فى لندن ١٨١١ أى فى مطلع القرن التاسع عشر فى مكتبة كلية اللاهوت بالقاهرة وأنه قد أطلع عليها هناك وقد أورد أسماء الأناجيل والرسائل والأعمال الخمسة والسبعين - ولولا ضيق المكان لذكرتها جميعا ولكن لفت نظرى أن بها .

(١) أحد عشر عملا لبطرس تلميذ المسيح الذى قال له يوما [أنت تبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقدر عليها].

(٢) سبعه أعمال ليوحنا التلميذ الذى كان المسيح يحبه ويفضله على غيره من

(٣) اربعة أعمال لتوما واثنان لفيليبس تلميذى المسيح وثلاثة لمتياس الذى حل بالقرعة محل يهوذا الخائن وإنجيل برنابا المرشح الثانى بديلا ليهوذاً والذي جاء ذكره علي لسان لوقا فى الأعمال وكذلك جاء ذكره على لسان بولس..

(٤) وأعمال أخرى نسبت للمسيح وأخرى عن مريم.

أي أن معظم أعمال الآيوكريقا التى دمرت وبقي منها صفحات قليلة ظهرت فى تلك الكتب وهى من أعمال التلاميذ الكباروالرعيل الأول من تلاميذ المسيح الذين عاشو وتتلمذوا علي يديه وكانوا معاينين للكلمة ولاشك أننا فقدنا فى الطريق الكثير فمن الواضح من هذا الكتاب أن تلك الأناجيل ناقصة ومجرد صفحات قليلة من كل واحد منها هوالذى تم العثور عليه.

واعترفت الكنيسة بأعمال الرعيل الثانى الذى كتب نقلا عنهم أخرين بلسان الغائب وليس شاهد العيان- وهذا موضوع لا أحب الخوض فيه مرة أخرى غير أنى أقول إننى قبل قراءة الكتاب قد تساءلت في أجزاء متفرقة من بحثى هذا أين ما كتبه التلاميذ؟ وأكدت ثقتى فيهم لابد وأنهم سجلوا ودونوا وأدوا واجبهم كاملاً وإذا كان التاريخ قد ألقى ببعض الضباب علي أعمالهم فليس هذا ذنبهم عبرت عن ثقتى تلك قبل أن اقرأ شيئا عن أعمالهم ثم يأتى كاتب فى القرن التاسع عشر ليزيح الغبار عن بعض ما كتب هؤلاء الابرار هذه لفته ثم اعود سريعا عبر الأحداث لسرد قصة صلب المسيح أو يهوذا كما جاء على لسان يرنابا لأضعها بجانب الرويات الأخرى ليكون أمامنا الرأى والرأى الآخر ولإلقاء مزيد من الضوء حول هذه القصة محاولا الإيجاز فى بعض الأحيان وذلك من الجزء الذى ذكره الدكتور أحمد حجازى السقا ما بين ص ٣١ إلي ٣٦ في كتابه:

[خرج يسوع من البيت ومال إلي البستان ليصلى وكان معفر الوجه كعادته فى الصلاة-(وعرف يهوذا الموضع فذهب إلى رئيس الكهنة) - وطلب منه ثلاثين قطعة من الذهب ليدلهم على

مكانه فأرسل معه رئيس الكهنة فريسيا إلى الوالى هيرودس ليحضر جنوداً فأخذوا أسلحتهم وخرجوا بالمشاعل والمصابيح على العصى. ولما أحس المسيح بدنو جمع غفير انسحب داخل البيت كان التلاميذ نياما. وحينئذ أرسل الله الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أصعد منها يسوع وكان التلاميذ نياما فأتى الله بأمر عجيب فتغيريهوذا في الوجه والنطق وصار شبيها بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش ليرى أين كان المعلم فتعجبنا وأجبنا أنت ياسيد هو معلمنا أنسيتنا الآن؟ أما هو فقال مبتسما هل أنتم أغبياء حتى لاتعرفوا يهوذا الأسخربوطى؟ وبينما كان يقول هكذا دخل الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهورالجند هربنا كالمجانين.

وأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ساخرين منه وأجاب يهوذا لعلكم جننتم- إنكم اتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصرى كأنه لص أفتوثقونني أنا الذى أرشدتكم؟ وأمر رئيس الكهنة أن يؤتي بيسوع موثقا أمامه واستحلفه بإله إسرائيل الحى أن يقول الحق فأجاب «لقد قلت لكم إنى يهوذا الاسخربوطى الذى وعد أن يسلم إليكم يسوع الناصرى أما أنتم فلا أدرى بأى حيله جننتم لأنكم تريدون بكل وسيلة أن اكون أنا يسوع؟» وتكررالمشهد أمام الوالى الذى أدخل يهوذا إلى غرفته وقال له إن لدى سلطانا أن أطلقك فاصدقنى فأجاب- أنا يهوذا الاسخربوطى لا يسوع الذى هو ساحر فحولنى هكذا بسحره].

ويواصل الكتاب بعد ذلك حكايته عمالقية يهوذا من وسائل التعذيب والمهانه علي يد اليهود تارة وجند الرومان أخرى بما يفوق الحد حتى أنهم صلبوه عريانا مبالغة فى تحقيره وكلما أمعن فى الإنكار أمعنوا فى التعذيب- ولم يفعل يهوذا غيرالصراخ قائلا [ياالله لماذا تركتنى لأن المجرم قد نجا أما أنا فأموت ظلما] .

هذه رواية برنابا عن الصليب وهى تختلف بالطبع عما روته الأناجيل الأخري وأحب أن ابدى بعض الملاحظات البسيطة علي ذلك .

(١) أن القصة لأول مرة هى رواية شاهد عيان وهو الشىء الذى افتقدناه دائما في الأناجيل المسماة بالقانونية .

(٢) أن برنابا أسم معروف ورد فى الأناجيل كتلميذ عرفه المسيح.

(٣) أنه لو كان يهوذا حيا عند صلب المسيح لكان ترديد مثل هذا الكلام سخف لا معنى له ولكان ظهور يهوذا حيا إنهاءا لهذا السخف.

(٤) أنه لم يكن أمام اليهود والرومان سوى المبالغة فى التعذيب فاعترافهم بأن المقبوض عليه هو يهوذا- اعترف بالهزيمة واستسلام لها فلا بد من الانكار والتمادي فى ذلك .

(٥) ما الغريب في أن الله عز وجل ينقذ نبيه بمعجزة ويسقط الخائن فى الحفرة التى حفرها للنبى وهذا أليق بالنبى وبكمال الله عزوجل كما أنقذ إبراهيم من النار ومحمد من بين سيوف الكفار ؟.

(٦) أن الأناجيل وأعمال لم تقدم حلا منطقيا أوتتفق علي رواية دقيقة المعالم بل تضاربت أو سكتت .

وعلي العموم فهذه القصة أمامنا ليكون لدينا الرأى والرأى الآخر والعقل البشرى فى النهاية مناط التكليف.

***

(٤) نسب المسيح

(أ) إن أغرب قصة قدمها العهد الجديد بل الكتاب المقدس كله هى نسب المسيح وهى تصيب الانسان بالدوار كلما حاول أن يفكر فيها ويتساءل هل غاب ذلك كله عن المسيحية؟

إن هذا النسب يبدأ فى الأناجيل الثلاثة بالمسيح- ثم يوسف المدعو يوسف النجار وينتهى بداود عليه السلام ثم ابراهيم الخليل.. أي أن الأناجيل أصرت على أن المسيح ابن ليوسف النجار وهو شيء يصيب الإنسان بالذهول فكيف يرضى مسيحى يؤمن بالمسيح أن يردد مثل هذا الكلام أو يتفوه به؟ وليس لى أن اتعجل الكلام قبل أن أروى قصة مولده ونسبه فى السطور القادمة . متى اصحاح ١ / ١ بداية الانجيل وهو نسب تنازلى .

(١) كتاب ميلاد المسيح بن داود بن ابراهيم- ابرهيم ولد (أنجب) إسحاق وإسحاق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار فارص ولد حصرون وحصرون ولد آرام وآرام ولد عمينا داب وعمينا داب ولد نحشون ونحشون ولد سلمون وسلمون ولد بوعز من راحاب- وبوعز ولد عوبيد من راعوث وعوبيد ولد يسى ويسى ولد داود الملك- وداود الملك ولد سليمان من التى لأوربا- وسليمان ولد رحبعام ورحبعام ولد أبيا وأبيا ولد آسا ، وآسا ولد يهوشا فاط ويهوشا فاط ولد يورام ويورام ولد عزيا وعزيا ولد يوثام ويوثام ولد أجاز وأجاز ولد حزقيا وحزقيا ولد منسى ومنسى ولد أمون وأمون ولد يوشيا ويوشيا ولد يكنيا وأخويه عند سبى بابل- وبعد سبى بابل يكنيا ولد شاشتيل- وشاشتيل ولد زربابل- زبابل ولد ابيهود وابيهود ولد الياقيم والياقيم ولد عازور وعازور ولد صادوق- وصادوق ولد أخيم وأخيم ولد اليود واليود ولد اليعازر واليعازر ولد متان ومتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح].

ونظرا لأن النسب قد كتب تنازليا من الجد للأب ثم للأبن ثم الحفيد فسوف أعيد ترتيبه بالطريق الطبيعي من الابن للأب فالجد علي الطريقة المعتاده ليكون أقرب لفهمنا وحتى يسهل مقارنته بلوقا.

[يسوع بن يوسف بن يعقوب بن متان بن اليعازر بن اليود بن أخيم بن صادووق بن عازور بن الياقيم بن ابيهود بن زربابل بن شاشتيل بن يكنيان بن يوشيا بن أمون بن منسى بن حزقيا بن أجاز بن يوثام بن عزيا بن يورام بن يهوشافاط بن آسا بن أبيا بن رحبعام بن سليمان (مَن التى لأروبا) بن داود بن يسى بن عويد بن بوعز من (راعوث) بن سلمون من (راحاب) بن نحشون بن عمينا داب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا (من ثامار) بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم] عليه السلام.

أما ولادة يسوع فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف النجار وقبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها إذ كان بارابها ولم يرد أن يشهر بها أراد تخلبتها سرا وفيما هو متفكر إذا ملاك الرب قد ظهر له فى الحلم قائلا يا يوسف يا ابن داود لا تخف لأن تأخذ امرأتك مريم لأن الذى حبلت به فيها من الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع .

هذا نسب المسيح وقصة مولده فى متي ويلاحظ أنه قد حذف معجزة الميلاد التى ذكرها القرآن وكلام المسيح فى المهد دفاعا عن أمه مريم عليها السلام واستبدل بها رؤيا منامية- رآها يوسف النجار بعد أن أصابه الشك كما أصاب قومه وكان يفكر فى التخلى عنها سرا .. ثم انتقل إلي نسب المسيح فى لوقا.

(٢) إصحاح ٣ / ٢٣ [ولما ابتدأ يسوع وكان له نحو ثلاثين سنة وهو على ما كان يظن بن يوسف بن هالي بن منثات بن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن نحاى بن متاثيا بن متافيا بن شمعى بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل شالشتيل بن نيرى بن ملكى بن أدى بن قضم بن المودام بن عير بن يوسى بن اليعازار نوريم بن متثات بن لاوى بن شمعون بن يهوذا بن

يوسف بن يونان بن الياقيم بن مليا متيان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن آرام بن حصرون بن فارص ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم بن تارح بن ناحور سروج بن رعو بن فالح بن عابر بن شالح بن قيتان بن أرفكشاد ابن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن اخنوح بن يارد بن مهللئل بن قينان بن انوش بن شيت بن آدم- ابن الله].

ويلاحظ أن لوقا ذكر ليوسف آباء مختلفين عن متى فجعل يوسف ابن هالى ثم واصل شجرة أخرى تماما ما تنتهى بناثان بن داود على خلاف متى الذى جعل يوسف بن يعقوب ثم واصل حتى سليمان ابن داود ثم اتفق الاثنان فى الشجرة بعد داود- حتى ابراهيم ثم توقف متى أما لوقا فواصل النسب حتى آدم عليه السلام أما معجزة الميلاد- فلم يشر إليها أحد من كتاب العهد الجديد كله.

(٣) أما فى إنجيل يوحنا إصحاح أول ص ١٤٧

[وفيلبس وجد تثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياءيسوع الذى من الناصرة.]

(٤) وفى لوقا مرة أخري اصحاح ٢ / ٤٨

[فلما أبصراه اندهشا وقالت أمه (مريم عليها السلام) يابنى لماذا فعلت بنا هكذا- هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين]

(٥) وأما فى انجيل متي مرة أخري ١٣ / ٥٤

[ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتواوقالوا من أين لهذا هذه الحكمة أليس هو ابن النجار أليست أمه تدعى مريم وإخواته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أليس إخوته جميعا عندنا؟].

(٦) وفى لوقا ٢ / ٤١ [وكان أبواه (المسيح) يذهبان كل سنة إلى أورشليم فى عيد الفصح]

(٧) لوقا ٤ / ٢٢ [وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة

من فمه ويقولون أليس هذا ابن يوسف؟]

(٨) متى مرة أخرى

[وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته طالبين أن يكلموه].

(٩) وفي مرقس ٣ / ٢١ [فجاءت حينئذ أمه وإخوته ووقفوا خارجا وأرسلوا إليه يدعونه وكان الجميع جالسا حوله- فقالوا هوذا أمك واخوتك خارجا يطلبونك]

(١٠) بولس إلي غلاطبة ١ / ١٩ [صعدت إلي أورشليم لأتعرف ببطرس ولكنني لم أرغيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب].

وفي نسب متي إصحاح ١ [فلما استيقظ يوسف من النوم (بعد الرؤيا) فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع].

وكلمه امرأته بلغة الكتاب المقدس تعنى عادة زوجته أما كلمة لم يعرفها حتي ولدت ابنها البكر فهى أيضا من الكلمات التقليدية فى الكتاب المقدس [أرجع إلي سلوك الأنبياء داود].

ونحن نتساءل فى ذهول كيف تأتى للأناجيل أن تنسب المسيح إلى داود وتواصل هذا النسب عبر يوسف النجار- هل المسيح ابن يوسف؟.

وإذا كان معلوما أن السيدة مريم لم تكن مقترنة أو متزوجة بيوسف النجار فكيف أصبح يوسف أبا المسيح وكيف أُصرت الأناجيل في جميع أنسابها وعلى اختلاف طرقها وأساليبها علي هذه القصة المشتركة من أن المسيح ابن يوسف؟ أليست هذه هي التهمة التي وجهها اليهود إلي السيدة مريم والمسيح وكانوا يتهكمون منه قائلين يوحنا ٨ / ٤ [فقالوا إننا لم نولد من زنا أب واحد هو الله] ألم تعط المسيحية الفرصة الذهبية لليهود ليسترسلوا فى غيهم واثبتوا لليهود في كتبهم وأناجيلهم مايتفوهون به عليهم من بهتان فأعطوهم الفرصة التي كانت من المستحيل عليهم أن يجدوها في مكان آخر إعترافاً وتأييدا والاعتراف سيد الأدلة؟

هل فات ذلك كلة علي المسيحية؟

لماذا رفضوا أن يذكروا النسب الصحيح بنسبة المسيح شرفا لأمه البتول والتى كرمها الاسلام وقال فيها .[إن الله اصطفاك وطهرك- واصطفاك على نساء العالمين] ؟

ما هو العيب في نسبة المسيح إلي أمه مريم؟ هل نستطيع أن نشبه ذلك بمن أراد أن ينقد صاحبه من ذبابه على وجهه فجاء بحجر ليضرب الذبابة فدق رأس صاحبه؟

أليس هذا هو ماحدث استحوا أن ينسبوا المسيح شرفا وطهرا كما هى الحقيقة إلي أمه فنسبوه لأب مزور وجلبوا عليه تهمه لاتغتفر.

بأى طريق صار يوسف أبا المسيح وآباؤه آباءا له؟ كيف استقام لهم النسب بهذا الطريق؟ أبدلا من أن يتصدوا لليهود يعطونهم الدليل؟ وانظروا إلي موقف الإسلام الجليل من المسيح الذى نسبه أولا إلي أمه شرفا وطهرا- أليست هذه معجزة جعلت مولده آيه تتلي علي مدى الأيام؟ فلم الحياء؟

وانظروا إلي الإسلام تصدى لمن تقولوا علي مريم وكيف رد الله عليهم فأخرسهم . معجزة يرويها الإسلام وتغفلها الأناجيل نسيانا أو تناسيا أو عمداً

﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا * ياأخت هارون ماكان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال إني عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلني مباركا أين ماكنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا * ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون﴾ .

وهكذا يتكلم الوليد الذى ولد لساعات ولم تتحرك شفته قبلها ولا بعدها بكلمات حتى بلغ مبلغ الأطفال من النطق- انطق الله الوليد ليرد بنفسه علي التهمة البشعة التي تهجموا بها عليها- نطقت المعجزة فأخرست الألسن كلها. فهل يستطيع أحد من اليهود أن يناقش طفلا في المهد لم يكمل يوما واحداً وهو يعلم أنه قد أنطقة الله الذى أنطق كل شيء؟ لقد أذهلتهم المعجزة فخرسوا. رهبة الموقف أحاطت بهم فلم ينطقوا

ويصف الله عز وجل كلام المسيح فيقول ﴿تكلم الناس في المهد وكهلا﴾ وهذه الكلمة كهلا يجب ألا تمر ببساطة فمعناها العميق أنه وهو في المهد نطق ككهل- لاكطفل- نطق بالحكمة فصيحا لا يتلعثم ولا يتردد- لاتتلجلج الكلمات فى حلقة كما تتلجلج في فم الأطفال فالأطفال لهم طريقتهم فى النطق والتى تميزهم عن غيرهم فتلتوى الحروف فى أفواههم وتتعثر الكلمات فى حلوقهم وتستطيع أن تميز سن الطفل من طريقة نطقة. ولكن المسيح نطق كما ينطق الرجال وخيرا مما ينطق الرجال فقد أنطقة الله الذى أنطق كل شيء.

هذا هو الدفاع عن مريم فى مواجهة الجمع لاسرا ولاخفاء ولارؤيا حالمة فكما اتهمها الجميع برأها الله أمام الجميع- هذه هى المعجزة وهي أبلغ من معجزات المسيح كلها- فما قيمة المعجزات إن شاب مولده شبهة؟ ونتساءل اين ضاعت تلك المعجزة؟

فياكتبة الأناجيل أثبتم دليل الإدانه وأهملتم دليل البراءة فمهما كات المعجزات التي ساقوها فقد ظل عقل اليهود كما هو وقدموا لهم سندا قويا فى ادعاءاتهم.

إذا كانت هذه المعجزة قد حدثت فأين ذهبت-؟ وهل يمكن أن ينسي المجتمع اليهودي المحدود الوليد النبي الذى نطق في المهد وقال أنه نبى؟

ذلك المجتمع الإسرائيلي الذى كان علي أحر من الجمر انتظارا لمن ينقذه من ذل الأسر ويعيد أمجاد إسرائيل وهو يتلهف شوقا للمنقذ من هذا الهوان؟

وإن لم تكن قد حدثت- فما دليل براءة مريم؟

أم تحمل وليدا على يديها وهى عذراء لم تتزوج بعد وفي يديها جسم الجريمة وأمام مجتمع لا يرحم.

هل يقتنع قاض فى يومنا هذا برؤيا منامية وحلم رآه شريكها والمتهم الأول في هذه القضية دليلا علي براءتها؟ أى منطق هذا؟ أم تظل فى نظر المجتمع تحمل وصمة الاتهام؟

وإذا كان الله عز وجل قد أراد لها هذا الحمل وهى الشريفة البتول فهل يرضى لها بالظلم وأن تلوك سمعتها أفواه يهود بكل هذه الوقاحة؟

هل يرضى الله بالظلم لنبى أرسلة للناس بشيرا يبدأ حياته ورسالته فى هذا الجو الملبد والناس يتندرون عليه من حوله؟ وكيف يبدأ رسالته فى هذه الظروف؟ أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا؟ هذه والحق يقال أثارت في نفسى الشك وجعلتنى أتساءل هل الذين كتبوا الأناجيل يهود أم مسيحيون؟ سؤال بسيط ولكن له أعماقة البعيدة: ثم تستمر المناقشة .

(٢) ذكر متى الأباء الأربعين الذين ذكرهم للمسيح وركز الأضواء على بعض هؤلاء فذكر الأمهات إلي جانب الآباء فى أربع حالات فقط فلماذا ركز واهتم ووضع خطوطا حمراء تحت هؤلاء الأمهات بالذات/؟ هل كانوا أصحاب معجزات خارقة يلفت النظر إليها في نسب المسيح ؟

نحن نذكر في القرآن مريم فهى سيدة نساء العالمين فى زمانها فهل ذكرت أمهات فى نسب المسيح لهذا السبب ؟ نعود فنتساءل ونسأل عن قصص هؤلاء الأمهات اللأتى ذكرهن وقصصهن موجودة بالطبع فى الكتاب المقدس.

(أ) الأولي ثامار أم فارص من يهوذا . ومن أراد قصتها فليرجع إلي تكوين ٣٨ ليرى كيف التقي يهوذا أبو فارص بثامار كنته أى أرملة ابنه وقضى معها وقتا طيبا بغير زواج وانجب منها فارصا – وهذه القصة موجودة في سلوك الأنبياء ٤ جـ

هذة هى القصة التى يلفت متي نظرنا إليها حتى لاننسى ونظن أن قارص بن يهوذا من زواج طبيعى فيذكر الأم توضيحا.

(ب) الثانية بوعز ولد عوبيد من راعوث– من أراد أن يعرف القصة فليقرأ سفر راعوث اصحاح ٤ – وراعوث فتاة موآبيه وأرمله محليون تزوجها بوعز وفى العهد القديم في تثنيه ٢٣/ ٢ لايدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ولا يدخل عمونى ولا موآبى في جماعة الرب إلى الجيل العاشر– لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلي الأبد] أى أن العهد القديم قد سوى بين العمونى والموآبى وغيرهم ممن حلت عليهم لعنة الله وطردهم الله من رحمتة إلى الأبد.فالعمونى والموآبى أصلا وثنيون

والاختلاط بهم ومصاهرتهم من أكبر الكبائر فذكر راعوث لاينم عن خير.

(حـ) أما الثالثة وسلمون ولد بوعز من راحـاب- وراحاب هذه فتاة من فتيات الليل من أريحا من الأمم خبأت الجاسوسين الذين ليشوع وقصتها مشـار إليها في يشوع بداية الاصحاح الثاني والثلث الأخير من الأصحاح السادس.

(د) الرابعـة وداود ولد سليمـان من التى لأوريا ومن أراد أن يعرف قـصـة يتشبع أم سليـمان التى اختطفهـا داود من أوريا وضـاجعـها وهي زوجـة لأحد جنوده المقـاتلين وراءالتابوت ولما خشى داود الفـضيحة دبرلمصرع زوجهـا فى معركة غير مـتكافئة في الحرب وبعـدها ضم يتشبع إلي حريمـة وانجب منها سليـمان الحكيم بانى الهـيكل وتلك القصة مذكورة ايضا فى باب سلوك الأنبياء. (٧- أ) - وفى صموئيل ثان/ ١١

لم التلميح والأشارة لهذه القـصص؟ حتى لاينسـاها القارىء؟ مـاهو الهدف من إبراز أسماء تلـك الأمهـات الأربع في نسب المسيح؟ هل يمكن أن يكون ذلك قـد تم بحسن نيه؟ لا أتصور ذلك أبداً:

وأذا كان اليـهود قد أخطأوا فـرضا ونسبـوا لأنبيائهـم قصصـا مشينه فلمـاذا نؤكد ونلفت النظر بدلا من أن ندافع . وهل هذه مناسبة طيبه لذكر هذه القصص؟

هذه والحق يقـال قد زادت من شكى فى أن واضـعى أو متـرجمى الأناجيـل كانوا يتخفون فى زى المسيـحية ووراء أثوابها ليتمكنوا خلسة من توجية الضـربة القاضية لها وهم فى أمن وأمان ثم يمجدوا بعد ذلك ما شاء لهم التمجيد إمعانا فى التخفى.

(٣) أحب أن اذكر قصة مريم كما جـاءت فى القرآن لأعقد نوعا من المقارنة بين ما جاء فـى القرآن وما روتـه لأناجيل آل عـمران ٣٣ ﴿**إن الله اصطفى آدم ونوحـا وآل ابراهيم وآل عمران علي العالمين * ذريه بعضها من بعض والله سميع عليم * اذا قالت امرأة عـمران رب إنى نذرت لك مـا في بطنى محـرراً فتـقبل منى انك أنت السـميع العليم * فلمـا وضعـتـها قـالت رب إنى وضعـتهـا أنثى والله أعلم بما وضـعت وليس الذكر كـالأنثي وإنى سميتـها مريم وإنى اعـيذها بك وذريتهـا من الشيطان الرجيم ***

فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ .

ثم يقول فى السورة في الاية ٤٢ **﴿وإذا قالت الملائكة يامريم أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يامريم اقنتى لربك واسجدي واركعى مع الراكعين * ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم أذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون * إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين *﴾** .

ونوجزهاتين النبذتين من سورة آل عمران . فمريم كانت نذرا لله عز وجل وهى فى بطن أمها نذرت أمها أن ما في بطنها نذر لعبادة الله عز وجل وخدمة بيته المقدس وللدعوة إلي الله– وكانت تتصور أن ما في بطنها ذكرا أو رجلا يقوم بمهمة رجل الدين والعبادة ولم تكن تعلم أن القدر يخفى لها مفاجأة . فلما ولدتها أرادت أن تواصل النذر رغم علمها بأن الذكر ليس كالأنثى وقبل الله عزوجل نذرها– فتنافس أحبارالبيت من يكفل أول طفلة تنذر لهذا البيت العريق واقترعوا وخرج سهم زكريا ليكفلها ويرعاها. وكان زكريا وهو راعي الطفلة يدخل عليها المحراب فيجد لديها من فاكهة الشتاء فى الصيف ومن فاكهة الصيف فى الشتاء فيتعجب ويسألها أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بعير حساب.. وكانت الملائكة تتنزل علي مريم وتعدها لأصعب المهام– ويطالبونها بأن تكرس حياتها للعبادة **﴿اسجدى واركعي مع الراكعين﴾** وبعد أن تم الاعداد جاءتها البشري (**إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسي بن مريم﴾**.

كانت الملائكة تعدها للأختبار الهائل أن تلد بغير زواج فقد خلق الله آدم من غير أب ولا أم وخلق حواء من ضلع آدم بأب ومن غير أم وخلق المسيح من أم وبغير أب .

ثم تأتي المرحلة الثالثة والتجربة القاسية لمريم.

ثم تأتي المرحلة الثالثة والتجربة القاسية لمريم.

﴿فأجاءها المخاض إلي جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾.

هل يصدق الناس ما حدث- هل يصدقون أنها تلد بغير زواج؟ كيف تواجة الناس ؟ هل تقبل فتاة بهذه المواصفات ربتها الملائكة وعاشت متبتلة لله عابدة قانته- هل تقبل ما سوف يواجهها الناس به من شك ؟ وتتمنى في أعماقها لوأنهاماتت قبل أن تخوض تلك التجربة- ويخفف عنها الملاك وينصحها أن تلزم الصمت ثم تأتي خاتمة الفصول- فتواجة قومها وتدخل عليهم حاملة طفلها الوليد ويتجمع حولها اليهود فتغلق فمها كما نصحها الملاك وأشارت إلي الطفل الوليد . وتعجبوا **﴿كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾** فينطق الوليد **﴿أنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلني نبيا﴾**.

هذه مريم عليها السلام ومراحل حياتها جنينا في بطن أمها وكانت نذرا للعبادة- ثم طفلة رضيعة في البيت العريق تأتيها الملائكة ويكفلها نبى- تنشأ فى المحراب لاشيء فى الإسلام عن يوسف أوغيره.

ثم نعود للقصة في العهد الجديد وماذا قالت الأناجيل عنها؟

لاشيء عن النذر- لاشيء عن حياتها في بيت العبادة وكفالة زكريا لها لا شيء عن الملائكة لاشيء سوى أنها حبلي وأنها كانت مخطوبة ليوسف النجار وأنهار رافقته في رحلته إلي مصر ذهابا وعودة بعد ميلاد المسيح ثم يجيء اللغز.

هل تزوجت مريم عليها السلام بيوسف بعد ميلاد المسيح أم لا؟

بعد الحلم الذى رآه يوسف النجار رآه بخصوص مريم متى ١/٢٤ [فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع] فكلمة امرأته معناها بلغة الكتاب المقدس زوجتة أما كلمة لم يعرفها فمعناهالم يدخل بها حتى ولدت ابنها البكر وكلمة دعا اسمه تفيد المعايشة أى عاشت معه طيلة تلك الفترة ثم تأتى كلمات بولس (لم أعرف غير يعقوب أخا

الرب] ثم متى ١٣ / ٢٤ [أليس هذا ابن النجار أليست أمه تدعى مريم وأخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا..؟] .

هذه النصوص توحى بأن السيدة مريم قد تزوجت بالفعل بعد ميلاد المسيح وانجب منها يوسف هذه الأسماء .

وبالنسبة لنا- هذا شيئ لاغضاضه فيه فهذا حقها الطبيعى فى الحياة ولا غبار على ذلك ولكن يبدو أن بعض رجال الدين المسيحى لم يعجبهم ذلك ولم يعجبهم أن تكون مريم أما للمسيح ثم أما لآخرين فرفضوا هذا القول رفضا باتا أما عنا كمسلمين فإن الاسلام كما قلت لم يثر هذا الموضوع أساسا .

ونحن هنا نناقش ما جاء فى الأنجيل- أقول رفضوا قبول فكرة أن مريم عاشت وأنجبت أبناء آخرين ويبدو أنه كانت فى القرون الأولي مناقشات ومناظرات حول هذا الموضوع فبينما اثنين يتناقشان إذا بطفل يقول حاشى للبطن التى أنجبت المسيح أن تنجب سواه ويبدو أنهم كانوا في ذلك الوقت يقفون أمام صورة لمريم عليها السلام فنطقت الصورة وقالت للطفل صدقت يفم الذهب .

يروى المسيحيون هذه الأسطورة ويعتبرونها فيصلا فى هذا الموضوع.

ونحن أيضا لا اعتراض لنا على هذه القصة لكننا فقط نريد أسلوبا يليق بأم المسيح سيدة نساء العالمين.

لماذا لم تعد مريم عليها السلام الى جدران البيت العريق للعبادة والتبتل لتقضى هناك بقية أيامها ما دامت قد رفضت فكرة الزواج حسب قولهم وكيف وقد رفضت فكرة الاقتران بيوسف كزوج تقبل الحياة معه تحت سقف واحد وتدعوه أبا للمسيح مالا يقل عن أثنى عشر عاما حتى فارق الدينا . أمر غريب كنا نتمنى لأم المسيح وللأناجيل أن تحكى قصة أفضل من ذلك حتى لا تعطى فرصة لليهود ليتقولوا عليها ما شاء وا وينسبون إليها الأباطيل ونحس بدهشة ممن فسروا الأناجيل.

(٤) ثم نعود لمناقشة نسب المسيح فنقول

بدأ لوقا نسب المسيح بقوله وهو علي ما كان يظن ابن..

فهل فى علم الله ظن أم يقين؟ ومن هذا الذى يظن اذا كان النسب خطأ فلم إشاعة الخطأ وترديده وإن كان الأمر صادقا فلم التشكيك؟.

(٥) الخامسة أن لوقا ذكر آباء المسيح حتى آدم ثم قال آدم بن الله فاذا كان آدم بن الله فإن البشر جميعا ابناء الله- أم أن آدم لم ينجب سوى المسيح؟.

(٦) السادسة أن كلا من متى ولوقا قد تضار باتضاريا بينا حول أسماء آباء المسيح فجعل متى المسيح من سلالة سليمان بن داود وهو الاب رقم ٢٧ السابع والعشرون له.

بينما جعل لوقا المسيح ناثان بن داود وجعل داود الأب رقم ٤٢ فى تسلسل الأجداد فإذا كانت تلك الكتب من عند الله كما يقولون فلم كل هذا التضارب ؟.

(٧) إنه من الغريب أن تختلف الأناجيل بداية حول والد يوسف فيقول أحدهم أنه بن يعقوب والآخر يقول أنه بن هالى ولاشك أن أحدهم كان قريب العهد من يوسف فلما ذا لم يسألوه عن اسم أبيه هل هو يوسف أما هالى- أو يسألوا آحد ابنائه أو أحد أقاربه ؟..

***

(ب) قصة النصارى وحديث المهد

في الجزء السابق من نسب المسيح تساءلت عن سر أختفاء معجزة الميلاد من الأناجيل الأربعة والعهد الجديد. ولما لم يكن لدى من إجابة على هذا التساؤل أغلقت الموضوع بغير إجابة...

ولقد شاء الله عز وجل أن يعيرني صديق كتابا اسمه الغريب [القرآن دعوة نصرانية] طبعة المكتبة البولسية ببيروت ورغم أن الكتاب يردد ما يقوله المستشرقون وهوأن محمدا نقل من الكتب السابقة قصص الأنبياء والأحكام فهويحاول أن يكسبه لونا جديدا وثوبا جديدا-فالنصاري في رأيه هم الذين آمنوا بالتوارة والانجيل معا. ومن ثم فلا فارق بين كلا الادعاءين في غير اللافتة دون المضمون-فالكتاب في مجمله أشبه بكائن مبرمج غذي بمعلومات المستسشرقين ويهدف إلي عملية غسيل مخ لأبناء دينهم - ولايتمعن فيما ينقله أويقوله ومدي معقولية هذا الكلام. فهو أشبه بنكتة سخيفة.يعلم الكاتب أن آحدا لن يكلف خاطره عناء الرد وشرف المحاورة علي تلك الهلوسة-فلا شيء عنده غير التحريف والتأويل وتكذيب الصحيح من القرآن والأحاديث فيؤول القرآن علي هواه ويأخذ بالظن بغير دليل . رغم كل ذلك فقد أفادني الكتاب وأجاب علي بعض تساؤلاتي . لذلك أحب أن أعرض لبعض النقاط فيه.

يبدأ الكتاب في الصفحة الاولي بعد المقدمة آخر ص٢٥ وأول ٢٦ بقوله [فتكفير اليهودية في القرآن جازم إنه لعن .وتكفير المسيحية دعوة للاعتدال في أمر المسيح . (لا تغلوا في دينكم غير الحق). فليس في القرآن من تكفير للمسيحية إنما هناك تكفير لبعض انحرافات كفرتها المسيحية قبل القرآن- إن ما بين القرآن والكتاب وما بين النبي العربى وأهل الكتاب نسب وانتساب يجعل أهل القرآن وأهل الكتاب أمه واحدة ﴿**إن هذه أمتكم آمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ ٩٢ الانبياء.

ولولا أنني سمعت يوما شريطا لأحد البابوات يردد مثل هذا الكلام ما فكرت أن أرد عليه لولا أنني أحسست بالتلقين المستمر لهذه الأفكارمن وراء الظهرلما فكرت في الرد.

فبهذا الاستجداء الرخيص والنفاق الكاذب يبدأ الكاتب مدخله قبل أن يفرغ سمومة في كل كلمه وفي كل سطر من سطوره.

اذا كان الكاتب لايؤمن بالإسلام ولا بنبي الإسلام ولا بالقرآن ويرى أن محمداً دعياً والقرآن تلفيق فلْم هذا الاستجداءالرخيص ؟لماذا يستجدى الرضا ويرتعد أمام كلمات التكفير الصادرة من الإسلام؟ ويحاول أن يطمئن من هم على شاكلتة أن الإسلام لا يخرجهم من دائرة الإيمان؟

الذي يقف على أرض صلبه لا يبالي بما يقوله غيره عنه نحن مثلا.لا يحرك فينا شعرة واحدة هلوسة وهذيان المستشرقين وتلاميذهم الصغار ونقرأ ما يكتبون ولا نحرق الكتب أو نحرم قراءتها بمنشورات بابويه ولا نأمر بإعدام من يقرؤها.

لا نبالي بأن يقول عنا غيرنا مايقول- ولا نهتز أوترتعد أطرافنا أمام الهراء- أنت تقول في كتابك أن أنكار أزلية المسيح وبنوته لله وألوهيته كفر. ونحن نقول إن ادعاء بنوة المسيح لله وألوهيته وأزليته كفر. فكيف وبأى منطق نكون نحن وأنتم أمة واحدة؟ أنتم تقولون أن من لا يؤمن بالصليب لا يدخل من باب الجنة ونحن نقول ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم**﴾ فأى وحدة تجمعنا.

نحن نقول لا إله إلا الله عز وجل وأنت تعتبر التوحيد الذى ينادي به النصارى تهمة فهم لا يؤمنون بالتثليث الانجيلى كيف تجتمع أمة الموحدين مع أمة المثلثين بأى صورة من الصور؟.

التوحيد شرف لا يناله إلا من أخلص دينه لله ورفض أن يعادل أحداً بالله أو يشركة في الدينونه مع الله.

الثالوث أسطورة وثنية قديمة منذ الفراعنة وعند غير الفراعنة ولولا أنك تطاولت

علي الإسلام ما اضطررت أن الفت نظرك إلي حقائق بسيطة بدائيه جداً والكلام كثيرا إلا أني أبقى على هدوء الحوار بغية أن يكون دعوة خالصة للتفكير الهادئ ولكي يعيد كل تفكيرة ويراجع نفسه فلا أريد أن أحتد في الحديث.

إن دعوة القرآن إلى حسن الجوار والعدل فى المعاملة وأن لكل أصحاب العقائد مالنا وعليهم ما علينا. الوشائح الطبيعية في الدنيا لا تعنى الخلط بين الدين والدنيا. فالجميع خلق الله وهو يتولى حساب البشر ولكن الدين ليس فيه مجاملة. والعقيدة ليست موضوع مساومة فالإسلام يكفر من لا يقبلة **﴿ومن يبتغ غير الأسلام دينا فلن يقبل منه﴾**.

وقد سبق أن حددت فصلا هوالولد في العلم والاسلام أثرت فيه بعض التساؤلات وأوضحت رأى الإسلام في بعض الأمور إلا أننى أجد نفسي مضطرا أن أضيف بعض المزيد فأقول يقول الله عز وجل في مطلع سورة الكهف **﴿الحمد لله الذى أنزل علي عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا * ماكثين فيه ابدا * وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً * مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم إن يقولون إلا كذبا﴾**. هذا رأى الإسلام فى الولد فهل هناك لهجة أشد ينفي بها ويكذب- مثل هذا الأدعاء؟ ويسوى القرآن بين اليهود والنصارى فى تعامله مع كل منهم كعقيدة ومن الأدعاءات الرخيصة أن يقال إنه يمالىء فريقا على فريق ففى التوبة ٣٠ يقول الحق تعالى **﴿وقالت اليهود عزير بن الله- وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾**.

فالولد قصة قديمة عرفها قدماء المصرين فسموا ملوكهم أبناء الشمس لأنهم عبدوا الشمس وعرف هذه القصة مشركوا العرب فسموا الملائكة بنات الله وعرفها اليهود وعرفها المسيحيون كل هذه رواسب وثنيه جاءالإسلام ليخلص العالم منها فليس لله عز وجل فى هذا العالم ولد ولاند ولاشبيه ولامعادل- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا جاء

الإسلام لينقى البنوة لله عز وجل حتى ما كان منها على سبيل المجاز حتى لا يكون مدخلا للشرك بعد ذلك فقال تعالى ﴿**وقالت اليهود والنصاري نحن أبناء الله وأحباؤه. قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**﴾ المائدة ١٨ ثم يقول سبحانه (**لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا**﴾ ثم نهى المؤمنين نهيا قاطعا عن تولى هؤلاء وهؤلاء المائدة ٥١ . ﴿**يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين**﴾ .ويقول فى سورة البقرة (١٢٠) .﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم**﴾ .

وهكذا سوى الإسلام فى نظرته العقائدية بين اليهود والنصارى بغير مجاملة فالادعاء بأن الاسلام يمالىء النصارى على حساب يهود تلفيق وكذب ومحاولةللهروب من مواجهة واقع مرير لكى يخدعوا انفسهم أمام جماهيرهم ويطمئنونهم علي سلامة معتقداتهم.

فالذين يخلطون بين العقيدة وحسن الجوار واهمون فمخالفتنا في العقيدة لأحد لا تعطينا حق الظلم وسوءالجوار كما أن حسن المعاملة والأمر بها لا يعنى الاعتراف بأى جزئية من عقائده. هذان أمران مختلفان.

الأمر الثانى هو أن الاسلام عندما يصدر حكما بتكفير مفاهيم معينه لا يستبعد أن يكون من تلك الطائفة قلة أو كثرة حاضرة أو غائبة في الحاضرأوالماضى البعيد قد عرفت الحق واتبعته والله عز وجل يدين الناس حسب سرائرهم- فقد يوجد قبل محمد ﷺ راهب هنا أو هناك عرف الحق يغير تحريف وآمن بالله عز وجل ربا واحدا فذلك يجزية حسن عمله: وهو كذلك حتى مجىء محمد ﷺ رسول الله فمجىء محمد ﷺ نقطة نهاية للعقائد السابقة كما أن مجىء المسيح عليه السلام نهاية لليهودية

أنكر نبوة محمد كافر كذلك والأيمان كل لا يتجزأ.

﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ .النساء ١٥٠ /١٥١ والغريب أن الكاتب نقل هذه الآيه فى ص ٥٠١ بغير وعى ولا إدراك وكأنه لا يرى ولا يسمع غير ما قاله المستشرقون فلم يفهم منها شيئا.. معناها أن إنكارنبى الإسلام كفر. ولوفهم لكفته.. الأمة الواحدة التى تتحدث عنها هى أمة التوحيد منذ نوح وآدم الذين قالوا لاإله إلا الله نوح رسول الله لا إله إلا الله موسى رسول الله لااله إلا الله عيسى رسول الله لا اله إلا الله محمد رسول الله- فالعقيدة ثابته مهما تغيرت دقائق التشريع من عبادات وزكاه وصلاة وحج وغيرذلك وكلمة الإسلام تعنى كل من أسلم وجهه لله عز وجل مخلصا عقيدته وإيمانه **﴿وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمه مسلمه لك وأرنا مناسكنا وتب علينا أنك أنت التواب الرحيم﴾** .البقرة ١٢٧،١٢٨ أما يوسف عليه السلام فيقول **﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي فى الدنيا والأخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين﴾** . يوسف ١٠١... وفى سورة آل عمران ٥٢ **﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلي الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾**.

والقرآن هو الكتاب السماوى الذى أنزله الله عز وجل مهيمنا علي كل ما سبقه من كتب سماوية أى كلا أكبر بشرائعة وناسخا لكل ما قبله[1] **﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوأءهم عما جاءك من الحق﴾**. والهيمنة معناها أن القرآن أصبح هو أصل المعاملات وقد نهي الرسول ص عمر بن الخطاب وقد رآه يوما ممسكا إحدى صحف التوارة

---

(١) ٤٨ المائدة.

يقرؤها فغضب وقال [لو كان موسى بن عمران بينكم ما وسعه إلا اتباعي] إن القرآن قد نسخ ما قبله من كتب ورفضنا للكتب السابقة كمنهج يرجع لسببين. أن الشرائع تتغير بتغير الأمم والشرائع غير العقائد. الثانية أن الله يقول[1] ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**﴾ فلا ندرى ما بقى منها وما ضاع.

قلت إن في ثنايا كل أمه قد يوجد مؤمنون صادقون يعلمهم الله عز وجل ولا ندرى عنهم نحن شيئاً والله عز وجل يحاسب الناس بسرائرهم ولا يأخذ الفرد بذنب الجماعة .

فبين قوم فرعون يوجد رجل مؤمن سميت أحدى سور القرآن باسمه [سورة مؤمن] وهناك سحرة فرعون أول المؤمنين أيام موسى وأول الشهداء قالوا لفرعون فى تحد سافر وهو يتهددهم بالوعيد يقول ﴿**لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ ردوا عليه ﴿**أنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر**﴾ وهناك زوجة فرعون التى سجل القرآن ذكرها وهى سيدة نساء العالمين قالت ﴿**رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين**﴾ التحريم ١١.

وهكذا فإن الإسلام لا يأخذ الفرد بذنب الجماعة ففى كل أمة مهما كانت منحرفة وضالة قد توجد قله مؤمنه يعلمها الله ولن يضيع إيمانها إن الله بالناس لرءوف رحيم.

والإسلام حين حكم بالتكفير فهو يكفر مفاهيم معينه لا أشخاص ولا مسميات فلا دخل لنا بالمذاهب الداخلية لكل دين أو مسمياتهم فما يهمنا هومعتقداتهم.

الإسلام يطلق كلمة نصاري علي أمه المسيح وأتباعه بصرف النظر عن مذاهبهم ومسمياتهم هل هم أرثوذكس أم كاثوليك أم بروتستانت تلك صراعات داخلية لأشأن لنا بها وقد تعامل الإسلام مع أمة المسيح على هذا الاعتبار وسماهم بهذا الاسم إشارة

---

(١) ٧٨ البقرة.

لقول الحواريين والمسيح يدعوهم إلى الله﴿**من أنصاري إلي الله قال الحواريون نحن أنصار الله**﴾ فمن ثبت على درب المسيح فقد نجا ومن انحرف وبالغ صدر الأمر بتكفيره فما زعم المسيح في حياته يوما ، وقال أنا الله أو أنا خالق السماء والأرض أوطالب الناس بعبادته وما عبده في حياته بشر وكونه عبد بعد مماته أو رفعه ليس ذلك من مسئولياته .

أما كلمة المسيح في الإسلام فهي نسبة إلي أن عيسي عليه السلام يمسح على وجه الأعمى أو على جسد الأبرص فيشفيه الله عز وجل بعد أن يتوسل إلي ربه ويخلص له الدعاء اثباتا لنبوته.

أما أصل هذه الكلمة لدى يهود وهو ما أخذه عنهم المسيحيون فلها اشتقاق آخر مسيح الله معناها عندهم من مسحه كهنتهم ورهبانهم بالزيت المقدس معناها من اختاره الله عز وجل ملكالهم فنصبه كهنتهم ملكا عليهم بعد هذه الطقوس المعروفة فشاول كان مسيح الله وداود كان مسيح الله عند اليهود وحتى قورش وهو امبراطور وثنى أعان اليهود وسمح لهم بإعادة بناء هيكلهم فسموه مسيح الله.

واليهود كانوا ينتظرون نبى آخرالزمان النبى الخاتم– وهو عندهم نبى ملك كما أوضحنا في البشارات نبى تذوب أمامه الممالك وتندحر الجيوش ويقيم ملكوت الله في الأرض .نبى يقيم الشريعة ويقيم مملكة لا تنقرض ابداً. وتصوروه منهم– ولما جاء المسيح إليهم جربوه وحاولوا أن يعرفوا هل كان مزمعا أن يقودهم إلي الملك والمجد وإعادة أمجاد إسرائيل أم لا فلما أحسوا بعزوفه عن ذلك وأنه لا يريد أن يخوض معركة مع السلطة القائمة انفضوا عنه ورفضوه علي هذه الأرضية العقائدية فهو إذا ليس المبشريه.

أما المسيحيون فقد اتبعوه . ولوأنهم آمنوا به نبيا فقط لكانوا على الحق لأنه نبي ولكنه ليس النبى الخاتم الموعود بمملكة–لا تنقرض ابداً ولاالموعود بملكوت الله.

فكلا الفريقين قد قصر به الفهم وقد بشر المسيح بالمعزى أو النبى الخاتم الذى يأتي

بعده . وحرف المسيحيون كلامـه . فهم هذه الحقيقة بعض الحواريين فكانوا علي الحق أما من زعم أن المسيح هو الخاتم فقد ضل الـطريق وحاولوا أن يحققوا فى أحلام الألف سنة ما عجزوا عن تحقيقة فى الواقع.

كون المسيح نبيا شيء وحقيقة ولكن كونه خاتم هذه أخرى وأمر لا يمكن نسبته إليه وهذه هى جذور الخلاف بين المسيحيين ويهود أما اليهود فلماجاءهم النبى المبشر به وهو محمد باسمه وزمانه ومكانه رفضوه لأنهم أصروا أن يكون من بنى إسرائيل فخسروا الجولتين معا.

تلك شطحة أخذتنى بعيدا واضطرتنى لالقاء أضواء على أمور يحاول البعض طمسها وإخفاء معالمها .

ثم أعود لـلكتاب :في الثلث الأول من الكتـاب تقريبـا كرس جـهده لتـوضيح فئه النصارى حسب المفهوم المسيحى الكاثوليكى وعقائدهم فاسمهم مشتق عندهم من الناصرة بلد المسيح ومسقط رأسه وأورد فى ذلك الجزء معلومات تفيدنى كمسلم لذلك أوجز عقائد النصرانية كما شرحها الكتاب فى الجزء التالي:

ص٦١ [كان يعقوب المسمى فى رسائل بولس أخا الرب لأنه ابن عم المسيح زعيم آل البيت وبهذا كان أول اسقف لأورشليم والنصارى من بنى إسرائيل وكتب إليهم فى مهاجرهم رسالة يعقوب إلى الاسباط الاثنى عشر فى الشتات وهى موجز إنجيل النصاري].

يعقوب إذا زعيم النصاري أومن سموا فيما بعد فى تاريخ الصراعات الطائفية على مستوى التاريخ باليعاقبة قد رافق المسيح حياته كلها وتلقى تعاليمه من فم المسيح وتربى فى أحضانه فالكاتب يعتبره من آل بيت المسيح وأول اسقف نصبوه علي أورشليم قائدالفكر المسيحي ومهده ومنبعه الأول ومن ارتضاه التلاميذ إماما لهم في أورشليم. وإن كنت لا أدري بأي حق سماه الكاتب أخا الرب أو سماه بولس بهذا الاسم وسماه الكاتب ابن عم المسيح فمدي علمي كمسلم أنه ليس للمسيح أب ومن ثم فليس له عم

أو ابن عم. وقد يكون له أخ لو سلمنـا فقط بزواج بين مريم عليهـا السلام ويوسف وإلا فهذه صفه غـير صحيحة. هذا ما يصعب على فهـمه واحتسب عند الله من كذب منا علي المسيح وزعم له أبا وعما وما يجـر هذا الإدعاء من مزاعم يهود بأخطارها وموارد التهلكة فيها.

ثم أعود لتلـخيص فكر اليعـاقبـة فى مقابلة مع أتـباع بولس المتحـرر كمـا يقول عنه صاحب الكتـاب فأقابل اليعـاقبه مع البـولسيين الذين سماهـم الكاتب مسيحـيين فألغى بذلك انتساب اليعاقبة وأبناء عمومة المسيح إلى المسيحية بجرة قلم.

تتلخص عقائد النصارى من بنى إسرائيل من اليعاقبة فيما يلى:

(١) ص ٦٢- إقامة التوارة والأنجيل فى نظر يعقوب هى الديانه الطاهرة الزكية وقد أعلن يعقوب أن الدينوية فى اليوم الآخر ستكون لأهل الانجيل بموجب شريعه موسى.

ويعزى اليعاقبة ذلك إلي ما قاله المسيح فى متى- (ماجئت لأنقض بل لأكمل) ولكن الكاتب يشـير من حين لآخر إلي الـنصارى على أنهم من بنى إسـرائيل بقصـد الإساءة آليهم وتجريحهم وإلصاقهم بصلة القربى لليهـود ناسيا أن المسيح بدأ دعوته فيهم قائلا ما جئت الالخراف ببت إسرائيل الضالة فهم أصل الدعوة وثانيـها أن التلاميذ الاثنى عشر من بنى إسرائيل .

وثالثها أن المسيح نفسه من بنى إسرائيل . واستمرت الدعوة وقيادتها فيهم حتى جاء بولس واتجه إل الأمم الوثنية والتى وجدها أسهل قيـادا واستجابة لما يديه من آراء وسمى نفسـه رسول الأمم أى الأمم الوثنية – أمـا الأسرائيليـون فهم في الأصل أمة توحـيد على التقاليـد الإبراهيمية القديمة جـعل المسيح دعوته فيهم ليكونوا قـاعدة انطلاق بعد ذلك .غيرأن بولس غير المسار فكان لكل فريق منهـم الحنين إلى أصله القديم.

ص ٦٣ الظاهرة الثانية في رسـالة يعقوب هى الدعوة للتوحـيد فلا نرى فيهـا تعليما فى التثليث.ويتـحدث الكتاب بعـد ذلك عن الاسينين ورهبانهم من دير قـمران الذين انضموا للنصاري واخفـوا كتبهم بعد نكبه أورشليم فى سنة ٧٠ في المغاوير إبان حمله

الأضطهاد وبقى منها بعد الحريق ما اكتشفوه حديثا. ثم صارت إمامتهم إلي سمعان أخو يعقوب فسار على درب أخية الذى استشهد في عام ٦٢م .

ص ٦٦ فالردة النصرانية موضوعها الكفر بألوهية المسيح والكفر بالفداء فى صلبه وينتج عن ذلك الكفر بالتثليث والكفر بالتجسيد . هذه عقيدة النصارى فى المسيح وسيقومون عليها طول عهد الفترة ما بين الانجيل والقرآن (كلام الكتاب) .

ص٦٩ فالردة عن الشهادة للمسيح بأنه ابن الله وإنكار صلب المسيح صلب جديد له.

ص ٧١ فمنذ آخر القرن الأول أصر النصارى من بنى إسرائيل على الكفر بإلهية المسيح الابن والكفر بالتثليث الانجيلى.

ص ٧٢ والنصارى من بنى إسرائيل قد صاروا خوارج ينكرون الشهادة المسيحية بأن المسيح هو ابن الله آتيا فى الجسد وصلب لخلاص العالم . هذه بدعة النصارى التى أعلنها زعيمهم كيرنتس ص ٨٢ وتسمت حركتهم بالنصرانية الأبنوبية (أى الفقراء بالعبرية) لأن المسيح كان يحب الفقراء ويقول أن الاغنياء لا يرثون ملكوت الله.

فهم لاينكرون مولد المسيح من بتول ولكنهم مثل النصارى لا يعترفون بأزليتة هكذا يرجعون إلى كفر الأولين واتبعوا الشريعة الجسدية (الموسوية) وكانوا يقولون برفض الرسائل البولسية ويسمون بولس المرتد ولا يقبلون إلا الإنجيل بحسب العبرانيين (أى الانجيل العبرى الاصيل).

[٦]ارجع الى فصل الأنجيل] أى أن النصارى رفضوا أن يكون هناك أناجيل تنسب لاشخاص واعترفوا بانجيل عبرى الأصل أوحد هو الأنجيل العبرى بلغته قبل الترجمات] والذى يرجع إلى كتاب موريس بكاى وكذلك يرجع إلى إنجيل اليسوعين (الآباء اليسوعين الذى صدر حديثا يجد تخطيطا يشير إلى نشأة الأناجيل وأن كلا من انجيل مرقس ومتى قد رجع إلى وثيقة لم تصل إليها الإيدى استقوا منها أصولهم فهناك انجيل العبرانيين المفقود اليوم والوثيقة المفقودة واعتقد أنهما شىء واحد.]وسميت حركتهم

بالاسينية القمرانية الابنوبيه- وعند عامتهم أن المسيح ولد من بتول لكنه ليس بإله وإن سموه على المجاز والاصطفاء إبن الله . فإن تعابير ابن الله وكلمة الله وحكمة الله تعنى فى كلامهم الغنوصى أوصاف الروح زعيم الملائكة (جبريل).

ومات سمعان وهو ابن مائة وعشرين سنة فخلفه على إمامة النصارى يستس يعاونه مجلس أساقفة يعدهم أوسابيوس خمسة عشر وتعاقب السياد حتى ثورة أورشليم الثانية سنة١٣٢م وهكذا نرى أن السياد آل بيت المسيح وشيعته وخاصة أهله فى مفهوم الكاتب كفرة ومرتدون جميعا ولا يقبل هو غير رأى بولس أما النصارى فيسمون بولس المرتد ويرفضون رسائلة وفكرة كما أنهم لا يعترفون بأناجيل المسيحيين والعهد الجديد ولا يؤمنون إلا بالإنجيل العبرانى الأصل كما أن لديهم كما سنرى كتبا ورسائل لبطرس ويوحنا ويعقوب من تلاميذ المسيح تشرح العقيدة وهى كتب يعدها البولسيون منحولة غير أن هذه الكتب لدى النصارى شرح أما الأصل فواحد كماقلنا.

وقد سبق أن أشرنا إلى إنجيل برنابا وهو الآخر يصف بولس بالمرتد ص ٨٩ . وسيطرت المسيحية علي الدولة الرومانية (البولسية) مع قسطنطين الكبير منذ المجمع المسكونى ٣٤٥ وما بعده حتى ٤٥١ ووقع النصارى« بين نارين نار اليهود من جانب ونار المسيحيين من جانب آخر فأخذ عددهم يتضاءل(كلام الكتاب) .

وفى منتصف القرن الرابع صدر الدستور اليتوضوسى لفرض الأيمان المسيحى (البولسى) على الكافرين (النصارى) وانطفأ خبر النصارى فى المصادر المسيحية.

والذين درسوا التاريخ يعلمون أن قسطنطين قد تبنى المجمعات الكنسية وهو ما يزال علي الوثنية وقبل إعلان مسيحيتة هو وتبنى الفكر البولسى وعينهم فى المناصب الدينية وأطلق يدهم رغم أن عدهم فى أول مجمعاتهم كان مايقرب من الثلاثمائه من بين المجتمعين وعددهم يقرب من الثلاثة آلاف أى أنهم كانوا يمثلون الجناح المنشق الصغير من المسيحية فى البداية أما كلمة فرض الإيمان المسيحى على الكافرين فهى عبارة متواضعة جدا لدوامة الإرهاب والتصفية الجسدية لهؤلاء الموحدين كما يسميهم

الكتاب ومالقيه آريوس بطربرك مصر وخليفتة بنيامين الذى خلعت أضراسة وحرمت كتب آريوس وبدأت الجاسوسية ومحاكم التفتيش من الرهبان للتخلص من الهراطقة كما سموا هؤلاء الموحدين ولنا عودة لهذا الموضوع فى مناقشة آراء بولس أن شاء الله ويتساءل الكاتب بسذاجة لا يعرف اين ذهبوا بعد ذلك؟

إلي المغارات والكهوف والصحاري هربا من حمامات الدم..؛

ص١٩٤ عقيدة أن المسيح لم يصلب ولم يقتل ولكن ألقى شبهه علي غيره من تلاميذ المسيح فصلب هذا المشبوه (اعمال يوحنا وإنجيل بطرس).

وما بين ص١٢٤ حتى ١٣٠ يناقش الكتاب ويثبت أصاله إنجيل النصاري العبراني وصحتة فيقول ص ١٢٥ يقول جيروم علامة بيت لحم ويستشهد كثيرا بالإنجيل حسب العبرانيين فالعلامة جيروم يستشهد بإنجيل النصارى لتفسير ما اشتبه من الأنجيل بحسب متى اليونانى وهذا دليل ثقته فيه وبصحة إنجيل النصاري العلمية والتاريخية.

أبيقان فى ص ١٣٠ يؤكد أبيفان (مطران مسيحى من فلسطين) أن إنجيل النصارى كامل غير منقوص ويقول العالم بردى نقلا عن أبيفان أن النصاري يملكون بالعبرانية الإنجيل الكامل ويستغرب أن علامة بيت لحم يقبل بغير تردد ويجزم بأن الإنجيل بحسب العبرانيين هو الإنجيل الأصيل- وقد كان هو في وضع يمكنه من الحكم الصحيح أكثر منا اليوم (كلام الكتاب) ويقول لارنج أن إنجيل النصاري له طابع خاص لكنه يعتمد على النص العبرانى الأصيل وقراءته لها صيغه أقدم من الحرف اليونانى بحسب متي- وبهذا أختم حديثى عن النصارى كما أوردها ذلك الكتاب وانتقل إلي النقطة التالية.

ينقل الكاتب بعد ذلك ادعاء المستشرقين بأن الرسول نقل القرآن والعقيدة الإسلامية من كتب النصارى وأن أمية محمد أسطورة فهو أكثر علما من الناس أجمعين ولا يعجبة كلام القرآن **﴿وما كنت تتلو من كتاب ولاتخطه بيمينك إذ لإرتاب المبطلون﴾** ويبحث عن دليل على ذلك فيقول أن الرسول قال لجبريل ماأقرأ (**بدل ماأنا**

بقارىء) إلى غير ذلك من اللغط الذى لا أحب الخوض فيه- المهم أن يستدل على صدق حديثه بما أورده من اقتباسات من الكتب المختلفة محرفة على هواه فى تأويلها.

وبداية يجدر بنا أنْ نقول أن الإسلام يؤمن بأن أصل الديانات وكتب السماءوالإنجيل والقرآن والتوراة من عند الله ومصدرها الأول هو السماء فوجود قدر مشترك بينها جميعا من أبسط البديهيات مادام مصدرها جميعا من عند الله فإن اتفق الاسلام مع بعضها كان وسام شرف يصدق ما سبق وأن تناقض مع بعضها فسبب ذلك أن يد البشر قد عبثت ببعض الكتب السابقة أما دليل التحريف فهو اعتراف البولسيون بتحريف النصارى واعتراف النصاري بتحريف المسيحيين فهذا إذا اتهام قائم من كلا الفريقين للآخرأما اليهود فقد أتهم السامريون منهم العبرانيين بالتحريف واتهم العبرانيون السامريين بالتحريف فالتحريف حقيقة واقعه لامناص منها أورده القرآن وصدقه الواقع.

المهم أن القرآن دائما يتفق ويختلف فيتفق مع شيء وهو إذا بالضرورة يختلف مع آخر.. وسوف أورد القرآئن أوالمراجع التى رجع إليها الكاتب العبقرى ليثبت صدق ادعائه بأن القرآن نقل من كتب الأولين .

(١) التوارة (العهد القديم) وهو يزيد على الف ومائه صفحة وحده ويجب أن نعلم أن العصر الذى عاش فيه محمد كان الناس فيه يكتبون علي قماش وعظام وغير ذلك- وكان كتبه الوحى يفعلون ذلك وكان جمع القرآن مهمة شاقة لها خطرها.

فالحصول علي مخطوط من صفحات قليلة كان عملا جليلا فى حد ذاته تلك الأيام فلم تكن هناك كتب ومطابع ولكن كان كل كتاب يعتبر كنزا ثمينا فى حد ذاته.

(٢) الأنجيل العبرانى الأصل أوهوالذى لم يعثر عليه أحد حتى الآن وما يوجد هو مجرد مقتطفات هنا وهناك(٣) التلمود (٤) الترجوم وهو تفصيل أو تفسير متكامل للتوارة. (٥) انجيل يعقوب (رسالة يعقوب إلي الاسباط الاثنا عشرفي الشتات) (٦) انجيل بطرس (٧) بلاغات بطرس (٨) انجيل الاثنى عشر رسولا (٩) تعليم الرسل (١٠) الذيذاخى (١١) انجيل الطفولة النصرانى (١٢) اعمال يوحنا (١٣) انجيل توما. (١٤)

رساله برنابا (١٥) كـتاب اخنوخ (١٦) اخنوخ الثانى (١٧) عـهود الآباء (١٨) إسراء أشـعياء (١٩) رسالة الغـفران للكسائى (٢٠) كـتاب الراعى لهرمس (٢١) الاشارات لهيـولت . ثم ضقت ذرعا بحصر الكتب جميـعا فتوقـفت عن تسجيل باقى الكتب- ولا أدرى بأى اللغات كتبت هذه الكتب ومن الذي قام بترجمتها لمحمد أم أنه كان يقرأ بجميع اللغات وأين كان محمد يضع هذه الكتب والمراجع لوأن الكاتب صدق لكان ذلك وحده دليـلا علي نبوة مـحمـد هل كان محـمد يحـتفظ بمكتبـة الإسكندرية فى اللآهوات حتى يعـرف دقائق جميع فئـات النصارى وأسرار دينهم وماذا صنع مـحمد عند ما هاجر إلى المدينه؟ هل أخذ معه تلك الكتب ليكمل الحلقات الخطيرة من القرآن ومتـى كان يقرؤهـا وهو يجتـمع كل يوم بدار الأرقم مع المسلمين يلقنهـم تعـاليم دينهم وأين كان أعداؤه أبولـهب وأبو جهل؟ لماذا لم يكشفوا أمـره حتى جاء عبـقرى القرن العشرين وفي المدينـة أين احتفظ بهذه المكتبـة - الثمينة كلها وأين كـان المنافقون وأين كان اليهود وأين كان أبو عامر النصراني الذي تآمر مع الروم هو ومنافقو المدينة؟

لقـد كان في بيت رسـول الله تسع زوجات كـان من بينهن ماريا الـقبطيـة وصفـية اليهودية التي قتل المسلمون أباها وزوجها وبنت أبي سـفيان زعيم معسكر الشرك - لو لم يكن محـمد صـادقا لكشف هؤلاء جمـيعـا سره لقومـهم . ليس في حيـاة الرسول أسرار تختـفي فكل حيـاته داخل وخارج بيتـه كانت في النور وسوف أقـدم في الجزء البـاقي نموذجين لما يسـمـيـهم الكاتب نقـلا لأثبت أن الإسـلام يأخـذ الحـقـائق ويتـرك الأساطير. يتـرك الغث ويأخذ السمين فما كـان حشوا من صنع الملفقين تركـه وما كان حقا أتي به نموذجين أقدمهما من كلام الكاتب .

(١) قـصة أدم ص ١٧٦ وسجـود إبليس . سيـرة آدم وحواء ١٢ ف ٦ [قال إبليس متنهدا ياآدم كل عـداوتى وحقدى وألمى يتجه إليك فإنه بسـببك طردت وانتزعت منى كل العظمة التى كنت أتمتع بها بين الملائكة وبسببك أسقطت علي الأرض- أجاب آدم مـاذا عملت لك؟ مـا هو ذنبى معك؟ لماذا تـلاحقنى؟ أنا الذى لم أهنك ولم أجـرحك

بشيء/ أجابه إبليس : لما كونت نفيت من حضرة الله ورذلت من صحبة الملائكة- لمانفخ الله فيك نسمة الحياة وخلق وجهك ومثالك علي صورة الله- جاءبك ميخائيل وأمر بعبادتك بحضرة الله وقال الله هو ذا آدم لقد خلقتك على صورتى كمثالى- وصعد ميخائيل وقال للملائكة اعبدوا مثال الله الرب الأزلى كما أمر الرب. وميخائيل هو الأول عبد . ثم صرخ في قائلا اعبد مثال الله الأزلى فأجبت مالي أن اعبد آدم إنه أصغر منى وأحدث منى . قبل خلقه كنت مخلوقا فهو الذى عليه أن يعبدنى ولما سمع الملائكة الذين أحكمتهم أقوالى أبوا أن يعبدوه فقال ميخائيل اعبد مثال الله واذا لم تفعل يغضب عليك فقلت إذا غضب أنصب عرشى فوق نجوم السماء. فأصير عديل العلي فغضب الله الرب علي وطردنى من سناه مع ملائكتى فهكذا بسببك طردنا من مساكننا وسقطنا إلي الأرض] ونجد هذه القصة نفسها ٢ باروخ ك٥٦ ف ١٠- هذه قصة سجود الملائكة وثورة إبليس ترد فى القرآن سبع مرات. (كلام الكاتب) .

هذه قصة آدم مع الملائكة وقصة إبليس وطرده من معيه الملائكة والتى يزعم الكاتب أن القرآن نقلها من تلك الاسفار. ولا أجد داعيا أن أنقل قصة القرآن لعقد مقارنه مع القصة لان القصة سوف نقدم فى فصل الصلب والفداء كاملة من سورة الاعراف ١١ - ٢٥ وسوف تناقش تفصيلا لذلك أبدى للقاريء بعض ملاحظات

(١) القصة كما هى أمامى الآن فى باروخ وغيره أشبه بأسطورة من أساطير اليونان قد تصلح لكى تكون أسطورة جميلة يتسلي بها اليونان أو غيرهم ولكنها لا تصلح أن تكون جزءا من كتاب الله عز وجل فمن السذاجة أن نتصور أن الله عز وجل يأمر الملائكة بعبادة آدم فالله هو وحده المعبود- ولكن السجود هو مجرد انحناء وطاعة لأمر الله عز وجل وإقرار بأفضلية - آدم على الملائكة لما أودع الله فيه من العقل والعلم فالسجود هنا ليس عبادة ولكنه امتثال لأمر الله عز وجل كما نتجة إلى الكعبة فى سجودنا لأمر الله والسجود كان مرة واحده للاختبار سقط بعدها إبليس . أما كون

آدم على صورة الله عزوجل فسوف نناقش ذلك في فصل الجسد والحلول وسباتي بعد ذلك تفصيله– فالله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

(٣) أن التنهدات والآهات الدرامية التي يستثيربها الكاتب عطف الناس على إبليس تليق بالأساطير اليونانية كذلك. والديالوج من وضع كاتب عبقري.

(٤) أن إبليس كان ناجحا بحيث ضحك على الخالق وضم اليه الملائكة الذين أحكمتهم أقواله فساروا وراء حكمته وأحدثوا نوعا من التمرد في الملكوت السماوي في أعلا السماوات .

(٥) وأخذ إبليس يهدد بأن ينصب عرشه فوق النجوم ويصير منافسا خطيرا للخالق.

هل تليق كل تلك الاقوال بكتاب سماوي؟ لقد جرني الكاتب إلي المناقشة فاضطررت إليها ما أراه نسبه إلى الله عز وجل ليس كتابا من عند الله بل هو في أبسط صوره واكثرها تهذيبا أسطورة كتلك التي حكيناها سابقا عن آدم وشجرة الخلد وحدوث حالة طوارىءفي السماء نتيجة أكل آدم من شجرة المعرفة وهو شيء لا يليق بالقرآن ولا ينقله القرآن والقصة موجودة في فصل آخر.

القرآن يقول ﴿**فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا إبليس**﴾ (سورة ص).

فليست هناك اذا حالة من حالات التمرد في السماء ولم تتعرض السماء لكارثة ولايتجرأ إبليس برفع صوته أكثر من قوله ﴿**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ فطرد إلي الأبد اما الحشو الدرامي فأمر لا يليق بالإسلام.

اما الحالة الثانية التي اقتبسها وأجدها قصة مشرفة إلى حد ما فهي ماجاء في حديث المهد ص ٦١٥ وص ٦٥٨

الإنجيل بحسب يعقوب [حنة امرأأة عمران تنذر جنينها لخدمة الرب في هيكلة ٤ / ١ ثم تقدم الطفلة الرضيعة في هيكل الرب وأنزل نعمته عليها ٣/٩ وفي الهيكل كان رزقها يأتيها من الله عز وجل بواسطة ملاك وفي خطوبتها يخاطب زكريا الكاهن

قومها ليأت كل واحد منكم بقلمه ومن تظهر عليه معجزة الرب يكفل مريم- ويذكر إنجيل البشارة ظهور الملاك منفردا لمريم وفى انجيل يعقوب تقول مريم إذ أنى أحمل بالرب إله الحياة فهل ألد كما تلد كل أمرأة؟ فالقرآن مثل إنجيل النصارى يؤكد على بتولية مريم (كلام الكاتب) وأعجب هل هذا التاكيد يضايق الكاتب؟ هل بتوليه مريم شىء يحزنه؟

وفي ص ٦٥٨ إنجيل يعقوب – مريم العذراء تنتبذ من أهلها خلوة تعتكف فيها فيأتيها ملاك الله بشر ا سويا فتحمل بإشارة منه وتشعر للحال بالمخاض فتلجأ لجذ ع نخلة وتضع طفلها وللحال تتفجر عين ماء ترتوى منها وتثمر نخلة يابسة كانت قريبا منها فتأكل ثم تحمل وليدها إلي قومها فيستنكرون منها أنها عذراء تصير أما ويتهمونها بالزنا وللحال ينطق الوليد ويبرىء أمه. ويذكر الإنجيل النصرانى معجزتا النهر والنخلة المثمرة وكذلك إنجيل النصارى العبرى. بصرف النظر عن التفاصيل فلا شك انها قصة مشرقة.

هذه قصة مريم البتول تتربى فى الهيكل تحت سمع وبصر زكريا عليه السلام ويأتيها رزقها مع الملائكة ثم يأتيها جبريل فتحمل ثم يواسيها الملاك والمعجزات تشد أزرها في شدتها وهذا المسيح ينطق ليبرى أمة فى ساعه العسرة.ماذا يضير المسيحى من هذه القصة المشرفة ولماذا انكرتها أناجيل بولس ورفاقة؟

القرآن لو سلمنا جدلا ليس به غير القصص المشرفة .لماذا ينكر المسيحيون تلك القصص؟ والجواب واضح وصريح مريم الملائكة قصة لا تتمشى مع مريم رفيقة يوسف النجار فى رحلاته؟

يسوع الذى برأ أمه تلك القصة لو ذكرت لدمرت كل ما يردده بولس عن يسوع بن يوسف . فيسوع النبى الذى نطق فى المهد لا يسمح بمكان ليسوع بن يوسف.

واختاروا ما يعجبكم لكم دينكم ولي دين.

***

(٥) الطب والسحر فى العهد الجديد

يرتبط الطب والعلاج ومعجزة الشفاء بالنسبة للمسيح وتلاميذه في الأناجيل برباط وثيق مع الأرواح الشريرة التى تسكن الجسد فتسبب له الأمراض وخاصة العصبية فالمفلوج أو المصروع والأخرس أوالمجنون وغيرهم يشفيهم المسيح أو تلامذته بأن يأمروا الأرواح الشريرة أو الروح الشرير الذى يتقمصهم فيخرج مذعنا للأمرويولى هاربا.

هكذا فعل المسيح وهكذا فعل يولس وهكذا أيضا حاول بعض السحرة والدجالون من اليهود الطوافين المعزمين فتمردت عليهم الأرواح الشريرة (على اليهود) وأصابت المعزمين بجروح وآلام.

ورغم أن العهد القديم قد حاول بشدة قطع العلاقة نهائيا بين الناس والسحر والأرواح الشريرة فقال فى لاويين ٢ / ٢٧ .

[إذا كان رجل به جان أو تابعة فإنه يقتل بالحجارة دمه عليه]

هكذا حاول العهد القديم ونجح إلى حد كبير فى قطع العلاقة بين الناس والسحر والشياطين وقد فرض حكم الإعدام علي من يفعل ذلك وهى كبيرة من الكبائر ولكن قارىء الإنجيل يلمس العلاقة الوثيقة بين الشفاء وبين الأرواح وفكرة ارتباط المرض بالأرواح الشريرة فكرة قديمة جداً واستمرت حتى زمن قريب وكانت هذه الأفكار معروفة لدينا فى مصر وغيرها شائعة بين العامة والجهلاء بشكل خاص وربما تكون موجودة إلي اليوم بشكل متخفى- فكان الناس يذهبون إلي العرافين طلبا للشفاء ويحكى لهم هؤلاء العرافون بعض أسرارهم الخاصة التى يحصلون عليها بطرقهم ثم يقرأون التعاويذ ويحررون الطلاسم ويعلقون الأحجبة بغية التخلص من الأرواح الشريرة أو يدقون الطبول . تلك الأرواح التى تتقمص الرجل أو المرأة على السواء في مفهومهم فتنجح التعاويذ بعد أن تفوح رائحة البخور ويوقن المريض بصدق العراف فتهدأ حالته النفسيه ثم يعاوده المرض فيطلب العلاج من جديد.

هذه الفكرة قديمة وارتباط العلاج في مفهوم العامة بالأرواح تارة وبالتمائم والعرافين فكرة معروفة لدى الشعوب المتخلفة حتى اليوم وخاصة عندما يكون مرضا عصبيا طويل العلاج– ولكن هل يعترف الطب والعلم الحديث بمثل هذه الأفكار؟

هل المفلوج شخص تسكنه الأرواح الشريرة وهل المجنون كذلك؟

هل عجز الأخرس عن الكلام لأن الأرواح الشريرة تمسك لسانه؟ ثم هل يمكن أن يسكن الجسد الواحد سبعه أرواح شريرة مثلا؟ وهل يتسع أحيانا ليسكن فيه ألفى روح؟ وسنرى بعد ذلك كيف نجح المسيح فى نقل هذه القدرة الخاصة إلي تلاميذه وكيف نجح بولس هو الآخر أن يتحكم في هذه الشياطين فأصبحت تخشاه وتهابه.

مرقس اصحاح ٦ / ٧ [ودعا (المسيح) الاثنى عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين وأعطاهم سلطانا علي الأرواح النجسة].

وفى بعض الأحيان يأمر المسيح الشياطين ألا تبوح بالسر أو يمنعهم من الكلام مرقس ١ / ٣٢ [ولما صار المساءإذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقماء والمجانين فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه].

وفى مرقس ايضا إصحاح أول / ٢٠ [ثم دخل كفرناحوم وكان في مجمعهم رجل به روح نجس فصرخ قائلا آه ما لنا ولك يا يسوع الناصرى فانتهره يسوع وقال له اخرس وأخرجه منه فصرعه الروح النجس وصاح بصوت عظيم وخرج منه].

وهكذا تدور مناقشة صريحة بين المسيح والروح الشرير فانتهره المسيح لأنه يريد أن يظل الأمر سرا وأن كنت لا أفهم لماذا وفى مرقس ٣ / ١٠ [لأنه قد شفى كثيرين حتى وقع عليه ليلمسة كل من فيه داء والأرواح النجسة حينما نظرته خرت له وصرخت قائلة إنك أنت ابن الله وأوصاهم كثيرا ألا يظهروه]

وهكذا ورغم أن الأمر قد تم علنا وأمام الكثيرين فإن المسيح قد أوصى الشياطين ألا تظهر السر أو تكشفة أما االشياطين فقد خرت له وآمنت به قبل أن يؤمن به أكثر الناس

فكانت أسبق منهم إيمانا ويواصل نفس الإصحاح الكلام [ثم صعد الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه وأقام اثنى عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان علي شفاء الأمراض وإخراج الشياطين].

وأحيانا يسكن الجسد الواحد أكثر من شيطان لوقا ٨ / ١ .

[وعلى أثر ذلك كان يسير في مدينه وقريه يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنى عشر وبعض النساء قد شفين من أرواح شريرة وأمراض ومريم المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين وفي مرقس ٥/١ [وجاءوا إلى عبرالبحر إلى كورة الجدريين – ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس كان مسكنه القبور ولم يقدر أحد أن يربطه بسلاسل لأنه قد ربط كثيرا فقطع السلاسل وكسر القيود وكان دائما ليلا ونهاراً فى الجبال وفى القبور يصيح ويجرح نفسه–فلما رأى يسوع من بعيد ركض إليه وسجد له وصرخ بصوت عظيم مالى ولك يا يسوع ابن الله العلى استحلفك بالله ألا تعذبنى لأنه قال اخرج من الإنسان– وسأله ما اسمك– فقال لجيون لأننا كثيرون وطلب اليه ألا يخرجه خارج الكورة وكان هناك عند الجبل قطيع كبير من الخنازير وطلب إليه كل الشياطين قائلين أرسلنا إلي الخنازير لندخل فيها فأذن لهم يسوع للوقت فخرجت الأرواح النجسة ودخلت فى الخنازير– فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر فاختنق فى البحر وكانوا نحو ألغين– وأمارعاة الخنازير فهربوا وأخبروا فى المدينة وفى الضياع فخرج الناس ليروا ماجرى وجاءوا إلى يسوع فنظروا المجنون الذى كان فيه اللجيون جالسا ولا بساً وعاقلاً فخافوا وحدثهم الذين رأوا ما جرى للمجنون وللخنازير] وهكذا ينقل إلينا مرقس قصة مفصلة لألفين من الشياطين كانت في شخص واحد فأصابته بالجنون وعندما أمرها يسوع بالخروج ودخلت فى قطيع من الخنازير يبلغ الألفين اختفت الخنازير ملقية بنفسها في البحر.

أما بولس فقد حكى عنه تلميذه لوقا فى الأعمال أنه كاد يتفوق على استاذه ٥ / ١ اعمال ١٩ / ١٢ . [وكان الله يصنع على يد بولس قوات غير معتادة حتى كان يؤتى

عن جســدة بمناديل ومآزر إلي المرضى فتزول عنهم الأمـراض وتخـرج الأرواح الشريرة].

وهكذا أصبحت مجرد ملامسة المناديل وغيرها لجسد بولس كفيلة بشفاء المرضى وطرد الأرواح من الذين يستعملون هذه المناديل أو المآزر وفى ص ٢٢٦ اعمال ١٩ بعد النص السابق.

[فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزّمين أن يسمى علي الذين بهم الأرواح الشريرة باسم يسوع قائلين نقسم عليك بيسوع الذى يكرز به بولس- وكانوا سته بنين لسكاوا رجل يهودى ورئيس كهنه الذين فعلوا ذلك فأجاب الروح الشريرة- وقال أما يسوع فأعرفه- وبولس أعلمه أما أنتم فمن؟ ثم وثب عليهم الإنسان الذى فيه الروح النجس وقوى عليهم حتى خرجوا من ذلك البيت عراة ومجرحين وصار هذا معلوما عند اليهود والساكنين فى أفسس].

فالتعامل مع الشياطين وإصدار الأوامر لهم أحد الخوارق الرئيسية للمسيح وتلاميذه وبولس- وحتى اليهود حاولوا اختراق ذلك الطريق ففشلوا وأترك ابداء الرأى فى هذه الأمور للطب الحديث.

***

٦- معجزات المسيح فى القرآن والأناجيل

فى آيه واحده من سورة آل عمران ٤٩ أوجز القرآن أكثر معجزات المسيح **﴿ورسولا إلي بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآيه من ربكم أنى اخلق لكم من الطين كهيئه الطير فانفخ فيه فتكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمة والأبرص وأحى الموتي بأذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لايه لكم أن كنتم مؤمنين﴾**.

أوجزت هذه الاية الكريمة معجزات كثيرة للمسيح أولاها وأعظمها وليس بعظيم علي الله أن المسيح عليه السلام كان يصنع أشكالا من الطين على هيئه الطير ثم ينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله تعالي

هذا نوع من الآيات لم تشر إليه الأناجيل القانونية التى يتداولها المسيحيون وإن كان قد ذكر فى أناجيل النصارى وبالطبع فإن هذا النوع من الأعجاز أعلى درجة من إحياء الموتى فالميت يكون أصلا مستوفيا شروط الحياة بأجهزته وكيانه ولحمه ودمه وعظامه لكن الحياة توقفت فيه أما الاشكال الصماء من الطين فهي فاقدة الحياة أصلا وتحولها إلي كائن حى درجه أعلى في الأعجاز وبهذا ذكر القرآن معجزة أكبر في حجمها من حجم المعجزات التى ذكرتها الأناجيل المتدوالة

الثانية إبراء الأكمه- والأكمه هو الذى ولد أعمى ولم تشق عينيه أصلا وهى مرحلة أبعد من مجرد العمى. وهذه الصورة قد تكون موجودة ولكنها غير واضحة المعالم فقد تشير معجزات المسيح لرجل اعمى ولد أعمى بشكل ما. الثالثة والرابعة يبرىء الابرص ويحى الموتى بإذن الله وهذه معجزات ذكرها القرأن وذكرتها الأناجيل بفارق هو أن معجزات الشفاء فى الأناجيل قد ربطت بالأرواح الشريرة بينما ربط القرآن جميع المعجزات بإذن الله عز وجل وبإرادته وقدرته وقطعت العلاقة بينها وبين الشياطين أما الخامسة وهى الحديث بأسرار البيوت والكشف عنها فقد- انفرد

القرأن بها فهو يخبر أصحابه بما يأكلون ومايدخرون فى بيوتهم ثم تأتى آية المائدة.

﴿إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم- هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء- قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالو نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين(١١٣) قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين(١١٤) قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فأنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ وقد اختزلت الأناجيل هذه المعجزة فى صورة أكثر تواضعا فجعلت المسيح يقدم خبزا عددا من القفف وسمكات بسيطه ولكنها تكفى الآلاف من المتجمهرين فبدل مائدة تنزل من السماء وبها مايعلم الله من صنوف الطعام أصبحت سمكات وقففا من الخبز والفرق كبير وقول الله عز وجل **﴿تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا﴾** يخيل إلى أن المسيح احتفى بهذه المناسبه وجعلها عيداً وربما كانت هى أساس مايسمى بالعشاء الربانى قبل التحريف ومن ثم فإن المقارنة بين معجزات المسيح فى القرآن والأناجيل تفيد

(١) حذف بعض المعجرات مثل حديث البيوت

(٢) اختفاء مصادر بعض هذه الآيات وعدم الاعتراف بها(النفخ فى الطير)

(٣) تشويه بعضها بنسبته إلى الشياطين.

(٤) اختزال بعضها اختزالا مخلا .

(٥) ضياع معجزة المهد.

وثمة معجزة غريبة ذكرتها الأناجيل على اعتبار أنها أولى معجزات المسيح وفاتحتها- يوحنا اصحاح ٢/أول الاصحاح.

[وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل ودعى يسوع] وتلاميذه فلما فرغت الخمر قالت أم يسوع له- ليس لهم خمر قال لها يسوع] مالى ولك ياامرأه لم تأت ساعتى بعد قالت أمه للخدام مهما قال لكم فأفعلوا-وكانت سبعة أجران من حجارة

موضوعة هناك حسب تطهير اليهود-يسع كل واحد مطرين أوثلاثة-قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء- فملأوها إلى فوق- ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ- فقدموا ولما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول إلى خمر ولم يكن يعلم من أين هو. ولكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا- دعا رئيس المتكأ العريس وقال له: كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن هذه بداية الآيات التى فعلها يسوع فى قانا الجليل فأظهر مجده وآمن به تلاميذه].

وهكذا تكون أولى معجزات المسيح هى صناعة الخمر الجيدة فى قانا الجليل.وأذكر هنا قصة تحضرنى بهذه المناسبة حدثت لرسول الله محمد وهو بعد طفل صغير فى مكة- تاقت نفس الطفل يوما أن يذهب إلى عرس لأحد شبان قريش ويشهد سامره وتحكى السيرة أنه بينما كان الصبى الصغير يمشى أحس بثقل فى رأسه فأسندها على صخرة فغشاه النعاس فما أفاق حتى انفض السامر.

أبى الله أن تكتحل عين الصبى الذى يعده ليشيع النور فى العالم بمشهد من مشاهد اللهو والمجون-من غناء ولهو-وهو ما يزال طفلا لم يعرف أعباء الحياة أبى الله عليه ذلك فنام حتى لا يمر أمام عينيه مشهد من مشاهد إبليس.

وعيسى كمحمد والأنبياء من طينة واحدة- هذا مجلس لهو وطرب وخمر يتجرعها الناس ويملأون منها بطونهم وهذه أم المسيح تطلب منه الخمر وهو يرد عليها [مالي ولك ياامرأه] فهل يليق هذا الرد ينبى؟

ألم يبق من المعجزات غير توزيع الكئوس في مجالس اللهو في افسس ٥ / ١٨ [لا تسكروا بالخمر الذى الذى فيه الخلاعة والمجون]

هل كانت هذه فاتحة معجزاته التى جعلت تلاميذه يؤمنون به؟

ثم أعود هنا لأوجز موقف الأناجيل من المسيح فأقول

(١) أجمعت الاناجيل علي أن المسيح ابن ليوسف النجار بينما نسبه الإسلام لأمه

(٢) ذكر متى بناء على ذلك فى نسب المسيح أمهات أربع لا يشرفه الانتساب إليهن.

(٣) أنكرت الأناجيل أو أهملت معجزة الميلاد وحديث المسيح فى المهد لكى يبرىء أمه.

(٤) ربطت الأناجيل بين الأرواح الشريرة ومعجزة الشفاء.

(٥) حذفت معجزة الطير وحديث البيوت اللذان ذكرهما القرآن واختزلت معجزة المائدة.

(٦) بدأت معجزات المسيح بتوزيع الكئوس فى عرس قانا الجليل .

(٧)حكت عن مريم مرافقتها ليوسف النجار ومشاركتها له رحلته إلى مصر ذهابا وإيابا وإقامتها معه اثنى عشر سنة بغير اقتران .

أليس من العجيب أن يكون الإسلام أكثر إنصافا لنبى الله عيسى من الذين انتسبوا إليه وربطوا اسمهم باسمه..؟

***

(٧) متناقضات

كنت فى بداية الأمر جعلت بابا منفصلا لهذا الموضوع ثم أدمجت أجزاء كثيرة منه فى أبواب الكتاب المختلفة لذا أشير بسرعة إلى تلك النقاط قبل أن أضيف ما استجد لى حول هذا الموضوع.

(١) فى باب أين يهوذا ذكرت روايتين مختلفتين لنهاية يهوذا إحداهما فى متى والأخرى فى أعمال وأوضحت كيف عجزا عن الاتفاق حول هذا الموضوع.

(٢) فى باب نسب المسيح وهو أخطر موضوع يتعلق بالمسيح تناقض كل من متى ولوقا حول سلسلة النسب رغم أن كليهما قد بدأ بيوسف فمتى جعل يوسف بن يعقوب وواصل النسب حتى سليمان ابن داود أما لوقا فقد ذكر يوسف بن هالى ثم واصل حتى ناثان أخو سليمان بن داود أسماء مختلفة تماما عدا وأسماءًا.

(٣) فى الباب التاسع حول التلاميذ سيأتى الخلاف حول أسماء التلاميذ ما بين كل من متى ولوقا وقد اتفقا حول تسعه أسماء ثم ذكر متى(١٠) سمعان القانونى(١١) ولباوس الملقب يتداوس أما لوقا فقد ذكر(١٠) سمعان الغيور(١١) يهوذا ابن حلفى ثم اتفقا أخيرا على يهوذا الاسخر بوطى فهناك خلاف حول اسمين من تلاميذ المسيح الاثنى عشر.

(٤) فى باب البشارات في العهد القديم فى البشارة التاسعة حول دخول المسيح إلى أورشليم ذكرنا روايات متى ومرقس ويوحنا فمتي ذكر كيف أرسل المسيح تلميذين أتيا بحجش وإتان ركبهما المسيح أما يوحنا فقد قال عن المسيح وجد جحشا فركبة ولم يذكر التلميذين وهكذا اختلف الثلاثة حول الأسلوب الذى دخل به المسيح أورشليم .

(٥) الملك الأبدي

في لوقا ١ / ٣١ [قال ملاك الله جبرائيل لمريم عليها السلام:

ها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع وهذا يكون عظيما وابن العلى يدعى

ويعطيه الرب كرسي أبيه داود ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولايكون لملكه نهاية].

كون المسيح نبيا شيء ولكن كونه ملكاعلى بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكة نهاية شيء آخر.

كون إسرائيل باتت دائما تحلم بالنبى الذى يأتيها ويعيد إليها أمجادها القديمة ومملكتها التى ضاعت شيء وانتقال هذ الحلم بالتأثير إلى المسيحية شيء آخر فباتت هى الأخرى تحلم بالملك الأبدى وعندما سأل بيلاطس المسيح- هل أنت ملك اليهود أجاب المسيح لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكيلا أسلم ليهود . وهكذا نفى المسيح عن نفسه صفة أو تهمة كانوا يوجهونها إليه وهى أنه ملك اليهود فقد كان اليهود يحلولهم أن يلصقوا به هذه التهمة لكي يوغروا صدرالحاكم الرومانى عليه- وبينما كان المسيح حسب روايات الأناجيل يحاكم ويصلب علقو فوقه كلمة ملك اليهود استهزاءا وسخرية. وهذا يوحنا يجيب على ذلك السؤال ١ / ١١

[إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله] والخاصة التى يذكرها يوحنا هم بيت إسرائيل بيت يعقوب خراف بنى إسرائيل الضالة التى كرس المسيح الدعوة إليهم فى أول دعوته فقال متى ٥ / ١٠ .[إلى طريق أمم لاتمضوا إلى مدينة للسامريين لاتذهبوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة].

ولكن خاصتة من بيت يعقوب ظلوا دائما فى معسكر الرفض- طاردوه وشوابه دسوا عليه كادوا للمسيحيين من بعده وظلوا حربا على هذه العقيدة- فلما تأكد المسيح من رفضهم الدعوة قال لهم «الحق اقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره» وغير المسيحيون المساراستنادا إلى آخر جملة فى متى [كرزوا للخليقة كلها] فبدأت الدعوة للأمم.

لقد تغير المسار بعد أن ثبت فشل الدعوة فى أرض يهود فمتى وكيف ملك المسيح علي بيت يعقوب ..؟

و عندما أحس المسيحيون بذلك كتب يوحنا رؤياه وبها أحلام مملكة الألف سنة. فما نصيب بشارة جبرائيل من الصحة؟

(٦) ميلاد المسيح متى إصحاح ٢ بأيجاز

(أ) ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية أيام هيردس اذا مجوس من الشرق قد جاءوا إلي أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود- فسأل هيرودس أين يولد المسيح فقالوا فى بيت لحم لأنه مكتوب وأنت يابيت لحم لست الصغرى لأن منك يخرج مدبرشعبي إسرئيل . بيت لحم هى مسقط رأس داود عليه السلام وذهب المجوس إلى أورشليم وإذا بالنجم الذى رأوه يتقدمهم ويدلهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبى فرأو الصبى وأمه . فهل تمشى النجوم؟ وظهر ملاك الرب ليوسف في حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف إلي مصر وكان هناك حتى وفاة هيرودس أما هيرودس فلما رأى المجوس لم يعودوا إلية كطلبة ويدلوه على المسيح أرسل وقتل جميع الصبيان التى فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون.

فلما مات هيرودس ظهر ملاك الرب ليوسف مرة أخرى وأمرة بالعودة لإسرائيل.

(ب) لوقا اصحاح ٢ [وفي تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر أن يكتتب كل المسكونه فصعد يوسف من الجليل من مدينه الناصرة ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد- وكان في تلك الكورة رعاة متبدون يحرسون حراسات الليل وإذا ملاك الرب وقف بهم وقال إنه ولدلكم فى مدينة بيت لحم مخلص هو المسيح وظهر معه جمهور من الجند السماوى مسبحين قائلين «المجد لله في الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» ولما تمت أيام تطهيرها (٤٠ يوما) حسب ناموس الرب قدموا ذبيحة فرخى حمام أو زوج يمام- ولما أكملوا كل شيء حسب نامرس الرب رجع إلي الجليل إلى مدينتهم الناصرة وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح وكان أبواه يذهبان إلي أورشليم كل سنة فى عيد الفصح].

هاتان قصتان حول ميلاد المسيح الأولى تحكى كيف عرف المجوس الوثنيون بميلاد

المسيح من استطلاع النجوم وجاءوا يبحثون عنه وعن مكانه فلما أحس هيرودس بالخطر تحسس أخبارهم وسأل عن مكان مولد المسيح فذكروه ببشارة بيت لحم وهى مسقط رأس داود مؤسس إسرائيل وبانى مجدها وسار المجوس يتقدمهم النجم ويسير أمامهم حتى كشف لهم المكان ووقف النجم فوق رأس الأم والوليد (لا أدرى كيف تسير النجوم) ولما لم يعد المجوس إلي هيرودس وأحس بخطر المولود الجديد كما تخوف فرعون من مولد موسى . أقام مذبحة لكل أطفال بيت لحم دون السنتين وإن كان الفارق بين مولد موسى ومولد المسيح كبيرا فموسى كان مصدر قلق حقيقى لفرعون وكان سببا لمصرعه أما المسيح فلم يكن مصدر قلق لأحد بل كان اليهود دائما مصدر قلق ومتاعب له لا تنتهى فالمقارنة بينهما غير منصفة ولكن على أى حال هرب الصبى من بيت لحم ليلا إلي مصر ومكث فى مصر حتى هلك هيرودس فعاد فى أمان الله عز وجل تلك قصة متى. أما لوقا فيحكى قصة مختلفة تماما ليس فيها مذابح ولا قلق ولا مجوس بل فيها علي الأرض السلام وبالناس المسره يحكى لوقا كيف ذهبت أم الصبى لتكتتب وأنها لم تهرب ليلا بل بقيت إلى اليوم الثامن– عندما ما ختنوا الصبى ثم إلي الأربعين حين قدموا الأضحية فرخى حمام أو زوجى يمام وأكملوا الطقوس ثم سافروا فى أمان الله إلى الناصرة وكان الصبى ينمو ويتقوى وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح.

قصتان تنفي كل واحدة منهما الأخري– فهل هرب الصبى وأمه إلي مصر ليلا غداة مولده أم بقيا حتى اليوم الثامن ثم الأربعين ثم عاد إلي الناصرة وبقيا أعواما يزوران أورشليم؟.

هل بقيا فى مصر حتى موت هيردوس أم عاشا في الناصرة؟والغريب أن يظهر هيرودس هذا مرة أخرى فى محاكمة المسيح فى قصة الصلب مرة أخرى– فهل مات هيرودس وظهر غيرة بنفس الاسم ونفس المكان أم أنها قصة مختلفة وأيهما أصدق؟

***

(٧) الأيام الستة في العهد القديم : تكوين إصحاح : (بداية العهد الجديد).

(١) في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف علي الماء.

وقال الله ليكن نور فكان نور ودعا الله النور نهاراً والظلمة ليلا وكان صباح- يوم واحد .

(٢) وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلا بين مياه ومياه فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والتي فوق الجلد ودعا الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يوم ثان.

(٣) وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلي مكان واحد ولتظهر اليابسة . ومجتمع المياه دعاه بحاراً- وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا ببزر وشجرا يعمل ثمراً وكان مساء وكان صباح يوم ثالث.

(٤) وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل ولتكن الأوقات والأيام والسنون فعمل الله النورين العظيمين . النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم وكان مساء وصباح يوم رابع.

(٥) وقال الله لتفض المياه زحافات ذوات نفس حية وليطرطير فوق الأرض فخلق الله التنانين العظام وكل طائر ذي جناح وكان مساء وكان صباح يوم خامس.

(٦) وقال الله لتخرج الأرض ذوات نفس حية بهائم ودبابات ووحوش وقال نعمل الإنسان وكان مساء وكان صباح يوم سادس.

فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل فأستراح في اليوم السابع (يوم السبت) وبارك الله اليوم السابع وقدسة.ودراسة هذه النصوص توضح أموراً أولها.

(١) أن النهار والليل قد بدءا في اليوم الأول فخلق الله النهار ولم يكن هناك بعد نجوم ولاقمر ولاشمس ومع ذلك تواجد النهار والليل.

(٢) أن روح الله كانت ترف على الماء وكان الماء يغمر الكون فخلق الله عز وجل جلداً سماه السماء ليكون فاصلا بين مياه في السماء فوق ومياه علي الأُرض أسفل .

(٣) في اليوم الثالث استقرت البحار في أماكنها وبدأ الغلاف النباتى العشب وبقلا يبرز وشجرا له ثمر- أيضا قبل ظهور الشمس .

(٤) خلق الله عز وجل الشمس وهى النور الأكبر فى جلد السماء والهدف منها حكم الأيام والسنين.

(٥) بدأت حياة البحر بالتنانين العظام وكذلك الطيور على سطح اليابسة

(٦) خلق الله الأنسان

(٧) استراح وفرض الراحة على بنى إسرائيل تيمنا بذلك اليوم (السبت)يوم الراحة الاسبوعية.

وما نحن نعلمه هو أن النهار والليل هما دورة الأرض حول نفسها أمام الشمس ولانهار- بغير شمس- فالنهار- وما يبدو من ضوء هو أنعكاسات ضوئيه وتشتيت لضوءالشمس علي ذرات الغبار فى الفضاء أما خارج الغلاف الجوى، فيرى رائد الفضاء النجوم والشمس كتلا ضوئية حولها مناطق مظلمة- وللأرض ظروفها المختلفة وحتى على الأرض فالليل والنهار متواجدان فى وقت واحد- فى كل وجه من الأرض نصف اليوم.

(٢) هل السماءجلد- وهل فوقه مياه تغمر الكون.

ما نعلمه أن الماء لم يعثر عليه بعد إلا علي الأرض وتوجد سحب حول المريخ وهو كوكب صغير من توابع الشمس عدا ذلك لاماء ولا حياة حسب قول العلم.

(٣) هل النجوم والقمر والشمس على مستوى واحد فى جلد السماء مركبة هناك أم أنها أفلاك سابحة في الفضاء- العلم ينفى ذلك ﴿**الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى سته أيام ثم استوى على العرش**﴾ (٤ السجدة).

(٤) هل بدأت الحياة النباتية بالحشائش وبقلا يبرز وشجرا له ثمر قبل ظهور الشمس

وبغير التمثيل الضوئى؟

(٥) هل تمت نشأة الكون فى أسبوع من الأيام الأرضية واستراح الله فى اليوم السابع. تلك بديهيات بسيطة لاأعتقد أني فى حاجة إلي شرحها فالتسلسل العلمى يقول أن خلق الشمس تم قبل الأرض وكذلك النجوم. وأن الخلق تم على فترات كونية تقدر بملايين السنين ومن ثم فإن العلم لايمكن أن يلتقى بمعطيات هذا التسلسل أو يتقبله وسوف أطوف بالقرآن سريعا لأحكى بعض ما قاله القرآن عن الخليقة

(١) اليوم : **﴿أن يوما عند ربك كألف سنة مما يعدون﴾ ﴿في يوم كان مقداره خمسون الف سنة﴾**. اليوم في الحالتين السابقتين نكره وليس معرفا وهذا معناه أن اليوم يمكن أن يكون مرحلة من ألف سنة أو من خمسين ألف سنة والنكرة معناها أن الباب مفتوح لغير ذلك - ملايين السنين مثلا والله يلطف بعقول العباد فلا يريد أن يكشف للناس منذ آلاف السنين فى غمرات العصور المظلمة لا يريد أن يكشف لهم أكثر من ذلك رأفة بعقولهم.

(٢) **﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتارتقاففتقنا هما﴾** سورة الانبياء . أى أن الأرض والسماء كانتا كتلة سديمية واحده قبل تفتقها وانشطارها أفلاكا ونجوما وهذه نظريه علميه معروفه.

(٣) **﴿والسماء بنيناها بأيد [قوة] وإنا لموسعون﴾** الذاريات ومعناها أن الكون يتباعد عن مركزه ويتشتت تدريجيا وهذه حقيقه علميه.

(٤) **﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾** فصلت ١٠ .

بدأت الخليقة طاقة حرارية هائلة فالدخان حرارة+ذرات وتجمعت الذرات وتمركزت ودارت حول نفسها ثم بدأ ظهورالكتلة الكونية والمسماة بالسماء والأرض (السديم) وأوحى الله عز وجل إلي كل مدار وكل مجرة بأمرها ودستور جاذبيتها

ودورتها وحركتها وقوانين الكون– ثم خرجت الأرض من بينها وبدأت مراحل يرودتها– فمحيطاتها– فنباتها فحيوانها فبشرها...

واليوم سر من أسرار الله وطوله في علمه. ولا أرى داعيا للتفصيل أكثر فليس هذا بحثا كونيا ولكن الذى أنزل القرآن هو (الذي علم بالقلم علم الأنسان مالم يعلم)– ولكنه سبحانه يشفق علي العقول المحدودة– فيجعل العلم لغزا يعرفه العلماء اشفاقا علي العقول ذات العلم المحدود أن تضل. واكتفى بهذه الإشارة السريعة.

(٨) تاريخ البشرية

[اصحاح ٥، ١١، ٢١، ٢٢]

اسم الاب	السن عند الانجاب	اسم الاب	السن عند الانجاب
١–آدم	١٣٠	١٠– نوح	٥٠٠
٢– شيت	١٠٥	١١– سام ١٠٠	بعد الطوفان بسنتين
٣–انوش	٩٠	١٢–أرفكشاد	٣٥
٤– قينان	٧٠	١٣–شالح	٣٠
٥– مهللئيل	٦٥	١٤– عابر	٣٤
٦– يارد	١٦٢	١٥– فالح	٣٠
٧–اخنوخ	٦٥	١٦– رعو	٣٢
٨–متواشالح	١٨٧	١٧– سروج	٣٠
٩– لامك	١٨٢	١٨– ناحور	٢٩
١٩– تارح	٧٠	٢٠– ابراهيم	١٠٠
٢١– اسحاق	٦٠	٢٢– يعقوب	١٤٥

والفترة ما بين يعقوب وموسى عليه السلام وقت الخروج ٤٣٠ سنه تقريباً فإذا جمعنا هذه الأعمار حتى موسى عليه السلام كان عمر البشرية حتى موسى ٢٦٨١ يضاف إليها حوالي ١٢٠٠ ما بين موسى والمسيح ثم الفين بعد المسيح = ٥٨٨١

أى أن آدم ولد منذ أقل من ستة آلاف سنة والطوفان كان قبل مولد ارفكشار بسنتين في سنة ١٦٥٤ أو منذ حوالى أربعة الآف وثلاثمائة سنة تقريبا وإذا كان آدم قد عاش ٩٥٠ سنة وبذلك يكون الاهرام قبل الطوفان لا شك أن آدم رأى مينا مؤسس الاسرة الاولى وكان فى ريعان شبابه كما شهد بناء الأهرام... علماء الحفريات يقولون إن تاريخ الانسان على الأرض لا يقل عن نصف مليون عام.

إن مطابقة عمر الانسان علي الأرض حسب التوارة مع الواقع التاريخى والعلمى متنا فران تماما. وغير متطابقان أوحتى متقاربان بينهما بون شاسع.

هذه مجرد خطوط عامة للحوار العلمى مع الكتاب وأعرض لبعض المتناقضات بغير تفصيل.

هذا وقد تم جمع الأعمار المذكورة في هذه النقطة من تكوين اصحاح ٥ حتى نوح ثم اصحاح ١١ من سام حتى ابراهيم ثم مولد إسحاق اصحاح ٢١ ثم يعقوب اصحاح ٢٥...].

(٩) الجنة :

تعتبر الجنة من الموضوعات التى اختلف الرأى فيها بين العهد القديم والجديد والإسلام.

فالعهد القديم لم يطرق هذا الموضوع تقريبا.

ولقد سأل أحد الفريسيين المسيح يوما عن امرأة تزوجت عدة رجال لمن تكون فى الآخرة؟ فأجاب [لأنهم في الجنة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء] متى ٢٢ / ٣٠.

وهكذا سارت المسيحية كعهدها نحو الروحانية الخالصه أما الإسلام فله رأى آخر .

بدأ الإنسان رحلته على سطح الأرض كائنا من شقين روحى وجسدى فهو من هذين الشقين معاً ويواصل آخرته بنفس الأسلوب أما الملائكة فقد بدأوا رحلتهم في الدنيا كائنات جبلت على العبادة فقط ويواصلون رحلتهم فى الآخرة بنفس الأسلوب

لاحظ لهم في نعيم الجنة- يواصلون رحلتهم .التسبيح لهم كالطعام والشراب لنا . فمن الناس من حرم نفسه النوم ليعبد الله عز وجل ومنهم من حرم نفسه الطعام في النهار الطويل صوما لله عز وجل وحبس عينيه عن النظر إلي ما حرم فهذا جزاءه من جنس عمله فهو فى الجنة يتمتع فيها بثمرها وأنهارها بالنظر إلى الحور العين.

وبرغم النظرة الروحية للمسيحية فقد قدم يوحنا في الإصحاح الثانى والعشرين صورة بها مسحة من الجمال والمتعة ففى ذلك الإصحاح تهبط أورشليم (وهى جنةالله فى مفهومهم فى ثوبها الجديد ويسميها عروس الخروف وهى مدينة من الذهب الخالص لها اثنى عشر أساسا من الذهب مطعمة بالأحجار الكريمة كل أساس منها بلون متميز ولها اثنى عشر بابا كل باب منها لؤلؤة واحدة ضخمة وعلى كل باب اسم سبط من أسباط إسرائيل وعلى كل أساس اسم من أسماء رسل الخروف ويدخل إلي الجنة من كل سبط اثنى عشر ألفا ممن ختموا على جباههم وأسماؤهم مكتوبه فى سفر الحياة.

وفي وسط الجنة سوق به عرش الله – والخروف ساكن فيها (الخروف رمز المسيح) ويخرج من سوق الجنة نهر صاف كالبلور وعلى ضفتى النهر شجرتان (شجرتا الخلد) تعطى ثمرا كل شهر (اثنى عشر مرة فى السنة) وأورأقها شفاء للأمم.

وأمام العرش خلق كثير جدا من الأمم في ثياب بيض غسلوا ثيابهم بدم الخروف- يسبحون الله ويمجدون صاحب العرش ويقيس الملاك أورشليم طولها كعرضها كارتفاعها كل ضلع اثنى عشر ألف غلوة والغلوة ما يقرب من ثلث كيلو متر) أي أن ضلع الجنة ما يقرب من أربعة آلاف كيلومترهى مسكن المؤمنين أما النار فهى بحيرة من النار والكبريت ويسميها يوحنا الموته الثانية.

فإذا حاولنا عقد مقارنه بين جنة أورشليم وجنة عدن التى وعد الله عباده المتقين- حجما ونوعا: وعدد الداخلين فيها نقول إن الله عز وجل يوم القيامة يطوى السماوات والأرض ﴿**كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين**﴾ ثم تأتى الجنة ﴿**عرضها كعرض السماء والأرض**﴾ فالجنة هى البديل

للكون كله فى الآخرة هي والنار. ونحن نعلم حجم النجوم وأبعادها. فالجنة اذا بالمفهوم الإسلامي لا تقاس بالغلوة ولا بالميل وإنما تقاس بالسنين الضوئية فهى قدرة الله عز وجل وأعظم خلقه- ويقول الرسول ﷺ في حديث طويل يحكى فيه عن آخر أهل الجنة دخولا إليها- كيف يتوسل إلى الله أن يسمح له أن يطأ بقدمه أرض الجنة فيقول له عز وجل لك فيها مثل الدنيا ومثليها معها.

أى أن أدنى أهله الجنة منزلة وأقلهم فيها وآخرهم دخولا إليها سوف يعطيه الله عز وجل مثل الدنيا بما فيها ثلاث مرات فأورشليم الجديدة كلها و مسكن البشر أجمعين لاتعدو أن تكون أصغر من نصيب أدنى البشر جميعا في جنة عدن.

وحدث ولا حرج-الجنة حصباؤها اللؤلؤ والمرجان وملاطها المسك والزعفران وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة تجرى من تحتها الأنهار ﴿**مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير إسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى**﴾ وخمر الجنة لا يغتال العقل (لا فيها غول)- ولا يمنعون منه ﴿**ولاهم عنها ينزفون**﴾ أى لا يمنعون منها. إذا اشتهى مؤمن ثمرة تدلت في فمة فأكلها- وكلما ذاق ثمرة أنسته حلاوتها ماقبلها حتى تختلط الأمور فيقول ﴿**هذا الذى رزقنا من قبل**﴾ أى لقد ذقت هذه الثمرة قبلا فمن حلاوتها يكاد لا يفرق بين فاكهة وفاكهة- إذا تاقت نفسه لزيارة صديق تحركت الأسرة بأصحابها حتى تصل إلي من يريد رؤياه.

ثيابهم الحرير- ﴿**يحلون فيها**﴾ (أى يزينون فيها) ﴿**من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير**﴾. يدخل عليهم الملائكة من كل باب ﴿**سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ . عرق أهل الجنة المسك والزعفران- هكذا تخرج فضلات الطعام فلا أذى-على أجمل صورة من البشر خلقهم الله يتمتعون بالحور العين- لو نظر أحدهم إلي وجه أو عين أو أنف احداهن شهرا أو أبدا لم يشبع من النظر إليها يتأمل ما خلق الله من الجمال. فيها سوق كل اسبوع يرتقى في ذلك اليوم كل مؤمن درجة فيأخذ درجة أرقي وأعلى- فيلقى كل مؤمن ثيابه ومتاعه على من دونه ويجدد الله لهم

فيهاالمتاع.

أجمل ما فيها رؤية الله عز وجل التى حرم الناس منها في الدنيا فبعد أن تكتمل النعمة يسألهم- هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضى وقد نجيتنا من النار وأدخلتنا الجنة- وغفرت ذنوبنا-فيتجلى سبحانه وتعالى عليهم فتكون رؤيته خيرا من كل متاع الجنة ويقول لهم أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً- فإذا اختزلنا ذلك كله في كلمات نقول « **فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** ».

أما النار ففيها كذلك من صنوف العذاب مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر وقودها الناس والحجارة طعامها الزقوم ﴿**ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم**﴾.

إذا اعطشوا وأستغاثوا جاءهم النحاس المغلى شرابا فيمزق أمعاءهم وتنزل معها أحشاؤهم أما ثيابهم فمن قطران تأكل جلودهم ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلنهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب**﴾ بها عقارب كالبغال وثعابين كالجبال ومطارق من حديد تدق بها رؤوسهم ﴿**ولهم مقامع من حديد**﴾ يسيل صديد أهل النار أنهاراً ويضرب الله على أبصارهم فيصابون بالعمى- ثم يضرب علي أفواههم ﴿**اخسئوا فيها ولاتكلمون**﴾ إى ذلوا فيها ولا تنطقوا فيصابون بالخرس... خلود بلا موت.

نعوذ بالله من حرها وبردها- ففى لحظة من اللحظات يبدل الله عز وجل حرارتها برداً زمهريرا وخبراء العلم يعلمون أن درجة الحرارة لوهبطت إلى مائه تحت الصفر فقط فعلت بالجسم اكثر من فعل النا فتحرق الجلد تماما كالنار فما بالك لوهبطت آلاف الدرجات تحت الصفر..... نعوذ بالله من النار ومن عذاب النار ونسأله الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل.

فالذين تمتعوا في الدنيا بما حرم الله ليس لهم فى الآخرة إلا النار والذين التزموا بحدود الله لهم ثواب الآخرة ولا يفنى تلك مقارنه بين تصوارت الخيال البشرى المحدود وقدرة الله عز وجل بلا حدود.

ثم نعود للعدد فنقول في حديث للرسول صلي الله عليه وسلم يشفع عند الله عز وجل فيقال ادخل الجنة ومعك سبعون ألفا فيستقل العدد ويطلب المزيد فيقال له ومع كل واحد من السبعين ألفا سبعون الفا مثلهم.

فيكون عدد المؤمنين من أمة محمد الداخلين إلي الجنة حوالى الخمسة مليارات تقريبا فإذا قلنا أن عدد المسلمين اليوم فى الجيل الواحد يزيد على المليار قبلهم وبعدهم أجيال يعلم الله مداها أدركنا منطقية هذا الرقم فيدخل الجنة من كان في قلبه إيمان ومن مات على كلمة لا إله إلا الله خالصة نقية.

اذا عقدنا مقارنة بين ذلك الرقم وما قاله يوحنا مائه وأربعه واربعون ألفا من الشعب المختار وعدد الخارجين مع موسى وحدهم يصل إلى المليونين فى جيل واحد تزايدوا بعدها اكثر من عشرين جيلا حتى المسيح- ثم بعد المسيح أربعون جيلا لو احتسبنا قبل عيسى ١٣٠٠ سنة ستة وعشرين جيلا يمتوسط قدره اربعة ملاين لقلنا أن عدد اليهود من أتباع موسى قبل المسيح يزيد على المائه مليون يدخل الجنة منهم.......

$\frac{١}{٦}$ مليون فتكون النسبة ما يساوى واحد من كل ستمائه علي أقصى تقدير هذا هوالشعب المختارأما غيرهم فإن حجم الجنة كله محدود فهل يتسع لهم فيصل عدد المسيحيين مليارات كل جيل قد يصل مجموعها مئات المليارات أين مكانهم؟ لو قلنا أن من يدخل منهم إلى الجنة نفس النسبة (واحد من كل ست مائة) لكان كثيرا قلت إنها مقارنه بين خيال بشرى محدود وقدرة الله بغير حدود.

***

(٨) الأنبياء فى العهد الجديد

تحدثنا عن الأنبياء فى العهد القديم وقسمناهم إلى قسمين:

نوع يأتيه وحى من السماء أويأتيه كلام الله عز وجل ويكلفه بمهمة خاصة أو تحذيرلأسرائيل. ونوع آخر أشبه بالمتصوفة انغمسوا فى عبادة الله عز وجل وانعزلوا عن الدنيا وكرسوا أنفسهم للعبادة.

أما العهد الجديد فيبدوا أن له منظوراً آخر للنبوة فهى تقترن عادة بالدعوة والدعاة للمسيحية سواء كانوا تلاميذ أم لم يكونوا وفى هذه الحالة لا يكون هناك اشتراط لكلام من الله عز وجل أو رساله محددة فهم مجرد دعاة والنبوة بمعنى تنبؤ بالغيب والمستقبل وقد يكون هذا التنبؤ خيرا وقد يكون غير ذلك. وهناك أنبياء كذبة وأنبياء صادقون وبشكل عام لا نجد معياراً ثابتا لمعنى النبوة أو، تحديداً لشروطها. ففى اعمال ١٥ / ٣٠ ويهوذا وسيلا إذا كانا أيضا نبيين) ولاأدري من الذى أعطاها النبوة ويبدو وأنهما من رفاق الدعوة لبولس وفي أعمال ١١ / ٢٧ [وفى تلك الإيام انحدر أنبياء من أورشليم إلي أنطاكية].

وهكذا أنبياء بالجملة وربما كانوا دعاة ولكن من الواضح أن العهد الجديد كان شديد السخاء فى هذه الناحية ويبدوا أنه يقصد متنبئين فبعدها يقول [وقام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعا عظيما كان وشيكا أن يقع على جميع المسكونه مثل الذى صار أيام كلوديوس قيصر. وجمع التلاميذ حسبما تيسر. لكل منهم وأرسل كل واحد خدمة إلي الإخوة الساكنين فى اليهودية فعلوا ذلك مرسلين إلي المشايخ بيد برنابا وشاول.] فصدقه التلاميذ وجمعوا أموالا لمساعدة المقيمين فى اليهودية أو فلسطين وفى أعمال ١٣ / ١ مرة ثانية.

[وكان فى انطاكية أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان والذي يدعى نيجر لوكيوس القيروانى ومناين الذي تربى مع هيردوس وكان معهم يوحنا خادما.] أى كان هناك

أنبياء منهم التلاميذ ومن الأمم أحدهم روماني قيرواتى مع هيرودس أى رومانى كذلك من الأمم ومع ذلك كانوا أنبياء.

ويذكر الكتاب فى أعمال أن السحر كان شائعا في تلك الأيام وكان يجذب ويشد الكثيرين من العامة وربما الخاصة فيصدقون السحرة ويتبعونه أعمال ٨ / ٩ [وكان قبلا فى المدينه رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويدهش شعب السامره قائلا إنه شىء عظيم وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلي الكبير قائلين هذا قوة الله العظيمة وقد اندهشوا زمانا بسحره] والسامرة فى فلسطين في أرض الدعوة ومنبتها ومع ذلك فقد اتبعه الناس من الصغير إلى الكبير ووصفوا عمل السحر بأنه قوة الله العظيمة وهكذا يصف سذاجة الناس وفى أعمال ١٦ / ١٦ [وحدث أن جارية بها روح عرافة استقبلتنا وكانت تكسب مواليها كثيرا بعرافتها اتبعت بولس وقالت هؤلاء عبيد الله العلي فقال بولس للروح اخرج فخرج فى تلك الساعة فلما رأى مواليها أنه قد خرج رجاء مكسبهم أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلي السوق إلي الحكام وأتوابهما إلي الولاة وقالوا هؤلاء يبلبلان مدينتنا].

وهكذا كانت العرافة والسحر مصدراً طبيعياً للربح الوفير لأصحاب هذه المهنة فلما أخرج بولس الروح من العرافة جروهما إلي السوق وإلى الحكام وطالبا بمحاكمتهما لأنهما يبلبلان الناس هكذا أصبح السحر والعرافة منافسا خطير للدعوة وفى أعمال ١٣ / ٦ [ولما اجتازا الجزيرة (برنابا وشاول) إلي باقوس وجدا رجلا ساحراً نبيا كذابا يهوديا اسمة باريشوع وكان معه الوالى سرجيوس وكان رجلا فهيما فدعا الوالى برنابا وشاول وقاومهما عليم بالسحر] وهكذا حتى الوالي سر جيوس قرب إليه هذا الساحر وصدقه ودعا برنابا وشاول لمناظرته- وتحداهما الساحر العليم.

أما مجموعة الصفات العجيبة هذه (ساحراً نبيا كذابا يهوديا) فهى مجموعة غريبة من المتناقضات فهو يهودي ممن نزل عليهم تحريم السحر في تثنيه وهو ساحر كذاب ومع ذلك فهو نبى في مفهوم البعض- هذا الخلط العجيب من الألفاظ يدل علي

اختلاط الفكر الذي لم يعد يميز بين العرافة والدين وبين الدعوه الخالصة لله من ناحية والكذب من ناحية أخرى ففي اعمال ١٩/١٣. [فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا علي الذين بهم أرواح شريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس أن تخرج وكان هؤلاء سبعة أبناء لكاهن يهودي فأجابهم الروح الشرير -أما يسوع فأعرفه وأما بولس فأعلمه وأما أنتم فمن ؟ فوثب عليهم الرجل الذي به الروح الشرير فقوي عليهم حتي هربوا من ذلك البيت عراة ومجرحين].

ففي النصين السابقين نري كيف اندمج حتي اليهود وأبناء الكاهن السبعة وانخرطوا في هذا العمل المربح والتجارة الرائجة ولكن لسوء حظهم لقوا ما يسوءهم لأنهم تدخلوا في عمل بولس .

هؤلاء هم اليهود الذين نزل فيهم [لا تلتفتوا الي الجان ولا التوابع] [وإذا كان رجل أو أمرأة به جان يقتل] ولكنهم سايروا موكب الأحداث وركبوا الموجة مع الراكبين ويبدوا أن المسيح قدأحس بهذا الدور مسبقا وما سوف يتعرض له الناس من جراء ذلك فقال في متي ٧/ ١٥ [احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة] وفي متي ٢٤/ ١١ [لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة يعطون آيات عظيمة وعجائب حتي يضلوا لوأمكن المختارين] وفي رسالة بطرس الثانية [ولكن كان أيضا في الشعب أنبياء كذبة ومعلمون كذبة يدسون بدع هلاك] وفي رسالة يوحنا الأولي ٤/ ١ [أيها الأحباب لا تصدقوا كل روح ولكن امتحنوا الأرواح هل من عند الله ؟ لأن أنبياء كذبة كثيرون قد خرجوا إلي العالم] وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢/ ٢ [وقد جربت القائلين بأنهم رسلا وليسوا رسلا فوجدتهم كاذبين] .
وهكذا يحذر المسيح ومن بعده بطرس ويوحنا يحذرون جميعا من الأنبياء الكذبة الذين سوف يندسون ويحاولون أفساد المخلصين . حذر المسيح وعلينا إذا أن نكون حذرين ونمتحن الأقوال ولانقبل شيئا بغير تمحيص ويحكى بطرس فى أعمال نقلا عن

العهد القديم ٢ / ٢ [فيتنبأبنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى وأحلاما ويحلم شيوخكم وعلى عبيدى أيضا وإمائى اسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون وأعطى عجائب في السماء من فوق وفى الأرض من تحت ماء وناراً وبخاراً ودخانا وتتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلي دم قبل أن يجىء يوم الرب العظيم] .

وهكذا يتوقع بطرس أن الجميع صغارا وكباراً رجالا ونساء عبيداً وإماء سوف يتنبأون يوما حتى تصبح الشمس ظلمة والقمر دما ولا ندرى ماذا نصدق وماذا نكذب واين الحقيقة هل سيصبح جميع البشر أنبياء؟

يبدو أن الأمر سيختلط ويضيع الحق مع الباطل ولا أدرى هل يتصور بطرس أن ذلك الزمان قد جاء أم لا ؟

* * *

(٩) الرسل أو التلاميذ

والتلاميذ هم الذين رافقوا المسيح وتتلمذوا علي يدية ويقول فيهم لوقا إصحاح ٦ / ١٣ [ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر تلميذا [الذين سماهم أيضا رسلا] وإذا جاز لنا أن نقول إنه كان للمسيح تلاميذ أومستمعون وأتباع كثيرون فيبدوا أنه اختص عددا منهم داوم علي حضور حلقاته وتعاليمه وكانوا صحابته وحوارييه فاستحقوا أن يكونوا المختارين وأن يسموا إلى جانب ذلك بالرسل الذين يرسلهم المسيح لبث الدعوة أوالتمهيد لقدومه إلى قريه أو مدينه والذين كلفهم بعده ووكل إليهم أمانه التبليغ علي اعتبار أنهم خير من فهم العقيدة وأدرك مراميها واستوعب دروس المسيح ولم يقل أحد أن هذا التكليف صادر من الله عز وجل وانما هو صادر من المسيح نفسه ففى مرقس ٣ / ١٤[وأقام اثنى عشر ليكونوا رسلا ويرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان على شفاء المرضى وإخراج الشياطين].

وتتفق الأناجيل بشكل عام علي أن التلاميذ اثنى عشر بما فيهم يهوذا الذي أسلم المسيح أى خانه والذي اختفى تماما مع اختفاء المسيح والذى اختاروا بديلا له بالقرعة متياس كما تقول الأعمال في إصحاحها الأول ورغم أن لوقا اعترف مرة أخرى فى نهاية انجيلة ٢٤ / ٣٣ [فناما فى تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين ثم صدراليهم الأمر من المسيح فى ٢٤ / ٤٩ فقال لهم ها أنا ذا أرسل لكم موعد أبى فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تكسبوا روحا من الأعالى] أى حتى تتأهب روحكم المعنوية .. رغم ذلك نجد لوقا بداية الاصحاح العاشر يقول.

[وبعد ذلك عين الرب (المعلم) سبعين آخرين أيضا فأرسلهم اثنين أمام وجهه فى كل مدينة وموضع حيث كان مزمعا أن يأتى فقال لهم إن الحصاد كثير ولكن الفعله قليلون] ومن الواضح أن تلك كانت مهمة مؤقتة احتاجت لعدد أكبر بدليل أن لوقا عاد في نهاية إنجيلة إلي عدد الأحد عشر كما ذكرنا وفى الأعمال التى هى من عمل لوقا [قام

بطرس وسط التلاميذ] يعنى جمهور المؤمنين وبدليل أنه بعدها اصحاح ٦ / ١ اعمال [وفى تلك الأيام إذا تكاثر التلاميذ] وفى نفس الإصحاح ٦ / ٧ [وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جدا] وهذا معناه أن التلاميذ يقصد بهم المسيحيون عامة . وبهذا نعود للأصل وهو أن التلاميذ إثنى عشر أو أحد عشر ضم إليهم متياس بعد ذلك ليصيروا إثنى عشر مرة أخرى والاثنى عشر كما ذكرتهم الأناجيل هم كالآتى:

متى ١٠ / ١	لوقا ٦ / ١٤	مرقس
(١) سمعان بطرس	سمعان بطرس	سمعان بطرس
٢- انداروس اخوه	اندرواس	اندراوس
٣- يعقوب بن زيدى	يعقوب	يعقوب
٤- يوحنا بن زيدى	يوحنا	يوحنا
٥- فيليبس	فيليبس	فيليبس
٦- يروثو لماروس	يروثولماوس	يروثولماوس
٧- توما العشار	توما العشار	توما العشار
٨- متي العشار	متي العشار	متي العشار
٩- يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى
١٠- لياوس (تداوس	١٠ يهوذا بن حلفى	تدواس
١١- سمعان القانونى	سمعان الغيور	سمعان القانونى .

وهكذا يتضح أن كل من متى ومرقس قد اتفقا على أسماء التلاميذ الأحد عشر أما لوقا فقد أضاف اسم يهوذا بن حلفى وحذف اسم تداوس- واستبدل كلمة القانونى وسماه سمعان الغيور ولا أدرى إن كان هو نفس الشخص أم غيرة فإذا سلمنا أن التلاميذ آحد عشر بأسمائهم المعروفة أو اثنى عشر فإنه من المؤكد أن هناك إسمين بارزين على الأقل من كتبة الأناجيل ليسا من بين هذه الأسماء هما لوقا الذى كتب

إنجيلة والأعمال- ومرقس كاتب الإنجيل والذى لقب كما أشارت الأعمال يوحنا كذلك وهو ابن أخت برنابا وفي هذه الحالة يحتمل أن يكون إنجيل يوحنا ورسائلة التى شكت داوائر المعارف في مصدرها تكون من صنعه باسمه الثانى . وكلا الشخصيتين البارزتين المعروفين بدورهما في العهد الجديد كلاهما تلاميذ مخلصون لبولس أستاذهم ومعلمهم.

أما متى كاتب الإنجيل فلم يشر أحد أنه متى العشار تلميذ المسيح وقد سبق أن تحدثنا عن شك دوائر المعارف في نسبة إنجيل يوحنا ورسالته وكذلك الرؤيا ورجحت أن تكون الرؤيا عملا متأخرا لأحد تلاميذ مدرسة الألفيين.

ونحن بأسلوب البحث التى نرتضيه نرى أنه مالم يشر أحد الأناجيل إلي تواجد صاحبه يوما ما في موقف ما أو بأى صدفه مع المسيح- كمحدث أو مستمع أو مشاهد فمن الصعب أن نتصور كونه تلميذا ولم يشهد حدثا واحداً حيا يحكيه لنا- هذا التصور بعيد جداً وبذلك فإن أسلوبنا يؤكد شكوك دوائر المعارف وهي تمثل اتجاه أمة- وفكر وحضارة وليست رأيا شخصيا لأحد- لذا فإنه يكاد يكون امرا جازما أن الأناجيل لم يشارك فيها أحد التلاميذ.

ونحن نتساءل إذا كان من حق بولس صاحب الرسائل المطولة جدا وصاحب الأيديولوجية ومؤسس الفلسفة المسيحية وتلميذيه لوقاومرقس أن يبتلعا القسم الأعظم من العهد الجديد بفلسفته وفكره فأين نصيب التلاميذ الاثنى عشر بأسمائهم المعروفة وفكرهم الإيجابي وبلورتهم لما درسوه على يد المسيح الذى وكل إليهم آمانه الدعوة بعده ووضع فيهم كل ثقته وقال لهم متى ١٩ / ٢٨ «انتم الذين تبعتموني فى التجديد متي جلس ابن الإنسان علي كرسى مجده تجسلون أنتم أيضا علي اثنى عشر كرسيا تدينون أسبلط إسرائيل الاثني عشر».

أي أن المسيح يقول أنهم سيكونون شهودا يدينون قومهم من بنى إسرائيل يوم القيامة لرفضهم دعوة المسيح وليس من بين هؤلاء بولس. الذى كان فى حياة المسيح

عدوا لدودا للمسيحية وظل يمارس ويتزعم حركات الإضطهاد والقمع للمسيحيين طيلة حياة المسيح وفترة بعده ثم ادعى رؤيا شك التلاميذ فيها أنه رأي المسيح وبناء على هذه الرؤيا التى لم يكن معه من شهود فيها غير رفقائه اليهود أصبح رسولا وندا لهؤلاء التلاميذ بل أكثر من ند فقد ابتلع الفكر المسيحى كله.

نتساءل أين ما كتبه التلاميذ الأثنى عشر واين تراثهم الفكرى باستثناء لقطات خاطفة ذرا للرماد فى العيون وبطريقة مشكوك فيها.

ثم نتساءل هل كان من حق أحد غير التلاميذ بالدرجة الأولى مثل لوقا ومرقس وهم الذين لم يكونوا أبدا تلاميذ للمسيح ولم يضف أحد إليهم صفه الرسالة هل كان من حقهم أن يكتبوا أناجيل تكون دستورا للمسيحية فى العبادة والعقيدة؟ أم أن وضع دستور وإنجيل يحمل الفكر المسيحى كان من حق وأولي مهام المسيح نفسه بل- مهمته الأولى أن يكتب فى حياته دستورا يكون حاملا لفكره الحقيقى بأمانه وينسب إليه هو لا إلي أحد غيره؟ ثم قلنا رأيا فى فصل «الإنجيل»وهو الفصل الثاني من العهد الجديد أن المسيح بالفعل قد ترك إنجيلا يحمل اسمه ظل معمولا به زمنا وأشار إليه كما أوضحنا كل من مرقس فى إنجيلة وبولس في رسائلة- فإذا كان ذلك الانجيل قد ضاع مع ما ضاع من تراث المسيحية وأصولها ودمر مع مادمروه وأخذ معه السرالرهيب إبان ذلك الإضطهاد الوحشى الذى كان من بين ضاحاياه آريوس بطربرك مصر وخليفته بنيامين وحرمت كتاباته ومذهبه ولقى أتباعه من المؤمنين بفكره من الاضطهاد ما تقشعر منه الابدان . إذا كان من حق أحد بعد المسيح أن يكتب عن فكر المسيحية ومعتقداتها أليس ذلك بالدرجة الأولى من مهام التلاميذ الاثني عشر بأسمائهم المعروفة ومن بينهم فيليبس الذى قال عنه بولس إنه زاع عن الحق أليس هؤلاء هم التلاميذ الذين قال عنهم المسيح أنهم يجلسون كقضاة يوم القيامة يدينون أسباط إسرائيل؟

فأين ما كتبوه؟

إنني أثق تماما أن ثقة المسيح فيهم لم تذهب أدراج الرياح وأنا أبرئهم من كل تقصير

فى هذه المهمة الجليلة . لاشك عندى أنهم قاموا بدورهم كاملا في أمانه التبليغ والكتابة ولكن إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة كما يقول لوقا فلا شك عندى أن هؤلاء كانوا أول الكثيرين ...

ولكن الحياة السياسية بظروفها وأجوائها ودخول أباطرة من نوع معين وفكر معين واتجاهات معينه إلي المسيحية ونشرهم مذهبهم الدينى بالعنف السياسى والصراع الدموى- وما أقيم من محاكم التفتيش فى بداية الأمر لنصرة مذهب علي مذهب وما تم من مجمعات تحت رايه هؤلاء جميعا قد ترك بصماته العميقة فى تاريخ المسيحية فأختفى مع تلك العصور ما اختفى وما لو بقي للآن لغير مفاهيم كثيرة ويكفى أن إنجيلا واحداً قد أفلتت منه نسخة نادرة هو إنجيل برنابا الذي ترجم ونشر فى الستينات من هذا القرن هذا الإنجيل نسخته وجدت بمكتبة سكتس بروما واختلسها أسقف يقال له فرامرينو يقولون انه قرأها فى القرن السادس عشر واعتنق الإسلام وقد وجد إسم هذا الإنجيل فى المنشور البابوى لجلاسيوس الأول فى القرن الخامس فى الكتب التى حرمتها الكنيسة ويقول الدكتور سعادة مترجم إنجيل برنابا إن هناك إنجيلا آخر يسمى الإنجيل الاوغنطى ognostic أوالغنوصى طمست رسومه وعفت آثاره يبدأ بمقدمة يندد بالقديس بولس وينتهى بخاتمة مثلها وقد تحدثنا في فصل النصارى وحديث المهد واشرنا إلي ذلك فهناك إنجيلين لا إنجيل واحد قد وجها اللوم العنيف لبولس.

أما مقدمه برنابا الشهيرة فتقول.

[أيها الأعزاء إن الله العظيم قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بيسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعه لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما ومجوزين كل لحم نجس والذين ضل فى عدادهم بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذى من أجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولايضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله وعليه

فاحـذروا كل واحد يشـركم بتعليم مـضاد لما أكتب لتـخلصوا خـلاصا أيديا] وهكذا لخص برنابا فى مقـدمته نقـاط الخلاف التى أكدها بولس في رسـائله كما سيـأتى عندما نثير الحـديث عن بولس وآراؤه ومبـادئه وهى نفس النقـاط التى دعا بولس أصـحابهـا مرتدين وأعداء صلب المسيح.

والنقطة الثانية الظـاهرة هى رافضين الختان والثالثـة هى مجوزين كل لحم نجس- ثم يحذربرنابا من التعليم المضاد تماما كما فعل بولس وهنا يتـضح معنى التهمه التى تقاذفها كل من الفـريقين عن الأنبيـاء الكذبه هذه فكرة سـريعة قبـل أن أعرض تفـصيلا لـهذه الآراء فيما بعد. وقد اكتفى دعاةالمسيـحية بإنكار هذا الانجيل والوقوف منه موقفا سلبيا وأخذوا يحللون تاريخ النسخـة – ونوع الورق إلى غيـر ذلك في مناقشـة بيزنطيـة لم توصل إلي شيء وكنا نتمنى لودارت مثل هذه الابحـاث بدقة عن النسخ التى وجدوها لمتى وغيـره وأن تأخذ تلك النسخ المعترف بها حـقها من البـحث والتمحـيص بطريقة علمية فـالحقيقة دائمـا هى غاية كل باحث أمين ولا تهمه النتـائج فالله يحب الحق وهو الحق دائما.

هذا هو برنابا الذى سـوف نرى أنه أول من رافق بولس ودافع عنه وحاول أن يعـقد صلحاً ووفاقابينه وبين التلاميذ وكان أول من قدمه لهم وتوسط لديهم لكى يضموه إلي صفـوفهم ثم فى النهـاية كما تقـول الأعمـال افترقـا عندما فشل في إعـادته إلي الصف وأحس بالألم يعتصر قلبه لفشل مهمته. هذا هو برنابا الذى رأى المسيح وسمعه وجلس إليـه والذى لم نجد من بين كـتبـه الأناجيل واحـدا مـثله يذكر ولو أدعـاء أنه جلس إلي المسيح ورآه وجها لوجه.

هذه كلمة عابرة ثم أعود لمواصلة الحديث.

إننا وللأسف الشديد نجـد أن دور التلاميذ يكـاد يختفى فى العهـد الجديد اللهم إلا ومضـات خاطفـة لا تفى بالغرض ويبـتلع هذا الدور كله بولس وتلميـذيه لوقا الحـبيب صاحـب الإنجيل والأعمال ومـرقس الذى كتب إنجيلة وأشـك أنه وراء بعض ما نسب

ليوحنا من أعمال اصحاح ١٥ / ٣٨ اعمال [فأشار برنابا أن يأخذ معهما أيضا يوحنا الذى يدعى مرقس] وكان الحديث يدور بين بولس وبرنابا فتكون تلك الأعمال مقسمه بين مرقس تلميذ بولس ويوحنا أخر من مدرسة الالفيين كاتب الرؤيا فيكون بعض اعماله تحت اسم مرقس والأخر تحت الإسم المستعار أو العكس باستثناء الرؤيا.

اختفى دور التلاميذ اذا ولمعت أسماء لم تكن ذات دور فعال أيام المسيح مثل يهوذا وسيلا إذ كانانبيين كما يقول صاحب الأعمال ثم تيموثاوس الصديق الحميم لكل من بولس ولوقا- الطبيب الأنطاكى الحبيب ومرقس الذى يقول عنه بولس إنه نافع فى الخدمة وهناك أبلس تسالونيكى ١ / ١ والذى كان ينازع بولس مجد الرسالة فيقسم الناس هذا لبولس وهذا لأبلس.

أسماء كثيرة لمعت فى الدعوة بينما اختفى دور بطرس بعد خلافه مع بولس والذى وعده المسيح بأنه سوف يقيم كنيسته متى ١٦ / ١٨ [وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى وأبواب الجحيم لن تقدر عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربط علي الأرض يكون مربوطا في السماوات وكل ما تحله علي الأرض يكون محلولا في السموات] بطرس هذا ورأى المسيح فيه هو هذا يقول بولس عنه أنه ملوم ويضمحل دوره فى تأسيس المسيحية ويصبح هامشيا وأكثر من هامشي.

أما بولس فإن من حقة علينا أن نفرد له فصلا وافيا نناقش فيه آراءه ومعتقداته مادام هو صاحب هذا الدور الكبير فى المسيحية ذلك الدور الذى جعله بعض مؤرخى المسيحية يتقدم علي دور المسيح ذاته.

***

(١٠) بولس (شاول)

(أ) حياته.

في الاصحاح التاسع من أعمال الرسل من كتابة لوقا تلميذ بولس يحكى عن أستاذه ويقدم نبذة من تاريخه يقول :

وأما شاول «إسم بولس اليهودى قبل دخوله فى المسحية» فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات (اليهودية) حتى إذا وجد أناسا فى الطريق (مسيحيين) رجالا ونساء يسرقهم موثقين إلى أورشليم] كانت مهمه شاول إذا هى تتبع الداخلين إلي المسيحية والقبض عليهم لحساب كهنة اليهود وكان آخر ضحاياه إستيفانوس والذى يحكى لنا الإصحاح السابع من أعمال قصته فيقول : [فكانوا يرجمون استيفانوس وهو يدعو ويقول أيها الرب اقبل روحى ثم جثا علي ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يارب لا تقم لهم هذه الخطية وإذ قال هذا رقد وكان شاول راضيا بقتله].

وفى الإصحاح الثامن ٨ /٣ [أقيمت مناحة عظيمة لاستيفانوس – «أما شاول فكان يسطو علي الكنيسة ويدخل البيوت ويجرر رجالا ونساء ويسلمهم للسجن] .

ومن الغريب أن نجد لليهود داخل الدولة الرومانية هذه الحرية وتلك السلطة بحيث تقتحم البيوت وتمارس هذا الاضطهاد الرهيب ضد المسيحية التى كانت تخطوخطواتها الأولى على الطريق بعد المسيح مما يوحى بأن غالبية الجماهيراليهودية كانت ما تزال فى معسكر الرفض بالنسبة للدعوة الجديدة. تلك الحرية التى.جرأت اليهود على القبض على المسيح بمعونة السلطة الرومانية كما تقول الأناجيل وتصر على أن يحاكمه الرومان. ثم على إعدامه واتهامه بالخروج على الدولة–

هذا غريب ولكن يبدوا أن الدولة الرومانية قد اعتادت لاتساعها الكبير أن تعطى نوعا من الحكم الذاتى لجالياتها الكبيرة تأمينا لمصالحها وإمبراطورتها الشاسعة وكذا تحكي الأعمال عن رجم اليهود لاستيفانوس من جانب الجماهير الغاضبة التى أبها

اليهود علي المسيحيين وبعد موت استيفانوس تشتت المسيحيون فى أرجاء فلسطين هذا الشتات الذى أدى إلى نتيجة عكس ما أراده اليهود تماما فإن احتكاك التلاميذ بجماهير الناس بالقري والنجوع مع أولئك البسطاء أدى إلى مالم يكن في الحسبان فبدأت المسيحية تجد طريقا آخر غيرا أورشليم ٨ / ٤ [فالذين شتتوا جالوا مبشرين بالكلمة فانحدر فيليبس إلى مدينه السامرة وكانت الجموع تصغى إليه بنفس واحدة] هكذا فإنه رغم الإرهاب والعنف استمرت المسيحية فى حركتها إلى الأمام فالفكر لايحارب بالإرهاب كان هذا واضحا وفى غمرة هذه الدوامة تقدم بولس إلي رئيس الكهنة يطلب منه رسائل إلي دمشق كما قلنا لكى بطارد جماهير (المسيحيين) ٩ / ٣.

[وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلي دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء وسمع صوتا قائلا شاول لماذ اضطهدتنى ؟ فقال من أنت ياسيد؟ فقال الرب أنا يسوع الذى تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل- فقال الرب قم وادخل إلى المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. وأما الرجال المسافرين فوقفوا صامتين يسمعون صوتا ولا ينظرون أحداً فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فلم يأكل ولم يشرب ثلاثة أيام وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا- فقال له الرب فى رؤيا- حنانيا فقال ها أنذا يارب فقال قم واذهب إلي الزقاق الذى يقال له المستقيم واطلب فى بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاول لأنه هوذا يصلي وقد رأى فى رؤيا رجلا اسم حنانيا داخلا واضعا يده عليه لكى يبصر- وقال الرب اذهب الآن- هولى إناء مختار].

هذه هى الرؤيا التى يحكيها لنا لوقا وبالطبع لم يكن هو أحد شهودها ولكنه نقلها وحكاها عن أستاذه بولس أعمال ٢٦/٩ [ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ- وأخذه برنابا وأحضره إلي الرسل وحدثهم كيف أنه جاهر بالدعوه فى دمشق باسم يسوع] . وأكتفي بهذا القدر لاستنبط بعض الأمور فأقول.

(١) كان عداء بولس الشديد للمسيحية معروفا طيله حياة المسيح وفترة بعده .

(٢) أن المسيحية ظلت تتقدم فى طريقها رغم الأرهاب الذي أثبت عدم جدواه وأن هذا الاسلوب قد فشل في إيقاف تيار الفكر المسيحى و خاصة أن انتشار التلاميذ في النجوع والقرى قد فتح فتحا جديداً لا يقاوم.

(٣) أن راوى هذه القصة هولوقا تلميذ بولس نقلها عن أستاذه ولم يشهد أحداثها .

(٤) أن شهود الرؤيا التى رآها بولس وسمعوا حواراً لم يعرفوا مع من هم من رفقائه اليهود وهؤلاء لا يعتد بشهادتهم إن وجدت.

(٥) أن الشاهد الوحيد حنانيا اسم غير معروف ولم يكن له دور يذكر قبل أو بعد هذا الحادث.

(٦) أن الرسل عندما قدم برنابا بولس إليهم وقال إنه مسيحى وهم يعلمون تاريخه الطويل ومدى عدائه للمسيحية شكوا فى أمره ولم يحبوا أن يتقبلوه بسهوله فتوسط له برنابا الذى قال دفاعا عنه أنه جاهر بالدعوة في دمشق.

هذا وقد اعتبر بولس نفسه بعد تلك الرؤيا رسولا مكلفا بأداء الرسالة شأنه شأن باقى التلاميذ وندًالهم ولم يحاول التتلمذ على أيديهم لمعرفة الدعوة ونظراً للجفوه التى كانت قائمة سار في طريق منفصل ولم ينسق عمله مع الرسل .

غلاطية ١ / ١١ بشىء من الاختصار يقول بولس

[وأعرفكم إيها الإخوة أن الإنجيل (الفكر) الذى بشرت به ليس بحسب إنسان (لم يتعلم على يد التلاميذ) بل بإعلان يسوع المسيح (في رؤياه) وسمعتم أننى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ولكن لما سر الله بى ودعاني بنعمته للوقت لم أستشر لحما ودما (التلاميذ) ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضا إلي دمشق ثم بعد ثلاث سنوات صعدت إلي أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما ولم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب] وفي الاصحاح التالى مباشرة ٢ /١

[ثم بعد أربعة عشر سنة صعدت إلي أورشليم مع برنابا وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بسبب الإخوة الكذبة المدخلين

خفية الذين دخلوا اختلاساليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدوننا الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولاساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل أما المعتبرين أنهم شيء فلم يشيروا على بشيء- إذ رأوا أنى أؤتمنت علي إنجيل الغرلة كما بطرس علي إنجيل الختان.] وفي ٢ /١١ [ولكن لما أتى بطرس إلى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما حتى أن برنابا انقاد إلى ريائهم]. واكتفى بهذا القدر مرة أخرى لأشير إلى أمور تتضح من هذه النصوص.

١) أن بولس كان يعتبر نفسه رسولا منفصلا وأنه لم يتلق الرسالة من أحد وبذلك فإنه ليس من حق أحد أن يلقنه تعاليم المسيح. ولم يحاول تنسيق عمله مع الرسل فانطلق مباشرة إلى العربية معلنا مبادئه وآراءه وأنه لم يستشر لحما ولا دما حسب تعبيره.

(٢) أنه بعد ثلاث سنوات ذهب إلى أورشليم محاولا التقرب من التلاميذ ومكث عند بطرس خمسة عشر يوما ولكنه لم ير أحداً غير يعقوب أخا الرب أى أن الرسل عندما بلغهم عن دعوته وما يلقنه من تعاليم- لم يرتاحوا إليه ولم يقوموا بالترحيب الكافى له خلال زيارته الأولي.

(٣) أنه بعد أربعه عشر عاما صعد مرة أخرى بما يشبه المحاكمة (بموجب إعلان) ليعرض عليهم الإنجيل أوالفكر الذى يبشر به وكان معه تيطس تلميذ يونانى لم يضطره بولس للاختتان- ثم يتضح من الألفاظ العنيفة التى رددها بولس هنا أن الخلاف كان عميق الجذور فقد سماهم بالإخوة الكذبة- الذين يتجسسون عليه ويقيدون حريته فى المسيح وأنهم يريدون استعباده وأنه رفض وصايتهم ولم يذعن لهم ولا ساعة وقال إنه هو رسول الغرله (أى عدم الختان) كما أن بطرس رسول الختان.

فأصبحا رسولين لارسولا واحداً وبالطبع فإن الرسل جميعا كانوا فى صف بطرس علي التقاليد الإبراهيمية ولم يكونوا مع بولس ولم يرافقه غير برنابا الذى كان يراقب كل تحركاته ويحاول أن يرده إلى طريق التلاميذ وواضح هنا أنه اختلف بعد ذلك مع برنابا الذى قدمه وبطرس الذى استضافه خمسة عشر يوما فالأول انقاذ إلى ربا ء

التلاميذ والثاني بطرس وأعطى لنفسه حق الإنجيل أى حق الفكر والتشريع الذى يراه هولكى يبقى عندكم- (عند الأمم) حق الإنجيل والتشريع وهكذا فشلت المحاولة الثانية فى الوفاق وسار كل فى طريق.

(٤) من بين أسباب الخلاف التى أوضحها هنا الختان وهو التقليد الابراهيمى القديم الذى التزم به التلاميذ والمسيح فأسماهم بولس بعد ذلك فريق الختان (الذين هم فى الختان) تهكماعليهم. أما بولس فيندفع في حماس شديد مدافعا عن منهجة وحريته فى تكوين آرائه وفى التشريع الذى يراه. تلك الحرية التى أنكرها عليه التلاميذ فهل من حق التلميذ أن يتبع أم يشرع ذلك هو الخلاف الرسالة الأولي إلي كورينثوس ٩ / ١.

[ألست أنا رسولا ؟ ألست أنا حراً- أما رأيت يسوع المسيح ربنا (في رؤياه) ألستم أنتم عملى فى الرب؟ إن كنت لست رسولا إلي آخرين (يقصد اليهود وأرشليم وفلسطين) فانى أنا رسول إليكم (أهل الأمم الوثنية) لأنكم أنتم ختم رسالتى فى الرب وهذا هوأحتجاجى على الذين يفحصوننى- ألعلنا ليس لنا سلطان أن نأكل وتشرب (نشرع ما يحل من الأطعمة والشراب)].

وهكذا يحتج بولس ويرفع صوته عاليا مطالبا بحقه في التشريع وإباحة عدم الختان وحريته في المأكل (لحم الخنزير) وكلها كانت موضوع خلاف بينه وبين التلاميذ مما جعله يترك آسيا بميدانها وفلسطين مهد الدعوة ويتجة إلى الأمم الوثنية لأنهم كانوا أسلس قيادا وأدار ظهرة لاسيا التى صعب عليه اختراقها.

* * *

بولس

(ب) مبادئه و آراؤه

عرضنا في الجزء السابق من هذا الفصل نبذة من حياة بولس كما أوردها تلميذه لوقا فى الأعمال أو كما رواها هو إلى أهل غلاطية وفى هذا الجزء نعرض آراءه ومبادئه التى كان يلقنها لأتباعه من خلال رسائله المختلفه وسراهتمامنا بذلك هو أن آراء ومبادىء بولس قد أصبحت فيما بعد الركيزة الأساسية للفكر المسيحى.

ويجد قارىء الإنجيل نفسه فى بعض الأحيان فى حيرة من أمره حيث أن الأناجيل لم تقدم لنا فلسفة متكاملة غير الفلسفة الأخلاقية وحتى التفاصيل الخاصة بالطقوس الدينية فقد اعتمدت على تنسيق البابوات فيما بعد فلا نجد مثلا أمراً صريحاً من المسيح لتلامذته بتحديد موعد أو كم للصوم أو طريقته– وصوم المسيح كان في حد ذاته جزءاً من معجزاته بحال ما من الأحوال– أما الزكاة فلا وجود لتفصيل لها إلا فى العهد القديم وكان يوم العبادة لدى اليهود هو يوم السبت وقدسه المسيح ثم نقله المسيحيون إلي يوم الأحد بعد رفعه أما الفلسفة الاجتماعية وعلاقة الفرد بالمجتمع الذى يعيش فيه ونظام الدولة فقد بنى على تقاليد المجتمع نفسه [أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله.] ونظرا لأن المسيح قد جاء مكملا لرسالة سماويه سابقه هى اليهودية كما قال هو (ماجئت لأنقض بل لأكمل) لذلك كان لابد من وضع ناموس موسى والعهد القديم في الحسبان والنظر إلى كل من العهد القديم والعهد الجديد ككتاب واحد يكمل بعضة بعضا وقد نشأت الصعوبة من أن رجال الدين المسيحى يميلون إلي اعتبار المسيحية دينا مستقلا ويحاولون فقط اللجوء إلي العهد الجديد في تشريعاتهم ومن ثم برزت إهمية تعاليم بولس وآراؤه كجزء مكمل ورئيسى للفلسفة المسيحية بعيدا عن الناموس فى كثير من الأحيان– ثم إن تحريم البابوات علي مر الزمان لأناجيل كثيره وتحريم قراءتها مما أدى إلى اختفائها قد حرم المسيحية جزء اكبيرا من تراثها الدينى وقلل من رصيدها الفكرى بشكل عام.

ونحن نرى في الإسلام مثلا الأحاديث النبوية منها القوى ذو السند الصحيح

ومنهاالضعيف الذي نشك في مصدره ووضعه من يهود وكذلك الآراء والمذاهب والنحل كل بسنده ثم نرجح هذا أوذاك في مناخ حر طليق فهناك ما كتبه المسلمون وما كتبه المستشرقون بغيه التشكيك في الإسلام ونبى الإسلام ولم يؤثر ذلك كله في مسار الفكر الصحيح وترك حرية البحث للباحثين فهناك في نهاية الأمر العقل البشرى الذى يميز بين الغث والسمين وهو مناط التكليف عند الله للبشر - والفكر على أى حال مسئولية صاحبه - كل هذا أدى إلي إثراء الفكر ووقوفه على أرض صلبه في تشريعاته وعقائده مما جعل الحضارة الإسلامية تقوم على القرآن بفكره ونظرته إلي الاقتصاد والسياسة والعلم والفلسفة والمجتمع والتربية وعلاقة الفرد بكل من حولة وبالمال وبمن حوله من مجتمعات لذلك وبسبب حرمان المسيحية من كثير من كتابات السابقين لم يكن هناك بد من اللجوء لفلسفة بولس لسد ما يعن من فراغ.

والحقيقة أن بولس يتميز بأسلوب فلسفى عجيب وقدرة لغوية فائقة جعلته والحق يقال يتلاعب بالألفاظ بشكل خطير ويثبت الشيء وضده فى آن واحد فى مهارة غربية ويترك الحيرة ترتسم علي الأفواه وبالطبع فإن هذه القدرة كافية للتأثير علي البسطاء من الناس (كورنثوس الأولي ١ / ١٧).

[لأن المسيح لم يرسلنى لأعمد بل لأبشر لابحكمة كلام لئلا يتعطل صلب المسيح- لأنه مكتوب «سأبيد حكمة الحكماءوأرفض فهم الفهماء- أين الحكيم- أين مباحث هذا الدهر؟ ألم يجهل الله حكمة هذا العالم لأنه إذا كان في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة- استحسن أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة لأن جهالة الله أحكم من الناس فانظروا دعوتكم أيها الإخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء- ليس كثيرون شرفاء بل اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء].

كورنثوس ٣ / ١٩ [لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله لأنه مكتوب الآخذ الحكمـاءبمكرهم وأيضاً الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة] هذا نموذج فريد لأسلوب بولس يرفع فيه الجهل فوق العلم ويصف أفكار الحكماء بأنها باطلة وأن الناس لم يعرفوا ربهم عن طريق الحكمة فلزم التخلي عنها وأراد الله أن يخلص المؤمنين

بجهالة الكرازة- وجهالة الله أحكم من الناس.

هذا هو اللغط في الفكروالتلاعب بالألفاظ ووضع الجهل فوق العلم وهكذا يتوعد الله حسب كلام بولس بإبادة الحكمة ليتنسى لبولس نشر ما يريد وجرالناس إلي ما لايعرفون أسلوب غريب وكلام عجيب لا يقوله غير بولس. ثم اعود لعرض أرائه.

(١) الختان:

ويعتبر الختان من التقاليد الثابنه لدي إسرائيل منذ أبيهم الأكبر ابراهيم عليه السلام وقد اختتن المسيح في اليوم الثامن وكذلك التلاميذ ففى تكوين اصحاح ١٧ / ١٩.

[قال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدى الذي تحفظونه بيني بين نسلك. يختن كل ذكر فى غرلته فتختنون في لحم غرلتكم وتكون علامة عهد بيني وبينكم وأما الذكر الذى لا يختن فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدى].

ونظرا لأن المسيح لم يصدر استثناءا بخصوص هذا الموضوع فقد سار التلاميذ على هدي هذا التقليد وشذ عنهم بولس فى هذا الموضوع وربما كان أول سبب من أسباب الخلاف والفرقة بينهما وأصبح فريق الختان رمزا للتلاميذ ومعسكر الرافضين لأفكار بولس وقد أختلف بطرس مع بولس صراحة حول هذا الموضوع ودعى بولس إلي أورشليم كما ذكرنا ومعه تيطس والذى لم يختتن لمناقشة ذلك ورفض بولس الإذعان لرأيهم وسما بطرس رسول الختان وسمى نفسه رسول الغرله ويبدو أن بولس قد رأى أن مطالبة الأمم بالختان سيعوق حركته ففضل أن يلغي هذا التقليد ولكن المشكلة هي هل من حق تلميذ من التلاميذ أن يلغى تقليدا موروثا كهذا ؟ هل من واجبة أن يتبع أم من حقة أن يشرع؟لقد أعطى بولس نفسه حقوقاً فى تعديل الشريعة وهذا ما أنكره عليه التلاميذ- غلاطية ٢ / ٧.

«إذ رأو أنى أؤتمنت على انجيل العزلة كما بطرس علي إنجيل الختان» إلي رومية ٢ / ٢٥ «لأن الختان ينفع إن عملت بالناموس ولكن إن كنت متعديا الناموس فقد صارختانك غرلة» وهكذا بدأ عملية التدرج فى إلغاء الختان فالاساس هو العمل

بالناموس أما الختان فهامشي .

رومية ٢/٢٨ «ولاالختان فى الظاهر في اللحم هو الختان بل ختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان».

وفي كورنثوس ٧ / ١٩ «ليس الختان شيئا وليست العزلة شيئا بل حفظ وصايا الله.الدعوة التى دعى كل واحد فيها فليثبت فيها»أى أن حفظ وصايا الله والعمل بالناموس هو الاساس والجوهر أما الختان فمظهر– ثم بعد أن أعطى حرية التصرف أول الأمر ولم يعتد بالختان عاد فطالب كلا بالثبات على حالة فالوثني يبقي علي الغرلة واليهودي يبقى علي الختان وفى غلاطية ٥ / ١«فاثبتوا إذا فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها– لا ترتبكوا أيضا بنير عبوديه– ها أنا بولس أقول لكم إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا– لكن أشهد أيضا لكل مختتن أنه ملتزم أن يعمل كل الناموس». وهكذا فرق بين صنفين من الناس المسيحى ذو الأصل اليهودى وهذا يتبع الناموس ويلتزم بكل ما فيه والصنف الآخر المسيحى من أصل وثنى وهذا إذا اختتن فقد امتيازه ولا ينفعه المسيح شيئا فهو إذا تحريض بشكل ما علي ترك الختان وهكذا اعتبر الختان قيداً وليس امتيازاً ثم في النهاية يتهكم على من يدعون إلي الختان

غلاطية ٦ / ١٢ «جميع الذين يريدون أن يعملوا منظر احسنا في الجسد هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لأن الذين يختتنون لا يطبقون الناموس» وهكذا صار غير المختتنين أفضل منهم.

(٢) الناموس :

الناموس هو تعاليم موسى عليه السلام والعهد القديم أو هو الوصايا والتشريعات الموسوبة وقد قال المسيح «ما جئت لانقض بل لأكمل وأنى الحق أقول إلى أن تزول السماوات والأرض لا يزول حرف واحد أونقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» مع ذلك فإن بولس قال في تعاليمه عن الختان أن العبرة باتباع الناموس ثم عاد وقلل من شأن الناموس وجعل الغاية هو الإيمان وحده لا العمل.

غلاطية ٣ / ٢٤ [وإذا كان الناموس مؤدينا إلي المسيح لنتبرر بالإيمان ولكن بعد ما

جاء الأيمان لسنا بعد تحت مؤدب] ثم يقول في غلاطية ٥ / ١٨ [ولكن إذا انقذتم بالروح فلستم تحت الناموس] أى أنه يرى الناموس كان مجرد مرحلة توصل إلي المسيح ولكن ما داموا قد عرفوا المسيح وآمنوا به فهذا الأيمان يكفيهم ثم يعود إلي التحذير من الناموس فيقول في .

غلاطية ٣ / ١٠ [لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنه لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في الناموس فظاهر أن البار بالإيمان يحيا ولكن الناموس ليس من الإيمان - المسيح إفتدانا من لعنه الناموس إذ صار لعنه لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق علي خشبة]. وهكذا انتقل بولس إلي مرحلة أخطر وهو أن كل الذين هم تحت الناموس ويعملون به تحت لعنه لسبب بسيط هو أن الناموس مكتوب فيه [ملعون من لايثبت في كل ما هو مكتوب].

وما دآم العمل بكل ما في الناموس مستحيل ولا بد للإنسان أن يخطيء في شيء ما ويقصر فيه لذا فالملتزمون بالناموس لابد من سقوطهم في اللعنة ثم يقول أن البار يحيا بالإيمان وحده وهذا يكفيه ثم يختم كلامه بان المسيح صار لعنه من أجلنا أى أنه سقط في اللعنه لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبه - فهل يرضى مسيحى بهذا الوصف عن المسيح وهل ينطبق هذا الوصف علي المسيح؟

إن النص الذى يشير إليه بولس في تثنيه ٢١ / ٢٢ والذى سبق أن نقلناه في باب التشريعات هو .[إذا كان علي إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته علي خشبة فلا يبت على الخشبة بل تدفنه ذلك اليوم لأن المعلق معلون من الله فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك]. فالاستدلال بهذا النص إذا تجاوز خطير - فهل ارتكب المسيح خطيئه حقها الموت؟ حتى يستحق من بولس كل هذا الكلام أم أنه حسب قولهم قتل ظلما ومات شهيداً؟ فهل يستوى المجرم والخارج عل القانون مع الشهيد؟ هل ارتكب المسيح ذنبا يبرر لبولس ويجعل له الحق في ضمة لزمره المجرمين والخارجين علي القانون؟ غريب هذا الكلام ثم يعود بولس ليلخص لنا رأيه في موضوع الإيمان والعمل بقوله روميه .

٣ / ٢٨ [إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس] وهكذا ألغى بولس وببساطة قيمة العمل بالناموس الذى ما جاء المسيح إلا مكملا له. ثم يتناقض مع نفسه بشكل صريح فيقول فى غلاطية ٥ / ١٨ [ولكن إن انقذتم بالروح فلستم تحت الناموس وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنا دعارة نجاسة عبادة أوثان /سحر/ عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق/ بدعة حسد / قتل / سكر بطر وأمثال هذه التى سبق فأقول لكم عنها كما سبقت وقلت أيضا الذين يفعلون هذه لايرثون ملكوت الله»] فلم الضجة إذا؟ وما هو الناموس إلا النهى عن عمل المنكرات التى لخصها بولس هنا وقال أن مرتكبيها لا يدخلون ملكوت الله- هل قال الناموس غير ذلك؟ أى أنه عاد من حيث بدأ وأقر الناموس والغريب أن بولس أحس بالمناقشات الطويلة التى دارت حول هذا الموضوع فقال فى تيطس .

١٠ / ٩ [والمنازعات الناموسية اجتنبها لأنها باطلة وغير نافعة وهكذا يدخل بولس في دوامة الجدل البيزنطى والغريب أنه استدل بقيمة الأيمان وعدم جدوى العمل بقصة إبراهيم عليه السلام والذبيح فيقول «وآمن ابرهيم فحسب له برا» ويرد عليه يعقوب في رسالته الإصحاح الثانى التى لو قرأناها لوجدنا الرأى المضاد تماما حول هذا الموضوع .

٢ / ١٤ «ما المنفعة يأ إخوتى إن قال أحد له إيمانا ولكن ليس له أعمال هل يقدر الإيمان أن يخلصه إن كان أخ أو أخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى فقال لهما أحدكم اذهبا استدفئا واشبعا ولكن لم يعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة ؟ هكذا الإيمان إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته] ثم يقول أن ابراهيم آمن وقدم ابنه ذبيحة فقرن الإيمان بالعمل ولولا أنه اثبت ذلك ما تبرر.

(٣) الأطعمة:

كان اليهود يتجنبون طعام الأمم الوثنية لأسباب أولها أنهم يذبحون لأوثانهم وهذا محرم أكله وثانيها أنهم يتناولون بعض اللحوم المحرمة في العهد القديم أبرزها لحم الخنزير وقد كان الخنزير من بين الثروات القومية للدولة الرومانية فقد كانوا يقومون بتربيتة وبالطبع فإن تحريمة سيؤدى إلى صدمه اقتصادية كبيرة لذلك فأن بولس جريا

على عادته فى إسترضاء الأمم أتبع رأيا آخر غير رأى التلاميذ ففى رسالته إلى كورنثوس ١٠ / ٢٥ يقول [كل ما يباع فى الملحمة (المجزر) كلوه غير فاحصين عن شىء من أجل الضمير وإن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم فكلوا ما يقدم إليكم غير فاحصين من أجل الضمير لأن الرب في الأرض وملؤها ولكن إن قال لكم أحد هذا مذبوح لوثن فلا تأكل من أجل الذى أعلمك»].

فمذهب بولس حاول تخفيف القيود فسمح للمسيحيين مشاركة الوثنيين طعامهم ولايكلف أحدهم السؤال عن مصدراللحوم أولا يكلف خاطره السؤال عن الضمير والنية عند ذبح الحيوان- ولكن أن علم بطريق الصدفة من أحد أن هذا مذبوح لوثن فيمتنع عن تناوله لهذا السبب وهكذا خطا بولس خطوة نحو التقرب من الآمم والخطوة الثانية وهى أبعد من ذلك - كل مافى الملحمة كلوه لأن الرب فى الأرض وملؤها وهذا يعنى أنه رفع الحرمة عن لحم الخنزير الذى حرمة العهد القديم أو عن غيرة مثل الجمل والأرنب- ولقد كان هذا أيضا مثار خلاف بينه وبين الرسل الذين لم يقروه علي هذا الوضع- فطالما أن المسيح لم يصدر استثناء صريحا- كما فعل في قضية الزواج والطلاق فهم ملتزمون بالناموس وتقاليد العهد القديم. واستبقي بولس من المحرمات ما ذبح لوثن شريطة أن تعلم ذلك بشكل يقينى.

من أجل ذلك فإن بطرس وبرنابا عند التقائهم ببولس كانوا يتحرزون من مشاركة الوثنيين طعامهم وقد ذكر بولس إلي غلاطية ٢ / ١١ [ولكن لما أتي بطرس إلى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما لأنه قبل أن يأتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر نفسه خائفا من الذين هم فى الختان وراءى معه بعض اليهود حتى أن برنابا أيضا انقاد إلي ريائهم].

وبالطبع ليس أمامنا بطرس لنسأله عن حقيقة ذلك لكى يدافع عن نفسه ولكن المعقول أن علة التحريم هى أن طعام الأمم يتضمن لحوما محرمة علي إسرائيل فليس تناول الطعام معهم فى حد ذاته هو المحرم ولكن نوعية الطعام واللحوم هى سبب التحريم وبالطبع يشمل طعام الأمم أكلات نباتيه غير محرمة ومشاركتهم فيها جائزة

والتحرز من طعامهم أجمالا أقرب للحيطة والحذر هذه كانت نقطة خلاف فيما بينهم أما بولس فكان يرى التقرب من الوثنيين أقرب لنجاحه ولقد سبق وأشرنا في رسالة برنابا إلى المقدمة وكلمة مجوزين كل لحم نجس وعلقنا علي ذلك في حينها وفي رسالة بولس إلي تيموثاوس ٤ / ١ [ولكن الروح يقول صريحا إنه في الأزمنه الأخيرة يرتد قوم عن الأيمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين في أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم / مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق لأن خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ بالشكر - أما الخرافات الدنسة العجائزية فأرفضها] ولا أدرى بالضبط في أي مكان ذكر الروح أن كل الأطعمة جيدة ولكن ما هو واضح أن حرارة المعركة قد اشتدت هذا يحلل وهذا يحرم مما أدى إلي شقاق بين بولس وفريق الختان من التلاميذ وبالطبع فإن فريق الختان ضم بطرس الموعود بالكنيسة وبرنابا التلميذ الذى كان حمامة السلام بين بولس والتلاميذ وقوم أتوا من عند يعقوب أو التلاميذ فجماهير وغالبية المؤمنين مع بطرس وهذا لم يعجب بولس فوصفهم بأنهم مرتدون وتابعي أرواح مضلة وشياطين وأقوالهم كاذبه وضمائرهم موسومة وأن هذه خرافات عجائزية مرفوضة مما يدل على أن المعركة في حقيقتها كانت أعمق كثيرا من تلك القشور التى تبدو أمامنا فوصفهم بالمرتدين وهذه الحدة في اللهجة تدل علي أن العداء قد وصل مرحلة اللاعودة في الخلافات.

وهذا يفسر ما قلناه في حديثنا عن مقدمة برنابا. ولكن ما قصة ما نعين عن الزواج هذه؟

(٤) الرهبنة:

تيموثاوس ٣ / ٢ «يجب أن يكون الأسقف بلالوم بعل امرأة واحدة» أي أن بولس سمح للأسقف بالزواج ويبدو أن فريق التلاميذ كان يطالب رجال الدين عموما بالرهبنة ويفرضون قيودا أكثر صرامة في هذا الموضوع فتخفف بولس من بعض هذه القيود ونحن نعلم أن الكنيسة بعد ذلك قد اتخذت طريقا وسطا فأحلت للقس حتى درجة اسقف الزواج قبل تنصيبة قسا ولكن في هذه الحالة يرتقى لدرجة الأسقف فقط

ولا يرتقى أكثر من ذلك إلا من كان مترهبا فتقتصر الترقيات الأكبر علي الرهبان.

(٥) العقيدة (أ) سر المسيح :

يعتبر بولس نفسه الأمين المؤتمن علي السر المكتوم عبر الدهور فى حقيقة المسيح ويدخلنا معه فى دوامه الإيحاءات الغامضة التى تكاد تتحول إلي طلاسم ففى رسالته الثانية إلى افسس ٣ / ٢ [إنه باعلان عرفنى بالسر الذي بحسبه حينما تقرأون تقدرون أن تفهموا درايتى بسر المسيح الذى فى أجيال أخر لم يعرف به بنو البشر إن الأمم شركاء فى الميراث الجسدى ونوال موعده في المسيح بالإنجيل الذى صرت أناله أصغرالقديسين أن أبشر بغنى المسيح الذى لا يستقصى وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم].وهكذا يتحدث بولس عن السر المكتوم عبر الدهور والذى عجزت الأجيال المتعاقبة عن إدراكه وأصبح هو وحده أمين هذا السر وحارسه فقد أطلعه المسيح في لحظات الرؤيا على أسرارالكون فاصبح هو خازن الأسرار فى المسيح.

ثم ترتفع حرارة التقديس إلي درجة لم يبلغها أحد قبله ولا بعده فيقول إلي أهل فيلبى ٢ / ٥ [فليكن لكم هذا الفكر الذى في المسيح أيضا الذى كان فى شبه الناس وإذا وجد فى الهيئه كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل إنسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله لآب] وبهذه المبالغات والشطحات والطلاسم والأسرار استطاع بولس أن يشد إليه السذج من الداخلين الجدد في المسيحية من الأمم الوثنية التى اعتادت تقديس وعبادة الآلهه من بنى البشر بينما هرب منه التلاميذ الموحدون الذين عرفوا أولي الوصايا على يد موسى عليه السلام. [لاتكن لك آلهة أخرى أمامى لاتصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مالشىء على الأرض أو في السماء وما في الماء ومن تحت الأرض لاتسجد لهن ولاتعبدهن.].

وتقفز في ذهنى بشكل مفاجىء مقدمة برنابا الذى يقول إنه بدعوي التقوى زعم المسيح ابن الله– وكانت هذه في الحقيقة أخطر نقاط الخلاف مع التلاميذ وقد أوضحنا

فى فصل النصارى وحديث المهد بعد نسب المسيح موقف اليعاقبة وآل بيت المسيح من رفض لأزليه المسيح ومن رميهم بولس بالردة ومن أراد أن يقرأ الأناجيل ويعيد قراءتها فسوف يجد أن المسيح لم ينسب لنفسه فى لحظة من لحظات حياته وصف إله ونظراً لأنى خصصت فصولا لمناقشة العقيدة أرى تأجيل هذا النقاش لحينه حتى لا أكثر من التكرار.

(٦) نظرية الخلاص:

يعتبر بولس أيضا مؤسس وصاحب نظرية الخلاص الشهيرة- وموجزها أن آدم قد أخطأ وورث أبناؤه الخطيئه حتى جاء المسيح وافتداهم من هذا كله وحمل عنهم خطاياهم بصلبه وأهمل حتى قيمة العمل الصالح.

روميه ٥ / ١٢ [ومن أجل ذلك كأنما بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطيئة إلي العالم وبالخطيئة الموت ولكن قد ملك الموت من آدم إلي موسى فإذا كما بخطيئة واحدة صار الحكم إلي جميع الناس بالدينونة وهكذا بيرو احد صارت الهبة لجميع الناس لتبرير الحياة - كما بمعصيه الأنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضا بطاعه الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً]. هكذا يحمل بولس علي آدم ويحمله ذنب البشرية كلها إلى عهد المسيح ونحب أن نذكر بولس بما جاء في تثنيه ٢٤ / ١٦ [لايقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل] فآدم أخطأ ويحمل ذنب نفسه ولا يورث الناس الخطيئة فهذه ليست من عدالة السماء وأما الثانية فما جاء في حزقيال١٨/ ٢٠ [النفس التى تخطىء هى تموت والابن لايحمل من إثم الأب والأب لايحمل من اثم الابن برالبار عليه وشر الشرير يكون عليه فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التى فعلها وحفظ كل فرائضى وفعل حقاً فحياة يحيا لايموت] وإصحاح حزقيال الذى ذكرناه يشرح ويؤكد هذه الحقيقة- وهو كلام الله إلي حزقيال ومن أراد أن يرجع إلى هذا الإصحاح فسيجده كله يرد على هذه الحقيقة ويؤكدها وينوح باللائمه على من يحملون الأبناء آثام الآباء أو العكس. هذا الإصحاح خير رد علي هذه النظرية.

(٧)الخمر:

إلي أهل رومية ١٤ / ٢١ [حسن أن لانأكل لحما (محرما) ولا نشرب خمرا بل امتلئوا بالروح] والنصوص لديه الدالة علي استنكار الخمر كثيرة ولكنه يعود فيفتح بابا خلفيا علي استحياء يقول تيموناوس ٥ / ٢٣ [لاتكن شراب ماء(أي الخمر) بل استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة] وربما يكون ذلك بمعنى أن نسبه من الكحول يستخدمها الطب لحفظ الأدوية قد تكون لازمة مادام ذلك ضرورة يحددها الطب في دواء معين وذلك قد يكون مقبولا... ولا أعلل اكثر من ذلك حتى لانفتح بابا للحرام.

(جـ) عزلة بولس

نحن نعلم أن بولس بدأ الرسالة منفردا عن الرسل وبغير تنسيق معهم وبأسلوبه الخاص مما جر عليه كثيرا من المشاكل وجعل الرسل يستدعونه أكثر من مرة لبحث الخلافات حول الدعوة حتى لا يكونوا هم في طريق وبولس في طريق آخر.

ونحن نعلم أنه منذ البداية لم يستشر لحما ولادما علي حد تعبيره هو ونحن هنا نستعرض صورة للخلافات والتراشق بالألفاظ بين الفريقين وبالطبع لم يصلنا إلاما كتبه بولس في رسائله ولعل الفريق الآخر الذي لم تصل كتبه إلي أيدينا لم يكن يقل ضراوة عن هذا الفريق وهذه صورة لتلك الخلافات:

إلي فليبى ٤ / ١٥ [وأنتم تعلمون أيها الفيليبيون أنه فى بداة الأنجيل [الدعوة] لما خرجت من مكدونيه لم تشاركنى كنيسة واحدة (مدرسة من مدارس الدعاة) في حساب العطاء والأخذ].

أى أن الكنائس الأخرى أو مجموعات الدعاة إلي المسيحية لم تشارك ولاشك أنها عارضت خطة بولس فى السير فسار بلاتأييد من هذه الكنائس فيليبي ٣/٦ [من جهة الغيرة مضظهد الكنيسة] لماذا أضطهدته الكنيسة وجمهره الدعاة إلي المسيحية؟

فيلبي ٣ / ١٧ [كونوا كما نحن قدوة لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم كثيرا والأن أذكرهم أيضا باكيا هم أعداء صلب المسيح الذين نهايتهم الهلاك الذين مجدهم

في خزيهم].

وهكذا يصرح بلب الخلاف وبأن الفريق الآخر كانوا أعداء صلب المسيح فهل كان لهم رأى آخر حول صلب المسيح؟ هذا شيء من الصعب الإجابة عليه.

إلي تيموثاوس ٣ / ١٣ [ولكن الناس الأشرار المزورين سيتقدمون إلي أردأ مضلين ومضلين.].

تيموثاوس ٢ / ١٦ [وأما الأقوال الباطلة الدنسة فاجتنبها الذين ينصرفون إلى أكثر فجورالذين منهم هيمينايس وفيليبس الذين زاغا الحق].

وهكذا يصبح فيليبس وهو أحد أعمدة المسيحية الكبار وتلميذ المسيح الذى رشف منه العقيدة طاهرة نقيه ووعده المسيح بمنزله متميزة مع زملائة يوم القيامة- يصبح فيليبس هذا زائغا عن الحق الذى عرفة بولس وحده دون غيره من التلاميذ فيليبس هذا كان إلي جوار المسيح فى وقت كان بولس هذا في بحر لا شاطىء له من العداء للمسيحية.

غلاطية ٢ / ١٤ [ولكن لما أتى بطرس إلي أنطاكية قاومتة مواجهة لأنه كان ملوما] وقد سبق أن ناقشت هذا النص.

أما برنابا رفيقة وأحد المرشحين ليحل محل يهوذا يقول بولس عنه وعن بطرس [ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب الإنجيل] أى إنجيل بولس طبعا.

بطرس هذا هو الموعود بالكنيسة وشأنه معروف لا يعرف الاستقامة في رأى بولس.

إلى فيلبى ٣/١٢ [أنظروا الكلاب - أنظروا فعلة الشرانظروا القطع لأننا نحن الذين نعبد الله بالروح ونفتخر بالمسيح ولانتكل على الجسد (الختان)] .

وهكذا وصف الفريق المعارض بأبشع الشتائم إلي هذا المستوى من الحديث فهم كلاب وقطيع من الحيوانات لأنهم يتبعون الختان إلي تيطس ١ / ١٠ [لأنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ولا سيما الذين هم في الختان الذين يجب سد أفواههم فإنهم يقلبون بيوتا].

ومن المؤكد أن الحديث عن فريق الختان يعنى بطرس بالدرجة الأولى رسول الختان ورفاقة الذين ساروا معه وأيدوه وقد ذكر منهم قبل ذلك برنابا ويعقوب وفيليبس.

هذه لقطات سريعة ومجرد أمثلة للتراشق بين الفريقين وبالطبع أشار بولس إلي بعضهم صراحة كما ذكرنا ومن المؤكد أن أحداً من التلاميذ الأحد عشر لم يشارك بولس رحلاته اللهم إلا في بداية الدعوة قبل أن يحتد الخلاف وفي الوقت الذى كان التلاميذ يأملون رده إلى صف الحواريين ويحس قارىء الرسالة الثانية إلى تيميوثاوس والتى يقول فيها بولس ٤ / ٦ [فإنى الآن أسكب سكيبا وقت انحلالي قد حضر قد جاهدت الجهاد الحسن وأكملت السعى] ويحس فيها بدنوا أجله يحس قارىء هذه الرسالة انها مرثية حزينه يرثى فيها بولس فكره وآراءه وما وصل إليه حاله ففيها يقول ٤/ ٩ .[بادر أن تجىء لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلي تسالونكى وكريسكس إلي غلاطية وتيطس إلي دلماطية لوقا وحده معى خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع في الخدمة] ثم يواصل فى ٤ / ١٤ .

[اسكندر النحاس قد تركنى أظهر لى شروراً كثيرة ليجازه الرب حسب أعماله فاحتفظ منه لأنه قاوم أقوالنا جدا في احتجاجى الأول (عند طلبه للمحاكمة فى أورشليم) لم يحضر معى أحد بل الكل تركونى - لا يحسب عليهم].

وهكذا هبطت حرارة الحديث وهدأ الصوت المرتفع الذى كان يكيل الألفاظ لهؤلاء وهؤلاء وفى بداية الرسالة إصحاح ١ /١٥ [أنت تعلم هذا أن جميع الذين هم في آسيا ارتدوا عنى الذين منهم فيخلس وهرموجانس].

وهكذا ارتدت آسيا كلها جملة عن افكار بولس ولفظت آراءه وآسيا هى منبت الدعوة ومهد المسيح وعاصمة الدعاة فى أورشليم والتلاميذ كلهم بغير استثناء كما يقول بولس هاجموا أفكاره بعنف - فكم تبقى معه سوى مرقس فهو نافع في الخدمة- ولوقا الأنطاكى الحبيب لفظوه بعد أن يئسوا من إعادته إلي الصف فكيف اذا دار الزمان دورته بعد هذه المرثيه العجيبه وأصبحت هذه القله وتلميذى بولس الحبيبين معه هما الدعامة الرئيسية للفكر المسيحى وعموده الفقرى دون سواهما ؟ كيف اختفى

التلاميذ واحداً بعدالأخروطفا الرفيقين الأوحدين مرقس ولوقا على السطح هذا ما يجيب عليه الدكتور أحمد شلبى فى كتاب عن المسيحية بأختصار يجيب على هذا الانقلاب الضخم فى تاريخ المسيحية بعد أن اشهر بولس افلاسه فيقول في (سنة ٣١١،٣١٣) صدر مرسوم التسامح مع المسيحيين وبعد ذلك بعشر سنوات دخل قسطنطين فى المسيحية وبدأت كفة المسيحيين ترجح فقدتبنى قسطنطين المجمعات الكنسية وتابعها ثم تألفت جمعية ثورية باسم الصليب المقدس فى تورينو أخذت على عاتقها استئصال شأفة الوثنيين من الرومان وقد وصف هارثمار هذه الحركة بأنها أفظع المجازر البشرية التى سجلها التاريخ (طة المدور بين الديانات والحضارة ص ٤٣) ثم في سنة ٣٣٤ تحولت المسيحية والكنيسة إلي الفتك بمن عارض أفكار بولس الفلسفية الأغريقية، وقد حكم مجمع نيقيه بإدانه آريوس بطريرك مصر وصاحب فكره أن المسيح بشر (وكان فكر آريوس يغطى مساحة ضخمة من الخريطة ذلك الوقت) وحكمت بإحراق كتبه وتحريم اقتنائها وخلع أنصاره من وظائفهم ونفيهم والحكم بإعدام كل من أخفى شيئا من كتابات آريوس وأتباعه.ثم ظهرت محاكم التفتيش وكان أعضاؤها من الرهبان وكانت وظيفتهم اكتشاف المخالفين للعقيدة- وكانت تحتم علي كل إنسان أن يبلغ بغير تباطؤ ما يصل إلي علمه من شأن الملحدين فخلقت الجاسوسية في الأسرة الواحدة (الإسلام والنصرانية) لمحمد عبده ص ٤٠) وتعرض للاعدام بالشنق والحرق كثيرون ممن سموا فى نظر الكنيسة هراطقة وكثيرا ما كانت الكنيسة تلجأ إلي القتل البطىء فتسلط الشموع علي جسد الضحية حتى يموت وكانوا أحيانا يقومون بخلع أضراسة كما فعلوا ببنيامين كبيرأساقفة مصر لأنه رفض قرار مجمع خلقدونيه الذى يرى أن للمسيح طبيعتين لاهوتيه وناسوتيه وكانت وسائل التعذيب بالكى بالنار والضرب لأخذ اعتراف بالذنب قبل الاعدام..

هذه صفحة من صفحات التاريخ أقدمها للذين يتساءلون لماذا انتشر الإسلام بالسيف وانتشرت المسيحية بالكلمة صفحة واحدة تغنى عن ملايين الكلمات وهى فى نفس الوقت تفسيرا للغز ظهور نجم بولس بعد تلك المراثى..

(١١) طبيعة المسيح في الأناجيل

يحار من يقرأ الأناجيل حيرة تامة في فهم طبيعة المسيح بطريقة متناسقة هل هو أبن أم إله أم بشر أم نبي أم مسيا أم أيليا ...؟ فنسب المسيح في الأناجيل إن دل علي شيء فإنه يؤكد أربعين أو خمسين أو سبعين مرة أنه بشر بعدد الآباء الذين ذكرهم – فهذا نسبه وهذه سلالته بصرف النظر عن المجاز والمبالغات اللفظية مهما كان حجمها.

والبشارات التي يقولون عنها في العهد القديم لنبي من إخوتهم أو من ابناء داود يرث كرسي أبيه كما يقولون . والكلمة المفضلة لدي المسيح هي كلمة ابن الإنسان– متي جاء ابن الإنسان أو متي جلس أبن الإنسان علي كرسي مجده–وأبن الإنسان لا يجد أين يسند راسه.

ثم تتردد كلمة النبي وهي كلمة لا تتناقض مع كونه بشر أو رسول . متي ١٠/٢١ عندما دخل المسيح راكبا إتانه «فارتجت المدينة كلها قائلة هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل وفي متي ٥٧/١٣ ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه « وعندما التقي المسيح بتلامذته بعد حادثة الصلب «قال كليوباس للمسيح (وهو لا يعرفه) هل أنت متغرب وحدك في أورشليم – ولم تعرف الأمور التي حدثت في هذه الأيام ؟ فقال لهما . ما هي ؟ فقالا المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب ونحن كنا نرجو أن يكون المزمع أن يفدي إسرئيل .

وفي يوحنا ١٩/٤ «قالت المرأةياسيد أرى أنك نبي» وكون المسيح نبي لا ينفى أنه رسول أرسله الله للناس أو علي الأقل لا يتناقض مع ذلك فالله يرسل أنبياءه كما يشاء ففى يوحنا ٥ /٢٤ .«الحق أقول لكم من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية» وبعدها ٥ / ٦ «لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها هذه الأعمال تشهد لى أن الآب أرسلنى والآب نفسه الذي أرسلنى يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته» وفي لوقا ٣٩/٢٤ [أراهم يدية ورجليه فناولوه جزءا من سمك مشوى وشيئا من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم» وذلك أنهم تصورروه روحا أو شبحا لاحقيقة وأرادوا أن يتأكدوا أنه حي أمامهم بجسده فأكل وشرب.

والمسيح كان يمارس حياة البشر الطبيعية فيأكل ويشرب وينام ويوقظونه من النوم عاش وتربى كطفل ورضيعا بين أحضان أمه مريم وتحت سمع وبصر يوسف النجار كما يقولون وكانوا يتعهدونه بالرعاية ويصيبهم القلق عليه- ولم يقل أحد حينئذ أنه أكثر من بشر أما كلمة ربى أور بوني التى نسبت للمسيح والتى تكررت فى بعض الأحيان فأن يوحنا يلقى عليها الضوء الكافى ويتولي تفسيرها بنفسه فيقول يو ١ / ٣٨ [فقالا ربى الذى تفسيره يامعلم] أى أن كلمه رب التى كانوا ينادون بها المسيح كان معناها مربى أو معلم وهي كلمة تتشابه مع مثيلتها فى اللغه العربية وفي يوحنا ٢٠ / ١٦ [قال لها يسوع يامريم فالتفتت وقالت ربونى الذى تفسيره يامعلم] وهكذا يتطوع يوحنا وللمرة الثانية لإزالة الغموض عن تلك الكلمة أما كلمة الابن فإن البنوة لفظ شائع وعام منذ العهد القديم ففى تثنيه ١٤ / ١ يخاطب الخالق الأمه اليهودية والمسيح واحد من بنى إسرائيل (أنتم اولاد الرب إلهكم) وهكذا وببساطة جعل بنى إسرائيل أولاد الرب ولم ينف ذلك أن الله هو إلههم وخالقهم فالبنوة هنا كلمة تشريف وتكريم لم تخرجهم من كونهم خلق الله وعبيده فهذه الصفه لم تخرج اليهود من بشريتهم فمن باب أولي تستخدم هذه الكلمة للمسيح. وفى صموئيل ثان ٧ / ١٤ والحديث عن سليمان.

[أكون له أبا ويكون لي ابنا] ويضع العهد القديم نوعا من التأكيد بشكل خاص على بنوة سليمان عليه السلام بانى الهيكل وأعظم ملوك إسرائيل غير أن ذلك لم يمنع عنه غضب الله حينما أخطأ وسمح لزوجاته ببناء مرتفعات فنزع الله الجزء الأكبر من مملكته من أبنائه وأعطاها يربعام خادمه وذريته من بعده.

وصلاة المسيح كما علمها االمسيح نفسه لأتباعه والمؤمنين به متي اصحاح ٦ / ٩ [فصلوا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك- ليأت ملكوتك- لتكن مشئيتك كما فى السماء كذلك علي الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفرلنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ولاتدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلي الأبد- آمين] ويكرر لوقا نفس الدعاء والتوجة إلي الله اصحاح١١.

هذه هى الصلاة كما علمها المسيح تتجة الى الله وتجعله أبا للرحمه- للجميع علي حد سواء الملك ملكه والمشيئة مشيئته والمجد له وحده أبد الآبدين.

وفى يوحنا ١ / ١٢ [وأمـا كل الذين قبلوه (قبلوا المسيح) فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئه جسد ولا من مشيئه رجل بل من الله] ومع ذلك فرغم التأكيد والمبالغة في تمجيد الذين قبلوا المسيح وجعلهم جميعا وعلى حد سواء أولاد الله بسلطان رغم ذلك فمعناها أى المؤمنون به- هذا كلام يوحنا نفسه ومعناها أن البنوة لله عز وجل مهما بالغنا فيها لن تزيد على كون المنتسبين إلى الله هم المؤمنون به والله خالقهم لهذا فإن المبالغة فى تفسير هذه الكلمات والتحايل على معناها أمر لامعنى له وقد رأينا فى العهد القديم كيف تثير بعض الألفاظ شبهة أو لبسا فى معناها ومع ذلك يعود الكتاب لوصف موسى أنه عبد الرب رغم أنه فى مناسبات أخري قال له جعلتك لفرعون الها.

أما في العهد الجديد فقد استثمر البعض هذه الألفاظ الغامضة إلي حد التورط.

وإذا كان العهد القديم الذى جاء العهد الجديد تأسيا به قد قال- «قدس لى فاتح رحم» ومعناها بارك كل فاتح رحم بذبح أضحية له أوعقيقة قربانا لله عز وجل وشكرا له. فلا غرابه أن يستخدم العهد الجديد لفظ القداسة بطريقة تدخل اللبس على بعض القراء وتوهمهم بمعني أكبر من حجمها الطبيعي وقد رأينا في مناقشاتنا عن النصارى أن هذه الكلمة كان معناها الأصلي (الروح القدس) هو جبريل عليه السلام كبير الملائكة فهو الروح حامل المقدسات وسواء جاءت بهذا المعنى أو بغيره فإن كلمة عمدوهم باسم الاب هو الله والأبن المسيح رسول الله والروح القدس روح الأيمان ومقدساتها.

هذه بعض الأضواء ألقيها على الألفاظ الغامضة والطلاسم كما تبدو لنا حتى أقلل من أرض التيه التى يضيع فيها قارىء الإنجيل إن لم يكن على حذر وأحذر من هذه الألفاظ عند قراءة رسائل بولس بشكل خاص والذي لا يخلو هو نفسه من الشبهة فأقول.

إن المسيح لم يقل أبداً عن نفسه وبصراحة أو وضوح ولو مرة واحدة أنه إله ولكنها

ألفاظ غامضة فى بعض الأحيان. حملها المفسرون فوق طاقتها وأضاف إليها كتاب الرسائل وبولس بشكل خاص كثيرا من التمجيد مثل أنه رفع إلى السماء وجلس علي يمين الله. لماذا لا يكون الرفع بمعنى الرفعة والجلوس على يمين الله بمعنى أنه من أصحاب الجنة فأصحاب الجنة هم أهل اليمين وأصحاب النارهم أهل الشمال ثم تقول الأناجيل أن الآب لا يدين أحدا بل أعطى الدينونه للابن وهذه أيضا لا يفيد التأليه بدليل أن المسيح قال لتلاميذه متى ١٩ / ٢٩ [متى جلس ابن الإنسان علي كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا علي اثنى عشر كرسيا وتدينون أسباط إسرائيل] ولم يقل أحد أن الدينونه هنا تعنى أن التلاميذ أصبحوا آلهه- وأعمال الإنسان تدينه والرسل يشهدون يوم القيامة علي أمتهم ويقيمون الحجة عليهم فقد بلغوا وأنذروا وحذروا فلا حجة لأحد علي الله بعد الرسل والدينونه بمعنى إدانه الفاسقين والكافرين.

وحتي لو أفلتت عبارة أوعبارتين من هذا الخط العام فإن الأمر لا يخلو من ترجمات متعددة وظروف وملابسات مختلفه- وما أقوله هو أنه أن لم نفسر الأناجيل علي هذا النحو سيتحول الأمر إلي تناقض عجيب ومذهل فإن الأدله علي بشريه المسيح قاطعة وقد جاء المسيح بمعجزات لو دققنا النظر لوجدنا أنه من الرسل من جاء بأكثر منها ولقد كان موسى عليه السلام قاموسا من المعجزات الواحدة بعد الأخري، ومعجزة واحدة صنعها حزقيال تعدل معجزات المسيح كلها وتتفوق عليها لو قدرنا ها حق قدرها ففى حزقيال ٣٧ / ٣ [(يخاطب الرب حزقيال) يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ (وكانت أمامه قبور أكتظت بالموتى منذ قرون طويلة فقال ياسيد الرب أنت أعلم فقال تنبأ علي هذه العظام وقل لها أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب هكذا قال السيد الرب لهذه العظام- ها أنا ذا أدخل فيكم روحا وأجعل فيكم روحا فتحيون فخرجوا من القبور علي أقدامهم جيش عظيم جدا جدا] ما حجم هذه المعجزة بين المعجزات؟ وهى معجزة فى ثنايا الكتاب المقدس آلاف البشر ماتوا وإندثروا لم يبق فيهم جلد ولا لحم تآكلت العظام ويبست كيف عادت إلى الحياة بهذا الحجم- إنها قدرة الله بغير حدود إحياء ميت مات منذ أيام شيء وأحياء أموات من قرون شيء آخر إنها أشبه بقصة

البعث..

إننى الفت النظر فقط لمن يحاولون أن يجعلوا من بعض معجزات المسيح مبرراً لتأليهه فأقول لهم أفيقوا ليس من نبى يؤتيه الله عز وجل معجزة ثم يقول أنا إله من دونه ... ليس هذا خلق الأنبياء. بشريه المسيح قصة لاتحتمل الجدل.

كيف نفسر صلاة المسيح ثلاث مرات قبل رفعه؟ أوقبل صليه كما يقولون هل يصلى الاله لإله؟

كيف نفسر كلمات المسيح القاطعة قبل صلبه [ألوى ألوى لم شبقتنى] ويتطوع الإنجيل بتفسيرها فيقول الذى تفسيره [إلهى إلهي لماذا تركتنى] كيف نفسر كلمات المسيح وهو يخاطب مريم قبل الرفع يوحنا ١٧/٢ [لاتلمسينى لأننى لم أصعد بعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم] فجاءت المجدلية وأخبرت التلاميذ.

هل هناك نص قاطع أوضح من ذلك في آخر لحظات المسيح علي ظهر الأرض

لايسأل المسيح اذا عما نسب إليه بعد رفعه وتوديعه هذا العالم **﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ ﴿فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم﴾** لايسأل المسيح عما قاله غيره عنه بعد غيابه ذلك ليس من مسئولياته ولا يحاسب إلا ما جرى علي لسان، وهكذا برأت المحكمة العليا يوم القيامة وقاضيها ديان السموات والأرض ساحة المسيح يوم البعث من هذه التهمة وجيها في الدنيا- ما نطق بشرك وفى الأخرة من المقربين أن مبالغات الأتباع وتجاوزات الترجمة وعدم دقة الرواية وضياع كثير من الأصول والوثائق أو إحرقها كل ذلك هو المسئول عن الخلط أن كان حدث خلط بحسن نيه أم بغير ذلك أوبشىء من العمد وخاصة ما جاء فى الرسائل علي لسان بولس بشكل محدد فقد تضاعف الغموض وصار عمداً وبولس هو الذي يقول أنه هو وحده صاحب السر المكتوم والأمين المؤتمن عليه والتهمة الموجهة إليه من إنجيل برنابا والإنجيل الغنوصى قائمة تستحق البحث والتمحيص.

لقد حاول المسيحيون أن يحلوا إشكال الغموض والمبالغات فقالوا أن المسيح ابن والإبن مساون للأب في الجوهر ومنهم من قال أنه هو الله تجسد في شكل البشر ومنهم

من كان أكثر عبقرية من هؤلاء وهؤلاء فقال أن للمـسيح طبيعتين لاهوتيه وناسوتيه حلا لهـذا الأشكال ومال آريوس بطريـرك مصـر والإسكندرية نحو بـشرية المسـيح واتبعـه كثيرون وتحداه الامبراطور ومات بطريقه بشعه وحرمت كتبه وآراؤه والحقيقة أن أيا من هذه التأويلات لم تحل التضارب والغموض بحـال بل تزيدها تعقيدا وأقرب الأمور إلي الصواب هو ما قلت من أن المسيح بشر وما عدا ذلك مجاز يحتاج إلي تأويل وعلى أي حال فإن علينا أن نعرض لهذه الأراء بشيء من التفصيل وهذا ما سنفعله في الصفحات القادمة إن شاء الله

***

١٢ عقائد

أ- الأقانيم وأصحاب الطبيعتين:

إذا قلنا إن الإسلام دين يرتكز علي عقيدة التوحيد وأن كلمة لا إله الا الله -هي الركن الركين والأساس الثابت لكل مفاهيمه ومنها ينبع كل فرع بعد ذلك . فمن العقيدة ينبع التشريع والعبادات والمعاملات وما دام الله عز وجل هو الخالق فهو المشرع والمعبود وهكذا فى تسلسل وإستمرار -لذلك فإن محمدا ﷺ قد قضى فى مكة ثلاثة عشر سنة يؤكد ويعمق ذلك المفهوم واضطهد المسلمون من أجل تلك العقيدة زمنا وتعجب المشركون قائلين أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب؟ والقرآن والسنة قد شغلا بهذا الركن الأساسى- حتى إذا استقر هذا المفهوم ورسخ فى الأذهان انتقل الى ما عداه من عبادات كصلاة وصيام وزكاة ومعاملات وحدود ومحرمات ومواريث واقتصاد... الى غير ذلك وذلك عندما انتقل الرسول إلى المدينة- إذا جاز لنا أن نقول ذلك فاننا نقول بالمثل إن المسيحية تقوم عقيدتها على أساس الثالوث وقانون الإيمان والثالوث هو الذى يقول «باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد أمين» أما قانون الايمان فهم يقولون [نؤمن بإله واحد الآب خالق الكل ورب واحد يسوع المسيح إله من اله مساو للآب فى الجوهرمولود غير مخلوق والروح القدس] والغريب أننى بحثت عن هذه العبارة (الثالوث) أو تلك العبارات بشكلها المتكامل فى العهد الجديد كله من أوله إلى آخره فلم أجدها مرة واحدة مكتمله. وللحق والأنصاف وجدتها نصف مرة غير مكتمله فى إنجيل متى [فاذهبوا وتلمذوا الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس] والعبارة بهذه الصوره ينقصها عنصر جوهرى وخطير وهو كلمة إله واحد وحذف هذا الجزء قد يقلب المعنى رأسا على عقب فالعبارة بنصها الحالى لا تفيد بالضرورة أن الآب والابن والروح القدس مكونات لإله واحد . والمعنى الطبيعى الذى ينصرف إليه الذهن هو [عمدوهم باسم الآب وهو الله عز وجل - فالآب فى صلاة المسيح وفى العهد القديم دائما - هو الله عز وجل ورمز له والابن وهو المسيح الرسول وروح القدس وهى روح المقدسات من إنجيل وشريعة ومفاهيم

. . . فيكون المعنى عمدوهم باسم الله وعلى سنة رسوله وعلى مبادىء الشريعة والعقيدة والأنجيل . .

وهذا المعنى لاغضاضه فيه -عمدوهم باسم الله ورسوله وعلى روح العقيدة ومبادئها . . .

ولو أن العقيدة المسيحية تريد أكثر من ذلك أفلم تكن دعوى الأساس تستحق من المسيح وقفة يوضح فيها هذا الركن الخطير . بشكل صريح ولايترك للناس فرصة التأويل والتفسير؟

أفلم يكن أساس الإيمان يستحق منه ولو عبارة واحدة صريحة من تلك العبارات الأساس التى تتخذها المسيحية اليوم فتركها فرصة لتأويل البابوات من بعده؟ وكيف اطمأن المسيح على العقيدة بغير أن يوضح زواياها وأعماقها. لو أن المسيح ند لله عز وجل أو معادل له- فلماذا لم يذكر ذلك ولو مرة واحده. وكيف عبد المسيحيون ربهم قبل تكوين الثالوث وقانون الإيمان وكيف لم يلقنها المسيح التلقين الكافى واهتم بما دونها من فرعيات؟ ألم تكن تلك العبارة تستحق منه ترديدها وتعميق مفهومها-؟

هذا أمر تلفه الغرابة ويحيط به الغموض لذلك أفضل الاستطراد فيه.

ففى يوحنا ١٧ / ١ [تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الآب أتت الساعة مجدابنك ليمجدك أيضا إذ أعطيته سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته وهذه هى الحياة الأبدية لابد أن يعرفوك أنت إلاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته] ورغم بعض الطلاسم فى هذه العبارة فإنه من الواضح أن أخطر ما فيها هو ختامها أنت إلاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته- انت وحدك إلاله ويسوع نبيك هذه الاشارة واضحة جداً- أما ما قبلها من ألغاز أذا أردنا فك رموزها فنقول [يا الله قد أتت الساعة لترفع رسولك إلى السماء وتمجد شأنه ليعبدك فى السماء وإذا كنت قد أعطيته معجزة شفاء الأبدان ليعرف الناس طريق الجنة وحياتها الأبدية ويعرفون أنك وحدك الإله المعبود وأن عيسى نبيك المرسل لوقلنا هذا الكلام لأمكن فك؛ كثير من الرموز معنى بسيط وخاصة أن كلمة الآب فى صلاة المسيح وكل مسيحيى معناها الله عز وجل وهى الأصل دائما في كل عبادة.

[أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك- لأن لك القوة والمجد إلى الأبد] هذه هى الصلاة التى لقنها المسيح ولم يذكر لهم سواها فلماذا لم يلتزم بها المسيحيون؟

أن التقديس هنا والذكر لله وحده بغير شريك أو معين فالآب هو الأصل والمسيح يصيح فى كل ضائقه باسمه ويذكر وحدانيته.

ففى متى ٢٦/٢٤ [ياأبتاه إن لم يكن أن تعبر عنى الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك- ووجدهم نياما فتركهم وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام.]

وإذا كانت الترجمات المتكررة وضياع الأصل قد أضاف شيئا من المبالغة فإن هذا يزيد من واجب الحيطة والحذر.

والمسيحية الحالية ترى أن الآب والأبن والروح والقدس مكونات لشىء واحد كما قلنا وتقول إن هذه اقانيم ثلاثة وتفسيرا لهذا اللغز تقول إن كلمة أقنوم معناها ذات أو شخص أو شىء فهم يؤمنون بإله واحد له ثلاث أقانيم وكل أقنوم له وظيفتة وعمله المستقل ومع ذلك فهو متحد مع الكل.. ولو حاولنا التعويض الجبرى لهذا العبارة لقلنا إنهم يقولون.

[نحن نؤمن بإله واحد له ثلاثة ذوات مستقلة- ثلاثة اشخاص ثلاثة أشياء لكل وظيفة ومع ذلك فهى جميعها شىء واحد] وهي عبارة يستحيل هضمها- وقد اعترفوا بأنهم شرحوها جهدهم ولكن لن يتم فهم هذا اللغز تماما إلا في العالم الآخر.

هل ستعقد يوم القيامة ندوة لشرح الألغاز- وهل سيسمح اذا للذين لم يفهموها في الدنيا بمراجعه أنفسهم وتصحيح مسارهم أم أن الناس مطالبون بأن يؤمنوا بها بغير فهم أو إدراك تنفيذا لأوامر بولس [سأبيد حكمة الحكماء وفهم الفهماء].

هل أراد الله عز وجل لنا أن نعطل عقولنا ونلغى وظائفها ولماذا ميزنا بها عن سائر مخلوقاته التى سخرها لنا؟ وجعل العقل مناط التكليف وسر الحساب لأقامة الحجة على بنى البشر؟

ولكن نصوص الأنجيل تنفى أن تكون الثلاثة واحداً.

فالآب يأتى على شكل حمامة ويخاطب الابن المسيح قائلاً أنت ابنى الحبيب. والمسيح يقول أن الآب الذى أرسلة أعظم منه. ويصعد إلي السماء كما يقولون

ويجلس على يمين الآب..

فهناك متكلم إذا وهناك مخاطب.

وهناك على اليمين وهناك على الشمال.

وهناك مرسِل وهناك مرسَل. ومن المستحيل أن يكون الكل واحداً.. واضح أن هناك شيئين على الأقل الآب والابن. الله ورسوله فكيف يكونان شيئا واحداً؟

ولما حاول رجال الدين المسيحى أول الأمر أن يجعلوا المسيح إلها معادلا للآب ومساويا له لم تكن هناك مشكله فى أول الأمر لأن عصر الوثنيه وعقول الناس في ذلك الزمان لم تكن ترفض ذلك أو تنكر التعدد. كان الفكر الغربي الهيليني يؤمن بوجود آلهه عديدة تسكن جبال أوليمبس وكانت روما وثنيه فلم تكن هناك مشكله. ثم تطور الزمان وأتى عصر الحضارة والمنطق والترجمات التى فتحت عقول الناس على حقائق كثيرة فأدرك الناس أنه لا يمكن أن يكون للكون خالقين فالأمه يحكمها ملك لاأثنين والسفينة لها ربان واحد لاأثنين– ولو تعدد الآلهة لاختلفوا وتضاربوا ولانقسم الكون.. بدأ المنطق يزحف على عقول الناس وأدركوا استحالة التعدد سواء كان أثنين أم أربعه أم مائه ولابد أن يعيدوا ترتيب الأمور ويراجعوا حساباتهم وعندما حدث ذلك وجد رجال الدين أنفسهم في حيرة وأرادوا حل اللغز لكى تتناسق مع نصوص الإنجيل وعقول الناس وكلام المسيح فأضافوا للغز لغزا آخر فتحدثوا عن الأقانيم الثلاثة أو الواحد في ثلاثة والثلاثة فى واحد.

مرحلة من التورط وحل مشكلة يكون بإضافة مشكله أخرى فئه أخرى قالت إن الله تجسد فى المسيح فجعلوا الأثنين واحداً وحلوا اللغز بطريقه أكثر بساطة. وثالثه– كانوا أكثر عبقرية قالت أن للمسيح طبيعتين ناسوتيه أى طبيعه بشريه وأخرى لاهوتيه أى إلهية وأن الأثنين يسكنان جسداً واحداً متحدين. المهم أن يقنع كل فرد نفسه بالطريقه التى تريحه.

ونحن نسأل هؤلاء وهؤلاء أيهما الذى صلب؟ الناسوت أم اللاهوت؟ فإذا كان هوالناسوت أوالبشر فإن أى بشر غير المسيح كان كافيا لعملية الخلاص فلم المسيح

بالذات؟ وإذا كان كثيرون قد سبقوا إلي هذا الشرف ونالوا شرف الاستشهاد والتضحية بأنفسهم من أجل طاعة الله والدين والعقيدة وآخرهم هو ابن الخالة يحى أو يوحنا المعمدان الذى قتله الوالي وقدم رأسة على طبق إرضاء لغانيه وجزاءا لفتوي صالحة أفتاها. لماذا لم يكف ذلك كله- ولم المسيح بالذات؟

وإذا كان اللاهوت هو الذى صلب فأى طامة هذه؟ إذا مات الخالق لفنيت الحياة في الكون فمن يدير الحياة بعد موت الخالق ولو لحظة؟ ومن يعيد إليه الحياة ثانيه/ هل هو وهو ميت أم خالق آخر أقوى منه؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا..

متاهات؟ ونسأل ثانية هل يستطيع الناسوت أن يحيا بغير روح ويبقى فى الوجود؟ فالجسد بغير روح يعني الموت. أم أن هناك داخل الجسد الواحد شخصان أحدهما ناسوت والآخر لاهوت؟ وكيف نعرف من المتكلم فى هذه اللحظة اللاهوت أم الناسوت؟ وإذا حضر أحدهما فأين يذهب الآخر؟ وما السر فى أن كليهما بسكان جسداً واحداً هل هي أزمه إسكان؟

هل يتحدان؟ وماذى نسمي تلك الوحدة الجديدة خالق ومخلوق كيف يكون الخالق مخلوقا والمخلوق خالقا وكيف يكون الناقص كاملا والكامل ناقصا؟ كيف يكون الأسود أبيضا والأبيض أسودا في نفس الوقت؟

حاولت المسيحية أن تحل اللغز فخلقت ألف لغز.وإذا كانت المسيحية تريد أن تؤله المسيح فلماذا لم تفعل ذلك فى صراحة ووضوح ويقدموا لنا فكرا متناسقا؟ كيف عبد المسيح الله وهو الله نفسه؟

ولا شك أن حياة المسيح كبشر عرفه الناس طفلا وشابا يافعا ورجلا نبيا شيء لامجال لإنكاره ولا شك أن عبادته لربه وتوحيده لخالقة شيء لا يمكن جحوده؟ ولا بد أن الإنجيل الأصلي الذي تحدث عنه النصاري كما قلنا كان حيا يرزق فى أول الأمر فلم يستطيعوا أن يصرحوا علنا بالتألية وهناك الدليل العملى على غير ذلك ثم جاء زمان ضاع فيه الأصل وبقى اللغز فجاءت الكتابات إلينا فيها كثير من التضارب وكثير من التمليح وقليل من التصريح.

(ب) شخصية المسيح فى الأناجيل

ويقصد بالشخصية هنا التصاق الفرد بالحياة وتجاوبه مع أحداثها ومتغيراتها مدا وجزراً- فالشخصية الحقيقية تحيا دائما بتفاعلاتها مع الحياة- تنمو وتتطور وتكيف نفسها مع ما حولها من بيئه ومجتمع وتكاد تلمس فيها نبض الحياة فهناك حرارة الدعوة والجهاد- وهناك لحظات الترقب والانتظار ولحظات أخرى يعتصر فيها الحزن والألم نفس الإنسان- وهناك الرضا والقلق والحلم والغضب هناك النفس البشرية بكل جوانبهاوواقعيتها.

وعندما نتكلم عن سيرة أو قصة فإننا نتحدث عن نوعين من الشخصيات (Flat character) الشخصية السطحية وهى الشخصية التى تحكى ويعرض فيها الكاتب جانبا واحداً من جوانب الشخصية البشرية يركز عليه ويبرزه وله لازمتة الثابتة. يسلط الأضواء على هذه الناحية فتبدو دميه تتحرك بلا حياة أو كأنها أسطوانه مشروخه تكرر نفس الالفاظ والمواقف في نمطية ممجوجة كأنها قالب مصبوب مهما بدا جميلا فهى خاليه من نبض الحياة أما الشخصية المتكاملة (Round character) فهى« التى تعرض الإنسان بكل جوانبة وزواياه بغير حذف أو انتقاء بضعفها وقوتها تفيدها الخبرة وتجدد خلاياها التجربة فتنمو وتتفاعل وتكيف نفسها مع البيئه والمجتمع- وتعرض صورة الحياة في البيت والشارع مع الصديق والعدو وتحت كل الظروف والضغوط.

ولنضرب لذلك مثلا حتى يكون الكلام واضحاً من سيرة الرسول ﷺ يبدأ الدعوة سراً بين أهله وأقاربه يعود إلي السيدة خديجة وهو يرتجف من لقائه الأول بجبريل عليه السلام ويقول زملوني زملوني دثروني دثروني ويقول لخديجة. لقد خشيت على نفسى فتقول خديجة بصدق الزوجة ووفاء الصديق والله ياابن عم لن يخزيك الله أبداً إنك لتقري الضيف وتكرم اليتيم وتنصر الضعيف ثم تذهب إلي ورقه بن نوفل علامة قريش فيقول إنه الناموس الذي نزل علي موسى عليه السلام- ليتني أكون جذعا (أي قويا) حين يخرجك قومك فيقول الرسول ﷺ أو مخرجى هم؟ فيقول ورقه ما جاء أحد

بمثل ما أتيت به إلا أخرجه قومه، ولو كنت جذعا لأنصرنك نصرا مؤزرا..

ثم يمر زمان فيأمره الله عز وجل ﴿**فاصدع بما تؤمر**﴾ أى ارفع صوتك بالحق وواجه به الناس – فيجمع قومه وآل بيته وقريش عند الصفا فيجتمعون لا يعرفون لماذا جمعهم فيسألهم– لوقلت لكم إن خيلا بالوادى تريد أن تدهمكم أكنتم مصدقى؟ فيقولون أن الرائد لايكذب أهله. ما جربنا عليك من كذب فيقول ﴿**إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد**﴾ أى لرسول الله إليكم احذركم عذابه وادعوكم للإيمان به– ويقول أبو لهب عمه تبالك الهذا جمعتنا؟ فينزل قول الله تعالى ﴿**تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب**)

صدق الحديث يكاد يشع من كل كلمه وراء النبرات ومن خلال الحروف. هذه هي السيرة.

يذهب الرسول ﷺ يصلي حول الكعبة فيأتي أحد سفهاء قريش فيضع سلاشاة علي رأسه فلا يرفع رأسه حتى يبلغون فاطمة ابنته فتأتى وترفع عن رأسه القا ذورات.

يصلى حول الكعبة فيتطاول عليه أبوجهل بالسباب والرسول لا يجيب وتسمع جارية فتنتظر الحمزه عمه حتى يعود من صيدة فتحدثه قائله والله لقد سب عمرو بن هشام ابن أخيك سبا مقذعا.فيذهب إليه والدم يغلى في عروقه وبيده القوس فيضربه على رأسه ويشجه شجا منكرا ويقول ردها علي أن استطعت فيتدافع الناس ويقول أبو جهل والله أنى افحشت في السباب ويمنع الناس أن تكون فتنه بينه وبين بني هاشم.

يجتمع فى دار الأرقم ويأتي عمر حاملا سيفه يريد الدخول ويراه بعض الصحابه من خصاص الباب ويصيب بعضهم الخوف فيقول الحمزه – دعوه يدخل فإن أراد شرا قتلناه بسيفه فيؤذن له فيدخل ثم يعلن إسلامه يموت الحمزه غدرا برمح من وحشى عبد هند بعد أن وعدته بسوارها فيغضب الرسول ويقسم أن يقتل به سبعين من قريش ثم ينزل القرآن فينهاه– فيتراجع عن وعده ويستغفر الله... تسرق أنصاريه في المدينه ويخشى الانصار الفضيحة فيقولون من يشفع لها عند رسول الله ﷺ فلا يجدون أحب إلي رسول الله من أسامة بن زيد– الحب بن الحب فيشفع أسامة ثم يرد عليه

الرسول وقد احمر وجهه غضبا [أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة؟ إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا أذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد. والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها] درس على مسامع التاريخ والدنيا... تضيق قريش بالرسول ﷺ ودعوته فيأتي وفد منهم إلي أبى طالب يتوسلون إليه أويسألونه أن يمسك الرسول عنهم ويقولون لقد سب آلهتنا وسفه من مضى من آبائنا .. فيطلبه عمه أبو طالب ويعرض عليه الأمر ويظن الرسول أنه مسلمه ويرد في حسرة وألم بعد أن عرض القوم عليه المال والجاه والحكم مقابل أن يمسك عن سباب آلهتهم فيرد الرسول.«والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يساري ما رجعت عن هذا الأمر حتي يظهره الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفه. «أي اموت دونه».

صمود علي الحق ورفض لكل ألوان المساومة يأتيه ابن أم مكتوم الأعمى ليسأل عن بعض أمور دينه ويكون في مجلس الرسول بعض كبار قريش يدعوهم إلي الله ويأمل أن يهدى الله قلوبهم حتى يأتي قومهم من بعدهم فالناس دائما وراء زعمائهم وبينما الرسول يجادلهم إذا بالصحابى الأعمى يدخل فيقطب الرسول وجهه وبن أم مكتوم صحابى أعمى لا يري وجهه فينزل القران يلوم الرسول علي عدم ترحيبه بالمؤمن.

﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى..﴾ لوم من الله على هذا الموقف- لو كان محمد يكذب ما سجل علي نفسه ذلك الموقف. وموقف آخر مشابه أراد الرسول ﷺ يوما أن يحدد موعداً لمشركي قريش يلقاهم فيه- قالوا نريد محاورتك ولكن نجد معك صهيب الرومى- وبلال الحبشى- وضعاف القوم وفقراءهم فحدد لنا يوما ندخل عليك ولا يدخلون- فليس هؤلاء من علية القوم ولا يليق بنا أن نجلس معهم.. وأوشك الرسول أن يوافقهم وقال لعلى بن أبى طالب وهو كاتب الوحى أكتب لهم عهدا بذلك وأوشك أن يكتب فأخذ الرسول مايأخذه عند الوحى ونزل فور ذلك قوله تعالي من سورة الأنعام **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء ومامن حسابك عليهم من شيء فتطرهم فتكون من الظالمين﴾**

فأمسك علي ولم يكتب وكان الرسول بعدها إذا دخل هؤلاء الضعفاء يقول [أهلا بمن عاتبني فيهم ربى] ويفرش رداءه لهم.

في غزوه من الغزوات كان الرسول يسوى الصفوف للجهاد ومست درته بطن أحد المجاهدين فقال أو جعتنى يا رسول الله فناوله الدره وقال اقتص مني- أى خذ حقك واضربنى بها كما فعلت بك- فقال الرجل أنما ضربتنى عاريا فكشف الرسول عن صدره ليضربه الرجل فانهال الرجل يقبل جسده الشريف ويبكى وهو يقول إنما خشيت أن يكون مصرعي اليوم في الله فأردت أن يكون آخر عهدى أن يلمس جلدى جلدك.

وفى خطبه الوداع يقول الرسول [من كنت جلدت له ظهرا (بغير حق) فهذا ظهري فليقتد (ليقتص) منه ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليقتد منه- ولا يقولن أحدكم أنى أخشي الشحناء من رسول الله فليست الشحناء من طبعى وخيركم من ألفاه يوم القيامة وليس علي شيء] أوبهذا المعنى.

قيادة- زعامة ضرب للمثل. والحق لا يعرف المجاملة صمود صبر- عدل بين الفقير والغني لا تمييز بين طبقه وطبقه أو صغير وكبير لا إخفاء لشيء من الحقيقة- لاأسرار- تراجع عن الخطأ بغير إصرار أو عناد.

مواقف والسيره كلها مواقف- ضرب للمثل بغير انتقاء حياة كلها في النور بلا أسرار صدق في الحديث وأمانه فى الروايه هذه هي السيرة- محمد الإنسان فى بدر. يلتحم قلة من المسلمين مع كثرة من كافرى قريش ويخشى الرسول المغبة ويتضرع إلي الله صارخا يستنجد به حتي يسقط الرداء من على كتفه وأبو بكر يقول له هون عليك يا رسول الله فإن الله منجزك ما وعد والرسول يقول (يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض).

خوف على مصير الأمة المسلمة وهي تخطو علي بداية الطريق وقلق علي مصير الدعوة.

أين الإناجيل من هذا كله؟ اين مشهد الصلب وكم يثير من الأسى والحزن؟

لوقا ٢٣ / ٤٦ [ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودعك روحي ولما قال هذا أسلم الروح].

وهكذا ينتهى مشهد الصلب ببساطه منقطعة النظير ذلك المشهد الذي لو وجد القلم الناطق لحرك الأشجان ولأبكي الحجارةويحس القارىء أنه خارج المشهد بحواسة وعواطفة- أين جمهور المسيحيين وبكاؤهم من أجل مخلصهم أين الأم الثكلي والتلميذ الوفي؟

أين الأم وهى ترى مصرع وحيدها أمام عينها؟ اين واقعية المأساه؟

موعظة وراءها موعظة ومعجزة وراءها معجزة. حزمه من المواعظ وشحنه من المعجزات ولاشيء اكثر من ذلك. يبرىء أبرصا يحي ميتا يخاطب روحاً- يعظ ويضرب المثل. أين صد الأعداء وعون الأصدقاء اين حب الأخ وإيثارالصديق أين مجالس العلم وكيف تلقاها التلاميذ- لقد جاء المسيح كما يقولون ليتألم فما مظاهر الألم وكيف اختزلت إلي حد البتر.

كل هذه الأمور تأتى بصورة مهزوزه تفقدها أهم عناصر الاقناع الحسى لانها رتوش بغير تفاصيل وذلك بسبب بسيط وبسيط جدا- هو أن كتاب الأناجيل حرصوا على تقديم المسيح في صورة السوبرمان إله أو نصف إله- ليس إنسانا ولكنه شيء أكبر من الإنسان ففقدت الشخصية أغلى مقوماتها وهو نبض الحياة فقد النموذج البشري والسلوكي- وضعوا الحاجز الرهيب بين المسيح والناس والاتباع ضاعت دسامه الشخصية وحلاوتها فهل يقلد البشر إلها ويشاركونه نفس الشعور؟ إنه نمط مختلف ليس منهم- إنما هوالمعجزة فقط والموعظة فقط.

يوحنا ٢ / ٣ [ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع ليس لهم خمر قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة؟ لم تأت ساعتي بعد- فقالت مهما قال لكم فأطيعوه] وهكذا الرد- وهو مشغول بمعجزه وموعد المعجزه لم يأت بعد... أين برالابن بأمه وحنوه عليها وطاعته لإشارتها؟ كل ما يهمهم تقديم المعجزة والنموذج البشرى غير داخل في حساباتهم وفي مرقس ٣ / ٣١. [فجاءت حينئذ أمه وإخوته ووقفوا خارجا فأرسلو إليه يدعونه

وكان الجميع جالسا حوله. فقالوا له هوذا أمك وأخوتك خارجاً يطلبونك فأجابهم قائلا من أمي؟ ومن أخوتى؟ ثم نظر حوله وقال ها أمي وإخوتى] محاولة لقطع وشائج القربى وعرى البشرية التى تربطه بعالمنا وقطع الرحم البشرية ومع قطعها ضاعت القدوة والنموذج وفشلت الموعظة لأن المسيح صورة لما فوق البشر والناس أحوج ما يكونون إلي النموذج السلوكى منهم إلي المواعظ النظرية.ومحاولات السوبر مان وكان التلاميذ أنفسهم يغلبهم النوم بينما يستعد هو لفصل النهاية. فقدوا كل تعاطف معه.وهذا بطرس أحب تلاميذه ينكره ثلاثا.

وفى مرقس ٤ / ٣٥ [فحدث نوءعظيم فكانت الأمواج تضرب السفينة حتي صارت تمتلىء وكان هو على وسادة نائما في مؤخرة السفينة فأيقظوه وقالوا يا معلم أما يهمك إننا نهلك؟ فقام وانتهر الريح وقال للبحر اسكت فسكت الريح وحدث هدوء عظيم وقال لهم ما بالكم خائفين هكذا لا إيمان لكم؟

انتهر أصحابه لأنهم خافوا البحر والغرق والموت ووصفهم بقله الإيمان وما دخل الإيمان في ذلك؟ هم خافوا البحر لأنهم بشر لا يملكون أن يقولوا له اسكت فيسكت أو ابكم فيبكم.وهو لم يخف البحر لأنه بقوته العليا يستطيع أن يقول له اسكت فيسكت أوابكم فيبكم فما دخل الأيمان في ذلك؟

رسول الله محمد والقله المؤمنه تواجه الكثرة الكافره وهو يجأر لربه قائلا- اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض- قلقه وبكاؤه- هل ذلك قلة إيمان؟ لا إنها ضخامة المسئوليه وجسامة الحس والتقدير لها. بكاؤنا علي الموتى هل هو قله إيمان- إن الرحمة من الرحمن وحب الأهل جزء من الأنسان وخوف القائد على جنده قمه المشاركة. معركة مصيريه في يد القدر ولا يدري ما الله صانع فيها ويضرع إلي ربه طالبا النصر- أى غرابه في هذا؟ هذا هو معنى النموذج البشرىِ وهذا هو سر تعاطفنا مع رسول الله إنه منا ونحن منه وهذه واقعية السيره وحلاوتها.

حرموا المسيح بشريته فبدت قصته وكأنها قطعت من صخر بغير نبرات ولا أنين وهذا هو ما دفع وول دبورانت في كتابه قصةالحضارة جزء ٣ ترجمة محمد بدران

صفحة ٢٠٢ لكي يقول (هل وجد المسيح حقا؟ أو أن قصة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها اسطورة من الأساطير شبيهة بخرافات كرشنا وأوزيريس وادونيسيس ومتراس ؟

وهكذا تصور الكاتب المسيحي أن قصة المسيح كقصة جحا مثلا من صنع الخيال وصناعة الاوهام بغير أرض الواقع مجرد أحلام وأوهام ونحن نتساءل معه - كم من الدقة في هذه الروايات وكم من أحلام الجماهير - فقد قطعت مبالغات التمجيد جذور القصة بأرض الواقع.

***

(ج) قصة الخلاص
وعقدة الذنب

الخلاص والمخلص حلم يراود شعوبا كثيرة وخاصة في الماضي عندما كان الظلم يشتد ويقوى الظالمون وتحس الشعوب كأن أبواب الحياة تغلق دونهم فتجد الأمم نفسها أكثر لهفة علي انتظار المخلص يخلصها من آلامها - من استعمار بغيض أو اضطهاد عنصري عنيف أوتفرقة بين شعب وشعب أولون ولون . عندئذ يزداد الوهم ويتعاظم الحلم - وما أكثر أحلام البشرية. كانت إسرائيل تعاني من السبي تارة ومن نيرون أخري وتبكي مجدها القديم وتحلم بالمخلص - وكانت مصر تعاني من حكم الرومان الذين حولوها إلي بقرة حلوب تمدهم بالقمح وغير هؤلاء وهؤلاء وقصص المخلصين كثيرة ومتشابهة تشابها عجيبا ففي لقاء كليوباس للمسيح بعد قيامته وهو لايعلم . يقول له (-هل أنت متغرب ولم تعرف الأمور التي حدثت ؟ فقال ما هي-؟ فقالا المختصه بيسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا . . وكنا نرجوا أن يكون المزمع أن يفدي إسرائيل) واما في مطلع الأعمال ! ١/٦) أماهم المجتمعون فسألوه (المسيح) يارب هل في هذا الوقت يرد الملك إلي إسرائيل فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه) كانت إسرائيل تحلم بمن يخلصها وعكس التلاميذ في افكارهم ما غرس بداخلهم من أحلام المجد والسلطان كغيرهم من الشعوب وعندما تصدم الأمم في مخلصها بعد أن عقدت عليه آمالها وجسدت فيه أحلامها قبل أن يتحقق الحلم وتنفرج الأزمة وتعاني من جديد تكون صدمتها قوية وهزتها عنيفة وتفقد توازنها . عندما يختطف الموت هذا المأمول من علي خشبة المسرح ولم يكتمل بعد دوره ويحس أتباعه وأنصاره والمؤمنون به أنهم خذلوه وتقاعسو عن نصرته - فيغتال فجأة من بينهم - يكون الإحساس بالذنب كابوسا ثقيلا يؤرق مضجعهم ولا يتركهم في راحة أو سلام . عندئذ يتعاظم الحلم ويلجأ المقصرون إلي الخيال يعوضون به ما فقدوه من الواقع المرير - فما أسهل الخيال وآصعب الواقع ويعطونه في الحلم أضعاف

ما حرموه أو حرمه الواقع .

صلب المسيح الأمل كما تقول الروايات واختفي الحلم الحبيب ولم تحقق إسرائيل لنفسها الخلاص والمجد - ووقف التلاميذ وجماهير المؤمنين به عاجزين عن الحركة والعون فتصوروه حاكما عادلا في السماء ينتظر ليخلصهم في الأخرة بدل الدنيا فيمسك هناك بميزان العدالة حيث لا مذابح ولا اضطهاد تماما كما فعل سالفه أوزيريس الذي كان حاكما عادلا وديعا رقيقا علي الأرض لا يعرف المكر أوالخديعة واحتال عليه أخوه ست بمكره وشره فقتل الحمل الوديع والوجه البريء فقتل الرحمة والعدل - ووزع أوصاله على محافظات مصر - فذهبت إيزيس الأرملة الحزينة تجمع أوصاله من هنا وهناك وتملأ الدنيا بكاءا ونحيبا - ثم ضمت أوصاله جميعا إلى صدرها - فانبعث نور الى السماء والتحم الجسد الميت فقام من الأموات وصعد إلى السماء يمسك هناك ميزان العدل والرحمة وما أشبه الليلة بالبارحة .

في كل أمة تقريبا قصص متشابهة تجمعها عناصر وتفرقها تفاصيل في الهند فى اليونان في بابل وحتي في الإسلام .

قتل علي بن عم رسول الله ﷺ المقاتل الصنديد والعالم الورع وأقرب أقارب الرسول إليه وزوج إبنته - ولم ينل من الخلافة من الحظ ما ناله الأخرون هو وأبناؤه أحب الناس إلي قلوب المؤمنين- خذلهم أهل العراق تارة وغيرهم تارة أخري. وعندماأحس الشيعة وأحبابه بهذا الذنب قالوا أن عليا يعلم علم الأولين و الأخرين وقالوا أن المهدي المنتظر من أبنائه سوف يأتي ليخلص الناس وليعيد العدل والبركة إلي الأرض .

مات الحسين في كربلاء وظلت قصة موته جرحا غائر في قلب كثير من المؤمنين فتحدثوا عن الاثني عشر خليفة وخاتمتهم المهدي المنتظر. عقدة الذنب تؤرق صاحبها وتدفعه للأحلام وهذا أخطر ما فيها . فهو يهرب من الواقع ويلجأ للأحلام .

أحلام المخلصين كثيرة وهي نتيجة طبيعية لعقد الذنب وهكذا العاجز عندما يعطي مما لا يملك فإنه يعطي بسخاء غير محدود وتحول المسيح من نبي إلي إله .

(د) الصلب والفداء

لا يمكن أن يتم الكلام عن المسيح إلا بذكر قصة الصلب والفداء – ونحن نعلم أن بولس تقريبا هو صاحب هذه النظرية والداعية الأول لها .

وحتي يكون الكلام واضحا فإن الفلسفة المسيحية تقوم علي أساس أن آدم أخطأ وأكل من الشجرة – وقد قال الله له إن أكلت من الشجرة موتا تموتا والموت في نظرهم هوالموت الروحي أو لعنة الله والطرد من رحمته فكيف إذا عفا الله عنه ولم يعف مثلا عن إبليس الذي أخطأ هو الأخر ؟

العدالة تقضي بمعاقبة المخطيء وكلاهما أخطأ – ولكن جاء المسيح من ابناء آدم فقدم نفسه قربانا وكفارة عن أبيه وبذا حمل خطايا أتباعه والمؤمنين به ولقد كان البشر في نظر بولس يتوارثون الخطيئة والموت حتي جاء المسيح فحمل عنهم الخطيئة [ببر واحد صار الجميع أبراراً كما بذنب واحد صار الجميع خطاة] أراد الله أن يحل المشكلة فأرسل أبنه الوحيد كما يقولون أو تجسد وجاء بنفسه ليصلب نيابة عن آدم فهو المخلص وهو الحل .

وهكذا نفذ القصاص وقام العدل وعفا الله عن آدم وحمل المسيح ذنب أتباعه والمؤمنين به. هذه القصة كغيرها من قصص المسيحية تمتليء بأمور غايه فى الغرابة نود أن نسردها قبل تقديم الرواية كما جاءت فى القرآن الكريم:

(١) هل من العدل أن يخطيء آدم ويحكم عليه بالطرد من رحمة الله ثم ينفذ العقاب فى المسيح وهو بريء هل يتم القصاص وإقامه العدل بتنفيذ العقاب فى أى شخص أم فى عين المسيء وشخصة.

إذا فقأ إنسان عين أخيه مثلا هل يكفى القصاص بأن نمسك أى ماش في الطريق ونفقأ عينه– أم لابد أن يكون العقاب في الشخص المذنب؟

لو أن صبيا صدم رجلا بسيارته ثم جاء أبوه نيابه عنه هل يقبل أى قاض هذا البدل ويعاقب الأب بدل الابن والعكس هل إذا خطأ أب وقتل بسيارته طفلا في الطريق فهل

يمكن أن نأخذ أى فرد من أبناء القاتل ونقتله بديلا للأب.

هل تنفيذ العقوبة في شخص غير المخطىء ذنبين بدل ذنب واحد أم عدل وقصاص؟

أليس في تثنيه ٢٤ / ١٦ [لايقتل الآباء عن الأولاد ولايقتل الأولاد عن الآباء- كل إنسان بخطيئته يقتل].

أليس هذا الكلام صريحا وواضحا وخاليا من الغموض؟

(٢) هل الوساطة عدل تتفق مع مواثيق العدل أم أنها استثناء مرفوض وتعطيل للعدالة؟ ولماذا لم تمتد الوساطة لتشمل إبليس هو الأخر أليس خلقا من خلق الله؟

(٣) هل الصلب بديل للشقاء الأبدى أم أنه تخفيف واستثناء.

(٤) ألم يصلب كثيرون من أبناء آدم الأبرياء في كل ملة ودين دفاعاً عن الحق والدين لماذا لم يكف هؤلاء جميعا ولم المسيح بالذات؟

(٥) هل اتخذ الله عز وجل القرار ضد آدم متسرعا ثم ندم وأحس بالتورط فبحث عن الحل والبديل مخرجا من هذا الأزمه ولم يجد غير ذلك؟

(٦) أما كان يكفي أن نقبل القصة بحذافير ها كما جاءت في التورا ة موتا تموت فمات آدم وأبناؤه ومرضوا وعانوا علي سطح الأرض وبذلك نفذ الوعد بكل حروفه

(٧) ما ذنب أبناء آدم الذين لم يخطئوا وكيف يكون موسى وإبراهيم والأنبياء جميعا ورثه الإثم وتحل عليهم اللعنه حتى جاء المسيح وهو الوحيد الذي يقبل منه الخلاص؟ أليس ذلك تحيزا؟ إذا فما حقيقة الموقف الذى صورته الأناجيل كأن الخالق تورط في قرار ثم وجد الحل الوحيد أن يرسل ابنه الوحيد لينال نصيبه من السخريه من بني إسرائيل ويلبسوه تاجا من الشوك ثم يصلب فيقول اليهود جاء ليخلص الناس فلم يستطع أن يخلص نفسه.

ما حقيقة هذا الموقف في القرآن الكريم.

الأعراف ١١ / ٢٥

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك * قال أنا خير منه

خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال أنظرني إلي يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فيما أغويتني لأقعدن صراطك المستقيم ثم لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذءو ما مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين * ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناديهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون*﴾.

هذه قصة آدم مع إبليس في القرآن الكريم فيها.

(١) لما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة وكان إبليس في السماء يعبد الله بين الملائكة فأمرهم سبحانه وتعالى جميعا بالسجود لآدم.

(٣) وجهت إليه السماء استجوابا «ما منعك أن تسجد» وأعطي فرصة الدفاع عن النفس فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. فاعتبر النار أرقي من الطين فكيف يسجد من هو أرقي درجة لمن هو دونه فى الخليقة.

والسجود هنا ليس للطين ولا للنار ولكنه لأمر الله وطاعته فلا فضل للنار على الطين ولا للطين علي النار والتفاضل بتقوى الله. ردا إبليس أمر الله علي الله- واستكبر أذا وتمرد ولم يتراجع فهو ذنب مع العمد والاصرار فكان الرد الطبيعي من السماء فأهبط منها أهبط من مملكة السماء فمكانك إذا ليس بين الطائعين أنزل إلي منازل العصاة في الأرض . طلب إبليس مهله «انظرني إلي يوم يبعثون؛ طلب المهله إلى يوم القيامة فلم

تحرمه السماء ذلك الطلب.لقد عبد الله عز وجل أحقابا فأمهلته السماء أحقابا مثلها ليستوفي حقه وأجره في الدنيا وبدل الشكر على هذه النعمة توعد لأقعدن لهم وامنعهم الصراط المستقيم وأزين لهم طريق الغواية والضلال أصر علي الإنتقام من الكائن المفضل عليه.

فقال الخالق- إن جهنم موعد العصاه جميعا فمن أتبعك وسار خلفك منهم فهو معك فلا محسوبيه ولا استثناء.

ثم قدم الخالق النصيحة لآدم (في سورة أخرى) ﴿**إن هذا عدو لك ولزوجك**﴾ ثم قال سبحانه له ﴿**اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾ ويقال أنها جنة أرضية أى أن الأرض كانت خضراء وأرض بغير شوك ولا حسك ثمارها وارفه ﴿**أن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي**﴾ ثمارها وفيره وجوها جميل لاحر ولا عطش ولا جوع ولا عرى..

ثم وضع لهما اختياراً مساويا لاختيار إبليس- إبليس اختبر بأمر من الله بالسجود فأبى وآدم اختبر بالمنع ﴿**لاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**﴾ أطاع آدم أمر ربه زمانا ثم وسوس له الشيطان عدوه اللدود أراد أن يكشف ضعفهما وماخفى من عيوبهما ودق على الوتر الحساس. ماأحب شيء إلى الإنسان؟ الخلود حياة بلا موت قال ﴿**ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكون ملكين أوتكونا من الخالدين**﴾ أليس الخلد أحب الصفات إليهما؟ وصمدا زمانا فقاسمهما- أى اقسم بالله عز وجل أنه صادق فيما يقول وناصح أمين ضعفت مقاومة آدم. تساءل هل يمكن لمخلوق أن يقسم بالله كاذبا- ووصف القرآن الحالة بدقته المعهودة ﴿**فدليهما بغرور**﴾ سقطا فى الفخ بحيله وخديعة- كان فخا خبيثا فسقطا فيه فلما امتدت أيديهما إلي الشجرة- بدت لهما سوأتهما سقطت ثياب الكرامة التى كرمهم الله بها وطفقا يبحثان عما يسترعورتهما ويناديهما ربهما والنداء يكون من بعد والبعد هنا بعد الخطيئة صارا بعيدين عن الله بخطئهما، ﴿**ألم انهكما عن تلكما الشجرة**﴾ أوضحت لكما عدواة إبليس- سقط آدم وزوجه في الإمتحان إذاوكما حدث لإبليس عند سقوطه- تكرر

الموقف مع آدم فعرضا علي المحاكة الربانية كما حدث لإبليس ولكن هل يستطيع آدم أن يتراجع هل هذه الخطيئه قابلة للتراجع هل يستطيع أخراج ما دخل في بطنة هو وحواء؟ ذلك لم يعد في مقدوره كان إبليس يستطيع أن يراجع نفسه ويسجد أما هنا فلا تراجع فماذا كان الرد. ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾.

هذا هو السر- وهذا هو الفرق إذا بين كليهما لا يستوي خطأ وخطأ- هنا اعتراف سزيع بالذنب والخطيئه- ربنا ظلمنا انفسنا ورجاء ودعاء وتوسل أواستعطاف ﴿**وأن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ من حقك يارب أن تعذبنا فنحن مخطئون- لاعناد- لاإصرار- لا تمادى في الذنب لارد لأمر الله علي الله لاتبرير للمعصية شتان بين ذنب وذنب- لقد وقع الذنب أصلا نتيجة التغرير علي أساس نقطة الضعف البشريه وعرف إبليس زوايا الضعف فى الإنسان فسقط آدم- ولكن هذه هى حكمه الله من حكمه الله الذى خلق الإنسان أن تتجلي أحد صفاته فالله عز وجل رحيم رحم الملائكة ورحم آدم قبل السقوط- ذو عقاب أليم منتقم لكل معاند غفورلمن تدارك الخطا بسرعه.

﴿**إنما التوبة علي الله للذين يعملون السوء بجهاله ثم يتوبون من قريب**﴾ تلك هى شروط التوبة والمغفرة وقواعدها. هبط آدم آذا بعد الخطيئه- وقال له ربه ﴿**بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلي حين**﴾.

حرم النعمه التي كان فيها والرغد الذي كان يتمتع به- أعطى مهله أخرى كما أعطى إبليس مهله قبل دخول النار فالحكم قد صدر ومهلة آدم دورثان- وملحق اختيار ثان- صل صم زك حج- لاتقتل لاتسرق- لاتأكل ربا لا تشرب خمراً أطع والديك قل الحق- لكل فرد علي وجه الأرض مواد امتحان واختبار لم يكن إبليس وحده الممتحن ولم يكن آدم وحده الممتحن كلنا آدم وكلنا أمام مواد اختبار عديدة فمن نجح فاز ومن فشل هوى وميزان العدالة لايميل ولايهتز ولاينحرف.

لم يتورط الخالق إذا. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-

قرار الخالق بطرد إبليس عدل وليس تسرعا. وقراره لآدم بدور ثان هو الحق والعدل- هل في ذلك ما يحتاج للتبرير أو الدفاع.

ليس كل المخطئين سواء هناك قتل مع سبق الإصرار والعمد وقتل-علي سبيل الخطأ وبغير قصد- أوأعداد أوترتيب هناك قتل في المعركة جهاداً فى سبيل الله. هناك حكم ظالم بالقتل علي إنسان وحكم عادل قصاصا عدلا..

هل تنقص عدالة السماء هذه النظره وضع كل ملابسات الجريمة تحت الاختبار. كل قرار محسوب وكل كلمة من الله عز وجل تزن السماء الأرض. الله عز وجل لايندم فالندم صفه الخطائين ولا يتخذ قراراً متسرعا ثم يبحث عن مخرج ولا يقبل الوساطة والمحسوبية فتلك أول مراقى الظلم. عفا الله عن آدم لأنه غفار لم يورث الله عز وجل الخطيئه لأحد ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ الأب لايقتل عن الأبن ولا الأبن عن الأب ﴿وما قدروا الله حق قدرة﴾ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

***

(١٣) الولد في العلم والاسلام

يتنازع الكائن البشرى في دنيانا عزيزتان وكذلك الحيوان– أولاهما شهوه الطعام والشراب وثانيهما الجنس. والأولي هدفها المحافظة علي الحياة فهى تدفع صاحبها للبحث عن الطعام والشراب يحركة الجوع ويرضيه أويمتعه الشبع ثم يؤدى الطعام وظيفتة البيولوجية– فعن طريق الطعام يحصل الإنسان أو الحيوان أو النبات على السعرات اللازمة للحركة الظاهرة أو الخفيه كحركة الأعضاء وحركة القلب والأمعاء.

وهكذا تستمر حياة الكائن وتؤدى العزيزة الأولي دورها أدرك صاحبها أولم يدرك شيئا من مراميها .

والثانية غريزة الجنس هدفها المحافظة علي النوع عن طريق التكاثر والإنجاب– فما دامت فسحه الإنسان على الأرض محدوده ولابد أن تنتهي بالموت كان التكاثر ضروريا ليبقى النوع علي ظهر الأرض ليخلف الأب الجد ثم يخلف الأبن أباه ثم يخلف الحفيد الأبن وهكذا تدور عجلة الحياة. هذا هوهدف الغريزة الثانية أدرك صاحبها معناها أم لم يدرك شيئا من هذا المغزى يستوى فى ذلك الإنسان والحيوان والحشرات.

إذا عرفنا أن سر الإنجاب وسر الولد أن الإنسان كائن . كتب عليه الفناء والموت فهو غير مخلد علي سطح الأرض قلنا فما معنى الولد إذا بالنسبة للخالق عزوجل ذلك أمرلا معنى له فالولد إذا صفه من صفات النقص في حق الله تعالى– هذه بديهيه علميه لامهرب منها.

فإذا إنتقلنا إلي الإسلام وسألناه الرأى في هذا الموضوع وبغير مجاملة فالمجاملةعلي حساب العقيدة تضليل والله لا يستحى من الحق– **﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى امرا فأنما يقول له كن فيكون﴾** .

﴿وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون﴾.

فمـا نسب لليـهود أنهم أبناء الله أكـذوبه وكذلك قـول النصاري عن المسـيح وفى الحالتين تلك قصـه وثنيه قديمه قالهـا الفراعنه قالوا عن فرعون ابن الـشمس لأنهـم كانوا يعبدون الـشمس وقالت قريش أن الملائكة بنات الله وعـبد المصريون القدمـاء الثالوث المقدس ايزيس وإيزرويس وحوريس وفى مطلع الكهف.

﴿الحمـد لله الذى أنزل علي عبده الكتـاب ولم يجعل له عوجـا فيمـا لينذر باسا شديد من لدنه ويبـشر المؤمنين الذين يعلمو ن الصـالحات أن لهم أجرا حسنا مـا كثين فيـه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً مـالهم به من علم ولا لابائهم كبـرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا؟﴾.

فمن أهدف الإسلام تكذيب فريه الولد علي الله.

﴿أن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبـداً لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾.

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبـدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾.

وعندما يقف المسيح عليه السلام بين يدى الله عـز وجل يقدم كشف الحساب في موقف المساءله الذي وضعه فيه إتباعه فيسأله رب العزه **﴿يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخـذونى وأمى إلهين من دون الله؟ قال سبحـانك ما يكون لى أن أقـول ما ليس لى بحق أن كنت قلته فقد علمتـه تعلم ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك أنك أنت عـلام الغيـوب مـاقلت لهم إلا مـاأمـرتنى به أن اعـبـدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شـهيدا ما دمـت فيهم فلما توفـيتنى كنت أنت الرقيـب عليهم وأنت علي كل شىء شهيد * أن تعذبهم فـإنهم عبـادك وأن تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم * قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾.**

وقف عيسى بين يدى الله عز وجل ينفي التهمة عن نفسه وقد صدق فما وجدت له كلمـه صريحه نـسبت إليـه ولو زورا أنه ادعي أنه إله أو أنه الله أو أنه خلق السـموات والأرض. مـا طلب من تلميـذ أوبشـرأن يعبـده أو يصلى له بل جـعل الصلاة كلهـا لله

كانت صلاته التى عملها عبادة لله حتى كان آخر كلامه من الدنيا (إننى أصعد إلى ربى وأبيكم وإلهى وإلهكم) مجاز عام شائع فى العهدين الجديد والقديم وفى كلماته وقد صدق فما ذنبه لوقالها غيره؟

المائدة ٧٢،٧٣

﴿لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وأن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم﴾.

وهكذا نفي القرآن في آيتين متتاليتن نظريتي التجسيد والثالوث فالله عز وجل لم يتجسد وليس ثالوثا ولكنه إله واحد- ذلك شرك وكفر.

وفى نفس السورة ٨٥ **﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾** هناك دين واحد نزل علي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وما كان الله عز وجل ليأمر بعبادة سواه يوما ولا يزيف عقيدة علي لسان نبى فألتحريف من البشر.

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا * فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (البقرة: ٧٩).

لم ينزل الله عزو جل أناجيل وإنما إنجيل واحد أنزله على المسيح هو المعرف- فكل ما نسب لبشر رد عليه ولقد ضاع الإنجيل الأصل وأندثر وبقيت تحريفات تقرب وتبعد...

وعندما ما يجدد الله نبيا وكتابا تسقط حجةالبشر فما كان الله ليعيد إلينا كتاب نوح أوإبراهيم أو صالح فلكل دين وشريعة ولكل زمان نبى ثم يرثه نبى آخر ولاعودة إلي الوراء.

لست أحب ولم يكن هدفى أن أفصل هذا الموضوع لولا دعاوى المستشرقين. ودارس القرآن بصدق يرى ذلك كالشمس امام من لا يرى ،ولا يسمع- فأتركه فلن تنفعه الأوهام ثم اشير إلي بعض الكلمات التى يحاول البعض أن يجعل منها لغزا.

﴿ومريم ابنه عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ التحريم

من سورة ص ﴿وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشر من طين ٭ ٧١ فاذا سويته ونفخت منه روحى فقعوا له ساجدين ٧٢ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ٧٣ إلا أبليس استكبر وكان من الكافرين ٧٤﴾

فالروح التي ينفخها الله عز وجل هنا هى سر الحياة التي أستأثر بعلمها لنفسه فقد نفخ فى آدم من روحه والأضافة هنا للتملك لا الجزيئه مثل خلق الله ونبي الله فهذه أضافه وتكون الروح أحيانا بمعنى جبريل عليه السلام.

﴿نزل به الروح الامين على قلبك﴾ وقوله في سوره القدر ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ فالروح هو زعيم الملائكة جبريل ويسمى أحيانا روح القدس لأنه المؤتمن علي كل المقدسات وكتب السماء ويقول الرسول [نفث فى روعى الروح القدس أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها] أو نحو هذا المعني وذلك بمعني الوحي من جبريل.

ومن ذلك قوله تعالى في سوره مريم ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت أني أعوذ بالرحمن منك أن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾.

فجبريل ترك هيئة الملائكة وصورتهم وتجسد بشرا لتستطيع مريم أن تراه بعينها وبصرها ثم خاطبها ﴿إنما أنا رسول ربك﴾ رسول من عند الله برسالة منه.

أما الكلمة فى المفهوم المسيحى لإنجيل يوحنا (لوجس) الكلمة اليونانيه بالمفهوم الفلسفى اليونانى والكلمة عند الفلاسفة اليونان فهى خالده ومعادلة لله عز وجل أما في الإسلام فهي كلمة كغيرها من الكلمات وقال الله عز وجل فى سورة ﴿يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم﴾ آل عمران ٤٥

الكلمة فى الإسلام هي قوله تعالى في سورة يس ﴿انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾

الكلمة هى كلمة كن. كونى سماء فكانت سماء كونى أرضا فكانت أرضا. كن مسيحا بشرا سويا فكان مسيحا.

الكون كله لله- إذا أراد نجما أوشمسا خلقها بكلمة منه فتكفى منه تعالى كلمة واحدة إذا ليس هناك الغاز ولا طلاسم والذين يريدون أن يخلقوا طلاسم من القرآن يجرون وراء الأوهام.

﴿ثم استوي إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين فقضا هن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء امرها﴾

هذاخلق الله وتلك مشيئته سبحانه .

***

(١٤) الجسد والحلول

تكوين ١ / ٢٧ [خلق الله الإنسان علي صورته على صورة الله خلقه] حاول العهد القديم أن يصور لنا الخالق علي صورة البشر وقد تحدثنا عن ذلك في الفصل (١-أ) أما الإسلام فإنه يقول ﴿ليس كمثله شيء وهو السيمع البصير﴾.

ولو حاولنا تحليل هذا المفهوم لقلنا أن الإنسان كائن له عينان يسجلان الصورة فى اتجاه واحد وعلي بعد معين وفى اتجاه معين دون حائل يعترض مسيره الضوء وبأشعة معينه فبصر الإنسان له حدود وإمكانيات فهو لا يري الذره والهواء ويرى الشمس بحجم غير حجمها الطبيعي فبصره ناقص وسمعه يسجل ذبذبات معينه يترجمها إلي صوت وهو مركب من هيكل عظمى وعضلات وأجهزة فالجهاز الهضمى وظيفتة تلقى الطعام ومضعه وإفراز عصارت للهضم ثم جهاز للإخراج يطرد الفضلات المتبقية والسموم وجهاز بولي يطرد السموم كذلك وغدد عرقية وجهاز دورى يحمل معه عن طريق الدم الغذاء ويوزعه علي الخلايا لتأخذ حاجتها من الطاقة والسعرات الحرارية ذلك هو القلب والرئتان ويؤكسد الطعام ويحرقه فى الشرايين والأوردة تحمل الدم- ثم هناك جهاز تناسلى في الرجل والمرأة له وظيفة هى الإنجاب وهيكل عظمى يحفظ علي الجسم قوامه وقدرته علي الحركة متعاونا مع العضلات.

ومعني ذلك كله أن الإنسان كائن أرضى يتناول الطعام ويتنفس الأوكسجين- ويتكاثر فبدون الهواء يموت وكذلك لوحرم الطعام أو الشراب وهذه كلها مقومات أرضية ولو ابتعد الإنسان عن الغلاف الجوى بضعه كيلو مترات لهلك.

ما حاجة الله عز وجل لهذه الأجهزة- هل يأكل وبغير الطعام يموت؟ هل يحتاج إلي سعرات حراريه كي يتحرك فيستمد تلك السعرات من الغذاء؟ إذا كان الخالق لا يحتاج إلي طعام فمافائدة جهاز هضمى له وأذا كان لا يوزع الطعام فما حاجتة إلي الدم والقلب والرئين هل يموت الخالق لو فارق الأرض- ما فائدة الرئتين له؟ هل يخرج الفضلات؟ فما قيمه الامعاء له؟ هل يسير بخطوات البشر وبطء حركته فكيف يحكم السماء والأرض- هل بصره محدود تحكمة أشعه ضوئيه فلا يرى في الظلام وهل

سمعه محدود..إذا فلا بد أن نفهم أن تركيب الإنسان وشكله هو تلبية لاحتياجاته الأرضية المحدودة والله عز وجل ليس كذلك فهو لا يحتاج إلي التناسل لأنه لايموت ولاإلي الطعام ولا إلي الهواء.

لوحاولنا أن نرتقى بالعبارة إلي درجة أرقى فجعلنا التشابه بين الخالق ومخلوقه الإنسان أن الإنسان أخذ بعض صفات الخالق لكان أفضل أماالذات فهي خصوصية من خصوصيات الله تعالى لا يشاركة فيها أحد.لو قلنا أن الإنسان له إرادة مهما كانت محدودة ومقيدة لكنها إرادة لها درجة من الطلاقة وهذا سر الحساب في الإنسان.

ولو قلنا أنه للإنسان قدرة ولله قدره ومهما كانت قدرة الإنسان محدودة فهي قدرة.ولو قلنا أن الإنسان له درجة من العلم وعرف قدراً من العلوم والله يعلم ما فى السموات وما في الأرض ما كان وما يكون.

ولوقلنا أن الإنسان قد يحكم فيكون حكما أو قاضيا والقاضى قد يعدل فيصير عادلا- وقد يحسن الإنسان إلى أخيه أو قريبه أو يرحم الضعفاء أو يحلم على السفهاء كل هذه التصرفات تعطية قدراً من المشاركة مع الخالق في أسماء الصفات وهذا سر كون الإنسان كائنا جعله الله سيداً علي الأرض.

فالانسان قد يكون قادراً عليما حليما رحيما- قد يغفر السيئه لأخية وقد يكون عادلاً وملكا أو منتقما يحكم بالقصاص.

إلي غير ذلك من صفات الخالق.

وأنه قد ينحرف أو لا تتوفر له بعض هذا الصفات فيكون مثلا عاجزاً عن الحركة أو مشلول الإرداة أو يفقد القدرة علي التفكير لمرض يصيبه أو يكون ظالما أو طاغيا فإن أخذ من صفات الله عز وجل وكما له كان أهلا للجنة وإن انحرف إلي الظلم والبغى والشح رده ذلك إلي النار قد يتحول العلم إلي التدمير أو إلي الغرور والكبرياء تلك صفات تجعله غير مستحق ليكون خليفه فى أرض الله وتدفعه إلي طريق الشيطان وإلى طريق النار.

لو فهمنا العبارة بهذا الأسلوب لكان خيرا وأقرب إلي الكمال أما ذات الله عز وجل فلا يشاركة فيها أحد ولا يشبهه غيره تعالى الله عن ذلك كثيرا-.

اعترافات

دفعنى إلى كتابة هذا الفصل ما عثرت عليه من معلومات قيمة حول أصول الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث فى نسخة قامت بطبعها الرهبانية اليسوعية بلبنان وصدر الكتاب المقدس فى مجلدين تحت إشرافها ولكل مجلد مدخل ثم مدخل آخر لكل سفر وزود الكتاب بحواشى لتوضيح بعض النقاط الغامضة والحقيقة أن الكتاب بهذه الصورة خطوة رائدة فى البحث عن الحقيقة وبأسلوب علمى كما أنه مرجع موثق باعتباره مرجعاً أو مصدراً كنسيا – وقد كنت فى مسيس الحاجة لمثل هذا الكتاب لاستكمال البحث حول الأصول – وهو الفصل الذى بدأته تحت عنوان (العهد القديم أسلوبه وتدوينه) ثم تحاشيت الخوض فيه عندما تعرضت للعهد الجديد .

ثم فكرت أن أضم لهذا الكتاب كتابين آخرين أولهما كتاب شارل چينيبر رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس ثم كتاب مايكل هارت (الخالدون مائة) فيما يتعلق بالشخصيات البارزة الأربعة محمد ﷺ من ناحية – والمسيح عليه السلام وبولس وقسطنطين كمؤسسين للمسيحة ودور كل منهم من جانب آخر فى المسيحية

وكانت تلك الكتب وما قدمته من مقتطفات أساساً لما أسميته باعترافات لما بها من معلومات غاية فى الحساسية حول العقيدة ذاتها فقد أقر كل من چينيبر وهارت بشكل واضح وصريح أن بولس هو واضع عقيدة اللاهوت المسيحية وأنه أضاف تألية المسيح وهذه حقيقة يعرفها كل من درس المسيحية وقرأ تاريخها بالأسلوب العلمى. وأضاف چينيبر أن المسيح وحواريوه لو جاءهم نبأ أن المسيح قد تجسد فيه الخالق لأصابهم الذهول ولما أدركوا ماذا يعنى ذلك أول الأمر. وأن التنازلات التى قدمها مسيحيو عصر قسطنطين ليحصلوا على جواز مرور إلى داخل المجتمع الرومانى الكبير بقبولهم ما فرض عليهم من جانب قسطنطين لم يكن شيئاً يرضى عنه المسيح ولكننى أترك كل التفاصيل بعد المقتطفات، وأعود سريعاً لأبرز نقاطاً أحس أنها ذات وضع متميز يجدر الإشارة إليه حول كتاب اليسوعيين قبل سرد الحديث بتفصيل أكثر بعد ذلك.

أ- ذكر الكتاب فى مدخل سفر التكوين أن هذا السفر وغيره من أسفار التوراة والعهد القديم يتسم بتقاليد أربعة أذكر منها هنا اثنين وكلمة تقليد أدبى وأسلوب يعنى تعدد المخطوطات كل منها بطابع يميزه عن الآخرين ويجعله يختلف فى بعض النواحى عن غيره.

١- التقليد اليهوى (وهو الذى يشيع فيه الإشارة إلى الخالق على أنه يهوه) وهو تقليد خيالى استعارى يصور الخالق على إنه إنسان يُرَى ويُسْمَع كلامه وصوت أقدامه.

٢- والتقليد الأيلوهى (وهو الذى يرد فيه اسم الخالق على أنه الوهيم) وهو يتحدث عن ملاك تحاشياً لإدخال الخالق نفسه فى أى نشاط بشرى.

وهذا يعنى أن العهد القديم قد رجع إلى تقاليد عديدة حاول جمعها بين دفتى كتاب واحد وهذا يفسر ما بدا لى أول الأمر من تناقضات حول ذات الله عز وجل وما ظهر فيها من تأرجح بين المادية المفرطة والتجريدية - فهذا مرجعه أن العهد القديم لم يرجع لأصل واحد وإنما استقى نصوصه من عديد من المصادر وأن الذين دونوه لم يريدوا أن يفقدوا صلتهم بأى من هذه الأصول - وربما كان ذلك وراء ما بدا لى من تناقض حول موضوع الخمر.

وقد استدل المدخل على تعدد التقاليد وجمعها معا بما ذكره العهد القديم (وجاء فى نسخ اليسوعيين) من صيغتين مختلفتين حول بدء الخليقة ثم عن الطوفان فذكر الأزواج من الحيوان والطير مرة على أنها اثنين ومرة على أنها سبعة ثم ذكر أيام الطوفان على أنها أربعين يوماً مرة ومائة وخمسين مرة أخرى ....

ب ـ الأمر الثانى الذى استرعى انتباهى فى نسخة اليسوعيين هو أنه قام بترجمة كلمة بيركليتس اليونانية هذه المرة بالمؤيد بدلاً من ترجمتها بالمعزى كما اعتادت النسخ الأرثوزكسية ـ ولا أدرى وربما الكاثوليكية السابقة ... فهناك إذاً استعداد لزحزحة المعنى خطوة عن المألوف وإن كنت لا أدرى ماذا يجمع الكلمتين من معنى فلا أرى اشتراكا فى المعنى بين العزاء والتأييد.

جـ ـ الأمر الثالث الذى استرعى انتباهى هو وجود خريطة للعالم القديم تحدد فيها موقع دادان وتيماء بأرض الجزيرة العربية - ونحن نعرف ما أشرنا إليه في البشارات عن

تيماء وددان ونحن نعرف أن أشهر مدينتين فى جزيرة العرب هما مكة والمدينة بتجاوزات حول دقة الموقع بعد آلاف السنين أما ما أثار اعتراضى على هذه الخريطة فهو وجود كلمة بربه فاران جنوب سيناء - أى حصول صحراء سيناء على إسمين بدل اسم واحد ولى على هذه النقطة تحفظات أبديها هنا (ملحوظة - ظهرت فاران فى نسخة الأرثوزكس شمال شرق سيناء).

١- أن أول خريطة للعالم القديم ظهرت كانت هى خريطة بطليموس الثانى قبل المسيح بقرنين من الزمان وهى خريطة لو قدر لنا أن نراها لأثارت فينا الضحك لأن النسبية فيها تكاد تكون معدومة فدول تضاعف حجمها ودول تقلصت وحدود طمست إلى غير ذلك. والعهد القديم ترجع صورته النهائية إلى ما قبل بطليموس بقرنين أى إلى القرن الرابع قبل الميلاد أما بداية تدوينه فبالطبع قبل ذلك بكثير ربما فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد. فهذا هو الموعد الذى دونت فيه الشريعة أيام موسى كما تقول التوراة.

فمن المستحيل تصور خريطة معقولة للعالم آنذاك.

٢- أن شبه الجزيرة العربية كانت فى ذلك الوقت لغزاً وأرضاً للمجهول فلم تكن أرض حضارات معروفة قبل الإسلام أو ذات تاريخ معلوم وإنما صحراء تموج فيها قبائل مجهولة، وهى صحراء مترامية الإطراف- فالغموض حولها شيء طبيعي.

٣- أن أصول الكتاب المقدس ترددت بين الضياع والوجود على فترات زمنية طويلة وآخر إشارة إليها فى أخبار أيام ثان ٣٤/ ١٥ حين وجد حلفيا سفر الشريعة المفقود آنذاك سنة ٦٢٢ ق.م فى السنة الثانية عشرة من حكم يوشيا وبعدها تم تدميرأورشليم وإحراقها فى أيام ثان ٣٦/ ١٩ أما الأصول التى يبحث عنها مؤرخو العهد القديم فهى ما دونه عزرا بعد السبى وإن كنا لا ندرى على أى شيء اعتمد عزرا فى تدوين الشريعة - أم أنه اعتمد على الذاكرة المجردة.فمن المؤكد بجميع المقاييس أن ناحية اليقين والجزم فى أصول الكتاب المقدس وعلاقته بما بين أيدينا مفقودة تماما.

٤- أن سفر التكوين قد ذكر فى ٢١/ ٤ والحديث عن هاجر [فمضت وتاهت فى برية بئر سبع] ثم عاد بعد سطور فقال [فكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى برية

فاران] وكلمت تاهت فى برية بئر سبع إن دلت على شىء فإنما تدل على أن الكتاب المقدس لم يكن ليستطيع أن يجزم بالمكان الذى ذهبت إليه هاجرواستقر فيه اسماعيل .

٥ – أن النزعة العنصرية اليهودية فى العهد القديم واضحة المعالم ولا يمكن تجاهلها.

٦ – أنه لا يمكن تجاهل التاريخ العربى وهم أعرف الناس بتاريخهم وبلادهم والأمة العربية كانت تعرف قدم التاريخ باعتزازها الزائد بأنسابها وذكر سلالاتها وتوارث تلك الأنساب وحفظ عشرات منها ومنها بطون يعود نسبها إلى عدنان من ولد اسماعيل ...

٧ – أن الأمة العربية قبل الإسلام بقبائلها العربية قد أجمعت على تقديس الكعبة بيت أبيهم إبراهيم وكانوا على اختلاف معتقداتهم يحجون إلى الكعبة بيت الله الحرام وهى القاسم المشترك بينهم جميعا وفيها حجر اسماعيل – ومقام إبراهيم وبئر زمزم الذى أشارت إليه التوراة من طرف خفى .

٨ – أن الله عز وجل قد وعد هاجر بأن يكون اسماعيل أمة عظيمة ولا توجد أمة غير الأمة العربية تزعم أنها من نسل اسماعيل ولو كان من قبائل سيناء من يدعى ذلك الشرف ما غاب عنا ذلك .

٩ – ومن المعروف أن عددا من قبائل اليهود قد هاجر إلى ضواحى المدينة المنورة أو أقاموا بها انتظارا للنبى المرتقب .

كل تلك المقدمات لا يمكن تجاهلها لو أردنا تحرى الحقائق والبعد عن العصبيات .

تعريف بالكتب الثلاثة :

أحب أن أبدأ بتعريف تلك الكتب الثلاثة أو المصادر الثلاثة قبل أن أختار منها مقتطفات لعرضها على القارئ.

١– كتاب [المسيحية نشأتها وتطورها] وهو أول ثلاث كتب كتبها شارل رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس وكان يدعى فى أرجاء أوروبا ليحاضر عن تاريخ المسيحية فهو أحد مراجعها وهو أهم كتبه باعتبار أنه يحدد حدود المسيحية الأولى ويتحدث عن أخطر عهودها بدءاً بالمسيح وانتهاءاً بقسطنطين . فهو يتحدث عن علم اللاهوت والطقوس المسيحية ومصادرها –ترجم هذا الكتاب الدكتور عبد الحليم محمود وطبعتة دار المعارف وقرأت طبعته الثانية سنة ١٩٨٥ .

٢- الكتاب الثانى وهو أخطر تلك الكتب هو نسخة الكتاب المقدس تحت إشراف الرهبانية اليسوعية ومركزها الأصلى فرنسا وفرعها بلبنان وصدر بتصريح منها سنة ١٩٨٩ أصدرته مكتبة دار المشرق بلبنان - وهو كتاب كنسى بالدرجة الأولى - صدر فى مجلدين حولهما حواشى لشرح بعض الألفاظ أو الرموز الغامضة ولكل مجلد - ولكل سفر مدخل كذلك يتحدث عن تاريخ السفر وتدوينه ويقدم لنا معلومات قيمة حول الأصول.

٣- الكتاب الثالث هو كتاب [الخالدون مائة] لعالم الفضاء الأمريكى وهو عالم رياضى فلكى يعمل بلجنة الفضاء ويهوى التاريخ واختار من بين ألفين من الشخصيات التى تحدثت عنها دوائر المعارف هؤلاء المائة واعتبرهم أصحاب أكبر قدر فى التأثير على تاريخ الإنسان وقام بترتيبهم حسب أهميتهم فكان أولهم محمد ﷺ وثالثهم المسيح عليه السلام وسادسهم بولس وتحت الرقم ٢٦ جاء قسطنطين وقد رتب هذا الشخصيات حسب مقاييس موضوعية حددها لنفسه وهى :-

أ - مدى ما تركتة تلك الشخصية من أثر فى حياة الإنسان وعمق ذلك الأثر.

ب- استمرارية هذا الأثر - فلا يكون سريع الزوال يختفى باختفاء المؤثر.

جـ- انفراد تلك الشخصية بذلك الدور.

د- ألا يكون غيره قادرا على القيام بنفس الدور.

وبناء على هذه الأسس أخر المسيح إلى الرقم ٣ لأن بولس فى رأيه قد قاسم المسيح شرف تأسيس المسيحية وتحديد معالم أيدولوجيتها والمسئول الأول عن انتشارها. وقدم محمد بحماس واقتناع منقطع النظير.

والكاتب قد استطاع أن يسمو فوق كل العصبيات المحلية وفوق كل الإحن إلى رحابة الفكر الموضوعى والمنطق العلمى

ترجم الكتاب/ أنيس منصور

قرأت طبعته السادسة طبعة أخبار اليوم سنة ١٩٨٢

(أ) [المسيحية نشأتها وتطورها .... شارل جينير]

مقتطفات

ص ۲۰ : لقد ظل المدخل لمعرفة المسيحية الأولى حتى منتصف القرن التاسع عشر محرما تحريما تاما على العلماء المنزهين عن الغرض أى على هؤلاء الذين لا يعنيهم استغلال الحقيقة لمصلحة مذهب معين بل يبغونها خالصة لوجهها - وكان الرأى العام يؤمن بأن دراسة تاريخ المسيحية إنما هو الساحة التى لا يجول فيها إلا رجال الكنيسة وأهل اللاهوت فإنها لازمة من لوازم الدفاع عن المسيحية.

ص ٣٤ : إن البحث الدقيق فى السنوات الأخيرة على أساس من الوثائق الأصلية لم يثبت سوى استحالة تصوير حياة عيسى فى شئ من اليقين والتثبت.

ص ٣٧ : وتصفح الأناجيل وحده يكفى لإقناعنا أن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التناقض لنفس الأحداث والأحاديث مما يتحتم معه أنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية - ولم يستلهموا تاريخاز ثابتا.

ص ٣٨ : ومن المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصلب كانت قد فقدت الكثير من وضوحها فى ذاكرة المؤمنين قبل تحرير الأناجيل وإنها تأثرت فى مخيلتهم بالأساطير الشائعة فى الشرق.

ص ٥٠ : والنتيجة الأكيدة لدراسة الباحثين هى أن عيسى لم يدّعِ قط أنه هو المسيح (النبى المنتظر آخر الزمان أو الخاتم) ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله فذلك تعبير لم يكن فى الواقع يمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوى فاحش- كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى (يقصد الأناجيل قبل الترجمات) فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيون الذين تأثروا بالثقافة اليونانية - إنها اللغة التى استخدمها بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع.

ص ٥١ : لقد اختلط الأمر على المؤمنين الذين لم يكونوا على معرفة كبيرة باللغة الآرامية إذ أن تعبير ابن الإنسان فى هذه اللغة الذى يجدونه أيضا فى مجموعة الحكم المعروفة بـ (اللوچيا) لا بد أنه يحتوى على سر عميق - وقد ربطوا بينه وبين النص

المماثل من كتاب دانيال وهو النص الذى لم يفهموه أيضا فقرروا أن ابن الإنسان مرادف لكلمة مسيح– وتحليل النصوص يؤكد خطأ ما ذهبوا إليه فى تأويل هذا التعبير فمعناها رجل أو إنسان فقط– بل إن أغلب الفقرات التى يظهر فيها هذا التعبير فى الأناجيل باستثناء أربعة أو خمسة مواضع قد صدر من محررى الأناجيل أنفسهم وليس عن عيسى.

صـ ٦٣: إن روايات الأناجيل التى وصلت إلينا والتى تتعلق ببعث عيسى لتبدو للمؤرخ الناقد نوعا من الإنشاءات لا تنسجم عناصرها فقد بنيت على ذكريات مبهمة وتفاصيل متعارضة ثم على حكايات قديمة من تلك التى تعودها الشرق.

صـ ٦٨: يقولون إنه بعث ؟ ولكن من الشهود إنهم الأتباع فقط فما أضعفه من برهان [يقصد الكاتب إذا كان بعث عيسى حجر زاوية فى معجزاته وفى العقيدة المسيحية كان هذا يستلزم أن يراها الناس بشكل علنى حتى تصبح معجزة لها مغزاها وقدرها اللائق].

صـ ١٣٥: واليهود كانوا يطلقون عبارة خادم يهوه على كل إنسان يظنون أن لديه إلهاما– والتوراة السبعينية كثيراً ما تترجم العبارة إلى اليونانية بكلمة Mais وهذه الكلمة تعنى فى وقت واحد خادما أو طفلا مثل الكلمة اللتينية Puer ومعناها صبى وعلى هذا يكون التطور من كلمة Mais إلىMias باستبدال حرف مكان حرف أو بتقديم حرف على حرف أمر غاية فى البساطة فيصبح معناها ابن– وقد حدث هذا التطور فعلا فى النصوص اليهودية المسيحية كمجموعة أعمال الرسل عندما نقل بعضها إلى رسائل بولس.

صـ ١٤٤: وتتبع أحد الأسيويين المجهولين (يقصد مؤلف الإنجيل الرابع) خطى فيلون فى مقدمة الإنجيل الرابع وفرض أن عيسى قد ظهر على الأرض ممثلا اللوجوس– أى الكلمة وباستخدام التسلسل المنطقى الهيلينى يكون هو الخالق نفسه– وكان هذا فرضا يخرج عن دائرة الأدب الدينى بالنسبة لليهود الذين لم يكونوا ليدركوا أبدا أن اللانهائية الإلهية التى لا يجرءون على النطق بها خشية الإنحراف إلى تحديدها– يمكن أن تتجسد فى الحدود الضيقة للجسم البشرى.

صـ ١٥٧: ولو جاء النبأ إلى الإثنى عشر (تلميذا) بأن عيسى قد تمثل فى الخالق لما فهموا ذلك بادئ ذى بدء. ثم لتصايحوا بالعار والرزيلة الممقوتة.

ثـــم ينتقل الكاتب بعد ذلك بتفصيل دقيق إلى الطقوس التى أدخلت إلى المسيحية بعد ذلك تدريجيا عبر البيئات والثقافات المختلفة المصرية والبابلية واليونانية والفارسية ويتحدث عن الآلهة الزراعيين لمواسم الزراعة وموتهم فى نهاية مواسمهم ثم بعثهم ثانية بعد ذلك. ودور بولس بنشأته فى انطاكية وثقافته اليونانية فى ذلك التغير ثم ينتهى الكاتب فى نهاية كتابه إلى الخاتمة التالية

صـ ٢٦٣: [لكل هذا نستطيع القول دون أن نتهم بالبحث عن التناقضات أو السير وراء كل غريب بأن الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية فى العصور القديمة كما لم يصلوا إلى إدراكها فى العصور اللاحقة وأن الديانة التى أنشأوها باجتهادهم الخاص على أساس منها كانت ديانة مختلفة تماما ما فى روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية متمشية مع عواطفهم ونزعاتهم فى قوالب لا توافقها تمام الموافقة— والخلاصة أن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين فى يوم من الأيام].

إلى هذه النهاية الحاسمة انتهى بحث الكاتب وتحليله للتسلسل التاريخى للعقيدة المسيحية وما انتهت إليه المسيحية .

وهذا لم يكن لينفى أن الكاتب مفتون أيما افتتان بشخصية بولس وثقافته الواسعة وقدرته على التحرك شأنه شأن معظم مؤرخى المسيحية فيرى أن ذلك التطور قد مكن المسيحية أن تستوعب كل شعوب الامبراطورية الرومانية وترضى جميع أذواقهم وأن تنازلاتها قد مكنتها من استقطاب قسطنطين امبراطور روما. فانتصرت على عداء الدولة للمسيحية ودفعتها معها فى اتجاه واحد. وكان لا بد من ذلك لتبقى المسيحية.

وفى فصل سماه إخفاق عيسى (وبالطبع إخفاق الحوارين معه) . يقول :

صـ ٧٢: [وكان أصحاب عيسى (التلاميذ) يهودا سذجا بسطاء ليس لهم شأن فى قومهم ولا يمتازون بثقافة كبيرة ولم تكن آفاقهم الفكرية بأوسع من أفق عيسى]. أما عن تطوير المسيحية ودور بولس فقد كتب فصلا عن ذلك سماه (الانتصار) يقول فيه:« نستطيع أن نقول وبجزم أن مؤمنى عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هذا

الانتصار لو قدر لهم ذلك إلا على أنه نكبة كبرى وعذر مسيحى عصر قسطنطين أنه لم يكن بيدهم اختيار الظروف والشروط فقبلوا الحل الوسط الذى اتخذه قسطنطين لكى تنتصر المسيحية على عداء الدولة وتدفعها إلى اتجاه جديد ». وقد نسى الكاتب أو تناسى أنه بهذا القرار قد قطع الحبل السرى الذى يربط المسيحية بالسماء وجعلها من صنع البشر وتوليفة أرضية لمعتقدات شتى شدت إليها الجماهير وجعل جذورها أرضية استقت فكرها من بيئات شتى.

وفى صـ ٥٦: يقول: « لا بد أن نقر واقعا واضحا للعيان وهو أن عيسى لم ينجح فى دعوته وأن المواطنين من أهل الجليل لم يصدقوا الرسالة التى نسبها إلى نفسه».

سامحك الله يا چينير وأنت تقول عن نبيك ومن اختارته السماء لتبليغ الرسالة أنه ضيق الأفق مثل تلاميذه فاتهمت اختيار السماء بالقصور. هل بلغ افتتانك ببولس إلى حد اتهام نبيك ومن يزعم بولس أنه الإله بضيق الأفق ؟ كيف وبأى منطق يتفوق المخلوق على الخالق ؟

لقد قتلتم المسيح مرتين مرة حين زعمتم أن اليهود قتلوه وأخرى حين قلتم أخفق الأستاذ ونجح التلميذ.

ولو أعدتم قراءة التاريخ وسفر الأعمال ببصيرة وقرأتم ما بين السطور لأدركتم أن الأستاذ قد بلغ وتلاميذه لم يخفقوا- إقرأ إن شئت فى أعمال فى مطلع الإصحاح السادس [وفى تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين] وفى الحملة السابعة [وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً] وفى الإصحاح الثامن بعد أن ضيق اليهود على التلاميذ أبواب الدعوة فى أورشليم- أخذوا فى الانتشار نحو السامرة وتعمقوا وسط الجماهير الكثيفة ٨/ ٤ [فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة فانحدر فيليبس إلى مدينة من السامرة- وكانت الجموع يصغون إليه بنفس واحدة] .

فالانتشار فى حقيقته بدأ قبل أن يدخل بولس إلى المسيحية وعلى يد التلاميذ الذين استمعت إليهم الجماهير بنفس واحدة وذلك بغير شك هو ما أقلق اليهود وجعلهم يخشون فشل مخططهم فى خنق المسيحية داخل أورشليم فلن يكون فى وسعهم

مطاردتهم فى جميع انحاء الامبراطورية فليس ذلك فى وسعهم ذلك حتم عليهم تغيير مخططاتهم وإعادة حساباتهم- وإذا كان التاريخ قد تم بتره فى تلك الآونة من الزمان وكان لوقا تلميذ بولس هو كاتب الأعمال فيجب ألا نتوقع أكثر من هذه التصريحات الخاطفة. الانتشار الناجح إذ بدأ على يد التلاميذ ويثبت ذلك ما كان فى أول مجمعات قسطنطين فقد بلغ الحاضرون ما يقرب من ثلاثة آلاف كان أنصار بولس من بينهم لا يزيدون كثيرا على ثلاثمائة ثم كانت معركة قسطنطين مع آريوس الذى كان يتمتع بشعبيته الكاسحة فى مصر والشام. وكانت التصفية الجسدية لليعاقبة- فأتباع بولس بداية كانوا يمثلون الجناح المنشق الصغير- يثبت ذلك مراثى بولس كما أوردتها فى فصل (إفلاس بولس).

لقد تم تدمير كل ما كتبه آريوس واعتبر من يتستر على شئ من كتاباته من الهراطقة ويتم إعدامه. ورفع أنصار بولس إلى أعلى المناصب وأطلقت يدهم فى كل مكان.

لو لم يدمر ما دمر من وثائق لعرفتم أن المسيح لم يخن الأمانة ولم يقصر فى الرسالة وأن اختيار السماء لم يكن عاجزا ولا قاصرا. وأن التلاميذ طافوا ونجحوا وضيقوا على بولس وسدوا كل منافذه لتغيير العقيدة. فالعيب عيب زمانهم وليس عيبهم.

من يدافع عن المسيح ان هاجمتموه وشوهتم صورته ؟

من يصدقكم ان قلتم ذلك ثم عبدتموه الها ؟

اترك الحساب ليوم يجمعكم الله فيه مع المسيح فيشهد شهادة الحق :

﴿ ما قلت لهم الا ما امرتنى به ﴾

وما قصر المسيح وما قصر التلاميذ

﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾

﴿ ولا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾.

***

الكتاب المقدس لليسوعيين

(مقتطفات)

(١) مدخل الكتاب :

يعتبر الكتاب المقدس مكتبه تضم عديدا من كتب مختلفه جدا واذا رجعنا الى مداخل تلك الكتب تأكد هذا الانطباع فهى تمتد على مدى أكثر من عشرة قرون وتنسب إلى عشرات المؤلفين المختلفين – وبعضها وضع بالعبريه تتخللها مقاطع آراميه والبعض الآخر باليونانيه وتنتمى الى أشد الفنون اختلافا كالروايه التاريخيه ومجموعة القوانين والوعظ والصلاه والقصيده الشعريه والرسالة والقصة.

وأسفار الكتاب المقدس من عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبيرمنهم مجهولا ومعظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعه اليهوديه وقبل أن تتخذ كتبهم الصيغه النهائيه انتشرت زمنا طويلا وهى تحمل آثار وردود فعل القراء فى شكل مقترحات وتعليقات .

واعيدت صياغة بعض النصوص الى حد هام أو قليل الأهمية .بل إن أحدث الاسفار ما هى الا تفسير وتحديث لكتب قديمه .

(٢) مدخل العهد القديم صـ٥٢:

ترجع الترجمه الحاليه إلى النص المسورى أقدم نسخة لهذا النص مابين ٨٢٠،٨٥٠م وهى تحتوى على التوراة وأقدم مخطوط كامل هو مخطوط حلب نسخ أول القرن العاشر. أما النسخه العبريه فمنقوله عن نشره البندقيه سنة ١٢٥٤م على يد يعقوب بن حاييم .

وفى رأى المفسرين ما بين ١٨٥٠م حتى ١٩٥٠م أن النص يعتبر مشوها .

والحل العلمى يفرض علينا أن نرجع إلى شجرة النسب فى كل ما وصلنا إليه لمعرفة أقدمها تدوينا وقراءة كل ما وصلنا من نصوص ثم عقد مقارنة بين شتى النصوص علها توصلنا لأقرب تصور صحيح لما كان عليه الأصل فندرس النص السامرى والنص الذى كان أساس الترجمة السبعينية فهذين النصين يرقى عهدهما إلى القرون الثلاثة قبل الميلاد

وعلينا أن نقرأ الترجوم والترجمة السريانية وترجمة القديس إيرونيمس والترجمة القبطية والأرمينية محاولين أن نرجع إلى النص الأصلى الذى يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

وفى عام ١٩٤٧ تم العثور على مخطوطات البحر الميت وعلى ملف للأسفار المقدسة شبه كامل والتى كان يتداولها اليهود فى القرن الأول ومن الصعب معرفة الأسفار التى اعترف بها اليهود والمستعملة فى القرنين الأخيرين قبل الميلاد وقررت القائمة الرسمية الصادرة فى چيمنا ما بين ٨٠، ١٠٠ بعد الميلاد أموراً - فاعترفوا بالشريعة وبعد نزاع اعترفوا باستير وحزقيال ونشيد الأنشاد ورفضوا الأسفار الملحقة بزمن الأنبياء وبقيت جميع الأسفار القانونية الثانية بهذا الوضع وكذلك الأسفار التى وضعت باليونانية مباشرة فكان للترجمة اليونانية سلطة محدودة وفى سنة ٣٩٨ ق.م اعترف الفرس بأسفار موسى دستورا لحكم اليهود فسميت بالأسفار القانونية الأولى ثم حددت فى وقت لاحق أسفار الأنبياء الأولين يشوع قضاة ملوك والآخرين- أشعياء إرميا حزقيال والأنبياء الصغار الإثنى عشر ولكنها لم تكن تعادل المجموعة الأولى فى سلطتها ثم اعترف بمزامير ومجموعة ثالثة كضرورة للصلاة.

وفى عهد بطليموس الثانى تم الاعتراف بالحقوق التى كانت أيام الفرس وترجمت الشريعة على يد اثنين وسبعين من شيوخ إسرائيل وسميت الترجمة السبعينية ثم اتسع مفهوم الترجمة السبعينية بعد ذلك فأصبحت تعنى العهد القديم كله ثم أضيفت تفسيرات للنصوص وتوسعات - لكن معتقدات اليهود غير واضحة، فسفر دانيال اعترف به الفريسيون ولم يعترف به الصدوقيون وهناك أسفار تحت أسماء مستعارة واختلف اليهود على هذه النصوص خلافا كبيرا وليس هناك ما هو قطعى بالنسبة لهم.

أما الجماعات المسيحية فقد حددت الأسفار القانونية الثانية بالأسفار التى كانت موضوع جدل على مر العصور وهى (يهوديت وطوبيا ،المكابيون الأول والثانى والحكمة ويشوع من سيراخ وباروخ ومقاطع من استير باليونانية بينما اعتبرت هذه الأجزاء جزءا من القانون للكنيسة الكاثولوكية فى مجمع تريدنتينى واختلفت حولها الكنائس الشرقية ما بين منكر ومعترف ويعتبرها البروتستانت منحوله ومعها صلاة منسى وكتابى عزرا الثالث والرابع ويسميها الكاثوليك القانونية الثانية.

منسى وكتابى عزرا الثالث والرابع ويسميها الكاثوليك القانونية الثانية.

(٣) مدخل سفر تكوين :

لم يتردد مؤلفوالكتاب المقدس وهم يروون بداية العالم أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق- فهناك أمور مشتركة كشفتها الآثار عن وجود آثار غنائية وحكمية والليترجية (أسطورية) خاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت - فالمؤلفين لم يكونوا مقلدين عميان فعالجوا هذه النصوص بالنسبة لتقاليدهم الخاصة.

فالرواية البابلية عن خلق العالم على يد الإله مردوك ومغامرات جلجاش البطل تحتوى على روايات الطوفان- والأبراج الشامخة لمدن ما بين النهرين إكراما لآلهتها (وهى تذكرنا بقصة برج بابل) وفى تكوين وغيره من الأسفار تتضح لنا تقاليد أدبية (صيغ مختلفة).فقصة الخلق وصلتنا مرتين (فى كتاب اليسوعيين) وتكررت قصص أخرى أكثر من مرتين فقصة هاجر والوصايا وصلت مرتين كذلك وحكاية أن زوجة إبراهيم أخته جاءت فى ثلاث صور (إبراهيم مرتين ويعقوب مرة) وأحيانا يختلط نصين فى نص واحد مثل قصة الطوفان (تك ٦/٥ ، ٩/ ١٧) وهو نص مختلط ويظهر ذلك بوضوح (حيوان من كل جنس ٦/ ١٩) وسبعة ٧/ ٢) والطوفان أربعون يوما ٧/ ١٧ أو مائة وخمسون ٧/ ٢٤) والفوارق الأدبية تبرر أموراً فى الروايات المتوازية ففى إحداها يتكلم عن يهوه إله إسرائيل وفى الآخرين عن الوهيم- وقد افترض النقاد تقاليد أربعة :

١- **اليهوى**- وهو تفسير خيالى استعارى لإنشاء رواية وقصص (برج بابل- جنة عدن) وتصور الإله على إنه إنسان يتكلم ويسمع صوت أقدامه.

٢- **أما التقليد الأيلوهى** فيتحدث عن ملاك بدل الإله تجنبا لإدخال الخالق نفسه فى أى نشاط بشرى ويظهر الإله بشكل مهيب.

٣- **أما التقليد الكهنوتى (ك)** فقائم على أمور قانونية مثل سفر عدد ويمتاز بالتصلب وحب الإيضاحات العددية.

٤- **أما التقليد الرابع ت (تشريع فى تثنية)**:فيمتاز بأنه خطابى تكثر فيه العبارات القولية (اسمع يا إسرائيل / بكل قلبك / الرب إلهك / أرضا تدر لبنا وعسلا)

فنحن أمام محاولات لتفسير السر الواحد بأربع صور.

٥-مدخل أشعياء صـ ١٥١٣ : يضم سفر أشعياء ٦٦ فصلا فيها أدلة فكرية وأدبية واضحة على أنها لا تعود لزمن واحد- ولا عجب أن يكون الكتاب له عدة مؤلفين ففى أسفار العهد القديم أسفار تتصف بهذا الطابع الخليط وفى حين أن أسماء المؤلفين غير معروفة يظهر سفر أشعياء بمظهر كتاب واحد يحمل اسم شخص عاش فى زمن معين من تاريخ اسرائيل وأوضح دليل على تعدد المؤلفين فى مطلع الفصل ٤٠ جيث يبدأ سفر أشعياء الثانى- وبدون تمهيد نجد أننا ننتقل من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس قبل الميلاد، ولم نعد نذكر اسم أشعياء وحلت بابل محل أشور وكذلك ملك الميديين الفرس وقورش.

٦- مدخل نشيد الإنشاد : هذا الكتاب الصغير يمثل مسألة من أشد الأمور المتنازع عليها فى نصوص الكتاب المقدس فما معنى تلك القصيدة أو تلك المجموعة من القصائد الغزلية فى العهد القديم- فللكتاب طابع غرامى فهو لا يتوقف عند الجمال الطبيعى ولا يذكر الله ولا إنجاب الأطفال وفيه ذكريات أسطورية ومع ذلك لا نجد فيه مفتاحا للسيرة- من الذى ألفه ؟ ولماذا ألفه ؟ وفى أى تاريخ ؟ وإذا صح أن وجوده فى الكتاب جاء مصادفة- فكيف يراه البعض مجرد قصائد للأعراس تتجاور فيها أغانى الحب دون الاهتمام بالزواج.

يروى البعض أنه زمن سليمان لكن الإنشاء واللغة يدلان على أنه جاء متأخرا زمن الفرس مثلا أو حتى فى العصر الهيلينى وقد يحتوى ألفاظ ريف الشمال ومن الواضح أن مؤلفه ليس سليمان والتفاسير مختلفة، فهناك تفسير رمزى يرجع للقرن الأول الميلادى، فهل النشيد يهودى أم مسيحى ؟ فمنهم من يفسره على أنه حب الله لإسرائيل وأخرين حب المسيح للكنيسة وكل يفسره على مفهومه وهناك التفسير الليثرجى إله وثنى يموت وتبحث عنه ألهة الحب والحرب فى الجحيم يمثل ذلك الملك وعظيمة الكهنة كرمز للإنجاب والخصب.

وتفسير مأساوى لراعية يريد الملك سليمان اختطافها من حبيبها الراعى وهى أمينة فى حبها.

فنحن أمام محاولات لتفسير السر الواحد بأربع صور.

٥-**مدخل أشعياء صـ ١٥١٣**: يضم سفر أشعياء ٦٦ فصلا فيها أدلة فكرية وأدبية واضحة على أنها لا تعود لزمن واحد- ولا عجب أن يكون الكتاب له عدة مؤلفين ففى أسفار العهد القديم أسفار تتصف بهذا الطابع الخليط وفى حين أن أسماء المؤلفين غير معروفة يظهر سفر أشعياء بمظهر كتاب واحد يحمل اسم شخص عاش فى زمن معين من تاريخ اسرائيل وأوضح دليل على تعدد المؤلفين فى مطلع الفصل ٤٠ جيث يبدأ سفر أشعياء الثانى- وبدون تمهيد نجد أننا ننتقل من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس قبل الميلاد، ولم نعد نذكر اسم أشعياء وحلت بابل محل أشور وكذلك ملك الميديين الفرس وقورش.

٦- **مدخل نشيد الإنشاد** : هذا الكتاب الصغير يمثل مسألة من أشد الأمور المتنازع عليها فى نصوص الكتاب المقدس فما معنى تلك القصيدة أو تلك المجموعة من القصائد الغزلية فى العهد القديم- فللكتاب طابع غرامى فهو لا يتوقف عند الجمال الطبيعى ولا يذكر الله ولا إنجاب الأطفال وفيه ذكريات أسطورية ومع ذلك لا نجد فيه مفتاحا للسيرة- من الذى ألفه ؟ ولماذا ألفه ؟ وفى أى تاريخ ؟ وإذا صح أن وجوده فى الكتاب جاء مصادفة- فكيف يراه البعض مجرد قصائد للأعراس تتجاور فيها أغانى الحب دون الاهتمام بالزواج.

يروى البعض أنه زمن سليمان لكن الإنشاء واللغة يدلان على أنه جاء متأخرا زمن الفرس مثلا أو حتى فى العصر الهيلينى وقد يحتوى ألفاظ ريف الشمال ومن الواضح أن مؤلفه ليس سليمان والتفاسير مختلفة، فهناك تفسير رمزى يرجع للقرن الأول الميلادى، فهل النشيد يهودى أم مسيحى ؟ فمنهم من يفسره على أنه حب الله لإسرائيل وأخرين حب المسيح للكنيسة وكل يفسره على مفهومه وهناك التفسير الليثرجى إله وثنى يموت وتبحث عنه ألهة الحب والحرب فى الجحيم يمثل ذلك الملك وعظيمة الكهنة كرمز للإنجاب والخصب.

وتفسير مأساوى لراعية يريد الملك سليمان اختطافها من حبيبها الراعى وهى أمينة فى حبها.

وتفسير يرى فيه قصيدة حب على غرار مجموعات الحب المصرية وعلى نمط الأعراس السورية.

هذه نماذج ومقتطفات من مداخل العهد القديم نبرز أهم النقاط فيها :

١- أن العهد القديم من عمل محررين ومؤلفين يبلغون العشرات الكثير منهم مجهول.

٢- أنه مستوحى من التقاليد اليهودية ولكنه استعان بالآداب السومرية والبابلية والمصرية الآثار الغنائية لتلك الشعوب مثل رواية خلق العالم على يد الإله مردوك ومغامرات جلجاش، كما أنه مر بمراحل تنقيح وتهذيب بناء على ردود فعل القراء.

٣- أنه اختلطت فيه أحيانا روايات مختلفة متشابكة.

٤- أن بعض الأسفار اشترك فيها أكثر من مؤلفو رويت عن عصور متعددة رغم أنها تحمل اسم شخص واحد.

٥- أن سفر نشيد الإنشاد يمثل موضوعا متنازعا عليه وتفسيراته متشعبة.

٦- أن الأصل السورى فى رأى المفسرين ما بين ١٨٥٠، ١٩٥٠م يعتبر مشوها وهو ما اعتمد عليه النص الحالى

٧- أن اليهود اختلفوا فيما بينهم حول ما هو قانونى وما هو غير قانونى ومن الدرجة الثانية فى السلطة.

وكذلك اختلف المسيحيون ما بين كاثوليك وأرثوزكس أما البروتستانت فيرون أن ثمانية أسفار من أسفر الكاثوليك منحولة.

٨- أن أقدم نص نأمل الوصول أو الاقتراب مه يرجع لـلقرن الرابع قبل الميلاد وليس قبل ذلك وهو مفقود.

* * *

العهد الجديد

(مقتطفات)

صـ ٩ :مدخل العهد الجديد :-

بدأ تكوين العهد الجديد حوالى سنة ١٥٠م وكان الشهيد يستن أول من ذكر أن المسيحيين يقرأون الأناجيل فى اجتماع الأحد وأنهم يعدونها مؤلفات الرسل أو على الأقل أشخاص يتصلون بالرسل صلة وثيقة وأنها أصبحت فى منزلة الكتاب المقدس (العهد القديم) لأنها تروى خبر الرب (سيرة المسيح) وفقا للتقليد المتناقل (السيرة الشفهية) ثم بدأ التشديد على نسبتها للرسل لحمايتها من المؤلفات الشبيهة وقد أوصى بولس بتلاوة رسائله وتداولها بين الكنائس المجاورة– وساعد مرقيون الهرطوقى سنة ١٦٠م هذه الحركة لأنه نبذ سلطة العهد القديم نبذا تاما – واحتاج لتزويد كنيسته بنسخ من أسفار أخرى مقدسة وساهم أتباعه فى نشرها.

صـ ١٠وحصلت الأسفار التى اعترفت الكنيسة بقانونيتها على حصانة ساعدتها على البقاء – ولم تحظ الأسفار التى عدوها متحولة بمثل ذلك وإن كان بعضها مثل الديداكى (أعمال الرسل النصرانى) ورسالة برنابا قد حظيا بتقدير جميع الكنائس فحفظتا فى حالة، حسنة مع أنها لم تدخل القانون– أما غير هذين فقد نحيا عن الاستعمال الكنسى فأصبحا عرضة للضياع . وكلمة منحولة (أبو كريفا) معناها الأصلى خفية وهى كلمة يونانية وتلك المؤلفات كانت شبيهة بنصوص العهد الجديد القانونية ولكنها كانت فى نظر رجال الكنيسة تنقل آراء غريبة. وسموها سرية ومتحزبة وعدت بعد ذلك منحولة فأبت الكنيسة أن تبنى عليها عقيدتها وإيمانها ولم تأذن بقراءتها، وقد أمروا أن تبقى مخفية أثناء إقامة الشعائر وإن سمح بقراءتها للناس فرادى لحسن تأثيرها فى النفس وقد اقترنت كلمة منحولة بعد ذلك بمعنى الذم. فعدت رسائل لنقل الضلال وهذه المؤلفات مهما كان الأمر لا تزال ثمينة جدا لدراسة تطور الآراء الدينية فى القرنين الثانى والثالث . وفى الأسفار المنحولة مثل القانونية أناجيل وأعمال ورسائل ورؤى. ولا نعرف أناجيل النصارى والعبرانيين والمصريين إلا بما استشهد به

آباء الكنيسة– وهى على قدر ما يسعنا أن نحكم فيما ورد منها مؤلفات تمت بصلة قرية للأناجيل القانونينية.

وإنجيل بطرس الذى عثر على جزء منه فى أواخر القرن الماضى يحتوى على آثار غنوطية. وقد تحسنت معرفتنا به عندما عثر على إنجيل الحق وإنجيل فيليس وإنجيل توما علما بأن فى هذا الإنجيل أمورا مشتركة مع الأناجيل الإزائية– ولكنها لا تحتوى على الأحداث أما إنجيل يعقوب فيروى رواية مفصلة أناجيل الطفولة ويولى اهتماما خاصاً لما جرى لمريم وأحداث ميلاد يسوع– أما أعمال الرسل فغايتها القدوة الحسنة وتتوسع فى أعمال المعجزات وهناك أعمال يوحنا وبولس وأندراوس وهناك عدد كبير من المؤلفات الحائرة يذكرها بعض الآباء ذكرهم للأسفار القانونية فى حين ينظر إليها آخرون على أنها مطالعة مفيدة مثل الرسالة إلى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية ورسالة يعقوب ويهوذا– وهناك أيضا مؤلفات جرت العادة على أن يستشهد بها فى ذلك الوقت على أنها من الكتاب المقدس ومن ثم جزء من القانون لم تستمر طويلا على هذا الحال .

ذلك ما جرى لكتاب الراعى لهرمس والديداكى ورسالة إقليمنطس ورسالة برنابا ورؤيا بطرس، لم تبق زمنا على تلك الحالة بل أخرجت آخر الأمر من القانون.

وكانت الرسالة إلى العبرانيين والرؤيا موضوع أشد المنازعات وأنكر الغرب صحة رسالة العبرانيين وأنكر الشرق صحة الرؤيا ثم قبلتا ببطء شديد هما ورسالتا يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا.

صـ١٢ : أصول العهد الجديد ومخطوطاته موجودة بطول العالم المسيحى وعرضه ويبلغ عدد المخطوطات أكثر من خمسة آلاف مكتوبة كلها باليونانية وليس من بينها مخطوط واحد بخط المؤلف نفسه . أقدمها كتب على ورق البردى وكتب سائرها على الرق، ونسخ العهد الجديد التى وصلت إلينا ليست كلها واحدة. بل يمكن أن نرى فيها فروقا مختلفة بعضها يتناول الشكل والإعراب وبعضها يتناول معنى فقرات بأكملها. وأقدم المخطوطات التى ضمت إلى العهد الجديد تعود إلى القرن الرابع وأجلها المجلد الفاتيكانى. سمى كذلك لأنه محفوظ بالفاتيكان وهذا المخطوط مجهول المصدر وقد أصيب بأضرار وبه العهد الجديد عدا رسالة العبرانيين والرسالة الأولى والثانية لتيموتاوس

والرسالة إلى تيطس وفليمون والرؤيا والمجلد الثاني في الأهمية هو المجلد السينيائي لأنه عثر عليه في سانت كاترين بسيناء وهو محفوظ بالمتحف البريطاني ويوجد في هذا المجلد أيضا رسالة برنابا وجزء من الراعي لهرمس وهما ليسا في القانون.

وهنـــاك ٢٥٠ مخطوط على الرق بنفس الخط وهي أجزاء صغيرة خصوصا أقدمها ويتراوح عمرها ما بين القرن الثالث والحادي عشر.

صـ ١٣: إن نص العهد الجديد قد كتب بين نساخ صلاحهم للعمل متفاوت وما من أحد فيهم معصوم من مختلف الأخطاء، ثم إن بعض النساخ حاولوا أحيانا عن حسن نية أن يصوبوا ما بدا لهم أنه يحتوي على أخطاء أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي فأدخلوا على النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ. وأدى استعمال فقرات من العهد الجديد في إقامة شعائر العبادة إلى إدخال زخارف لفظية لتجميل الطقس أو للتوفيق بين نصوص مختلفة. ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعض فكان النص الذي وصل آخر الامر إلى عصر الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل. والمثل الأعلى لعلم نقد النصوص دراسة الوثائق لكي نقيم نصاً أقرب ما يمكن إلى النص الأول - ولا يرجى بحال من الأحوال الوصول إلى الأصل الأصيل - كما تهدف دراسة النصوص اللاتينية والسريانة والقبطية نفس الهدف وتشمل الرجوع إلى مؤلفات آباء الكنيسة حتى يمكن للعلماء التعرف على أقدمها وإلى النص قبل الترجمات.

صـ ٢٨: مدخل الأناجيل الإزائية:

يقصد بالأناجيل الإزائية. الأناجيل الثلاثة (متى ومرقس ولوقا) أما إنجيل يوحنا فيعتبر جبهة منفصلة وحده فهو يختلف عن هذه الأناجيل اختلافا جوهريا ولا يوضع في مقارنة معها.

وقد وضع مدخل الأناجيل الإزائية الجدول الآتي لعمل حصر ودراسة ظاهرة اشتراك هذه الأناجيل في عبارات معينة وتشابكها بغية الوصول إلى نتائج واستنتاجات عبر هذه الدراسة.

متى	مرقس	لوقا	
٣٣٠	٣٣٠	٣٣٠	جملا مشتركة بينها
١٧٨	١٧٨	-	جملا مشتركة بينها
-	١٠٠	١٠٠	جملا مشتركة بينها
٢٣٠	-	٢٣٠	جملا مشتركة بينها
٣٣٠	٥٣	٥٠٠	جمل مستقلة خاصة بكل منها
١٠٦٨	٦٦١	١١٦٠	المجموع الكلى لكل إنجيل

ويخلص الدارسون من جدول المقارنة السابق إلى نتائج يضعون فيها تصوراتهم لمصادر الأناجيل الإزائية ويصورون ذلك فى الرسم الآتى :

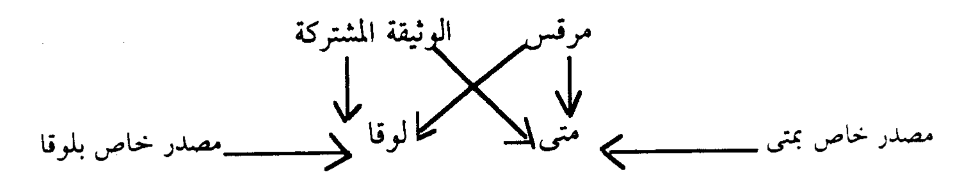

وهذا الرسم معناه أن مرقس كان مصدرا استقى منه كل من متى ولوقا القدر المشترك بينهما هو الجمل الـ ٣٣٠ التى ذكرناها.

وأنه لابد وأن هناك وثيقة مشتركة - استقى كل من متى ولوقا ذلك القدر المشترك بينهما ٢٣٠ جملة.

ولكن هذا يعتبر فى حقيقته مجرد تصور ويمكن وضع تصورات أخرى فيمكن القول مثلا أنه كان هناك أصل واحد لهؤلاء جميعا شفويا أو تحريريا- أخذ كل منهم منه وترك ما كان يروق له أو ما استساغه هو.

ولكن ما هى قصة الوثيقة المشتركة المجهولة وأين هى ؟. لم تحاول الدراسة القاء ضوء كاف على تلك الوثيقة.

مدخل متى :

أما المؤلف فالإنجيل لا يذكر عنه شيئا وتقاليد الكنيسة تنسبه إلى الرسول متى- ولكن البحث فى الإنجيل لا يثبت ذلك الرأى أو يبطله على وجه حاسم . ولما كنا لا نعرف اسم

المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفى ببعض الملامح المرسومة له فى الإنجيل، فهو طويل الباع فى علم الكتاب المقدس والتقاليد اليهودية- يعرف رؤساء شعبه الدينيين، بارع فى فن التعليم يشدد على ما فى تعليمه من نتائج عملية وهى جميعا توافق صفات (يهودى مثقف).

مدخل مرقس :

يقول باباس مطران هيزيوليس أنه تلميذ بطرس فى روما، ويرى مرقيون وايرينا وس أنه كتب إنجيله بعد وفاة بطرس أما قليمنطس السكندرى فيرى أنه قبل وفاة بطرس، والمعتقد الشائع أن مرقس هو رفيق بولس (يوحنا مرقس).

وهناك إجماع على تأليف الإنجيل بعد تدمير نيرون لأورشليم وهو موجه لغير اليهود ففيه شرح دقيق للتقاليد اليهودية.

مدخل لوقا :

كتب ما بين سنة ٨٠، ٩٠م وعلى الطريقة اليونانية فى عمل مقدمة ومنه تم التعرف على شخصية لوقا تلميذ بولس الطبيب وإن كانت معلوماته الطبية لا تزيد عن معلومات الرجل المثقف العادى فى تلك الأيام وهو موجه إلى ثاوفيلس.

مدخل يوحنا :

صـ ٢٨٣: لا شك أن فى إنجيل يوحنا وجه شبه بالفكر اليونانى بكل ما يمت لمعرفة الحق- يدل على ذلك استخدامه لكلمة لوغوس (لوجس) وذلك قد وجه الدراسات إلى فيلون الفيلسوف السكندرى (راجع چينير) فهو الذى حاول أن يصبغ تراث اليهود بالفكر اليونانى ولا يستبعد أن يكون الفكر الفيلونى قد انتشر ولا نستبعد استبعادا مطلقا اسم يوحنا التلميذ غير أن معظم النقاد لا يتبنون هذا الاحتمال فبعضهم يترك اسم المؤلف (كما فعل چينير عندما قال مؤلف مجهول)، ويصفونه بأنه مسيحى كتب باليونانية فى أواخر القرن الأول فى كنيسة من كنائس آسيا ومن المرجح أن الإنجيل كما هو بين أيدينا أصدره بعض تلاميذ المؤلف وأضاف إليه الفصل ٢١ كما أضافوا بعض التعليق أما رواية المرأة الزانية فهناك إجماع على أنها من مرجع مجهول فى زمن لاحق.

مدخل الرؤيا :

صـ ٧٩٦ : لا يأتينا سفر يوحنا بشئ من الإيضاح عن كاتبه– لقد أطلق على نفسه اسم يوحنا ولقب نبى ولم يذكر قط أنه أحد الإثنى عشر.

هنـــاك تقليد كنسى وهو أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا ونسب إليه أيضا الإنجيل الرابع. بيد أنه ليس فى التقليد القديم إجماع على ذلك وقد بقى المصدر الرسولى لسفر الرؤيا عرضة للشك وآراء المفسرين فى عصرنا متشعبة ففيهم من يؤكد أن الاختلاف فى الإنشاء والبيئة والتفكير اللاهوتى يجعل نسبة الرؤيا والإنجيل الرابع إلى كاتب واحد أمرا عسيرا. يخالفهم آخرون يرون أن الرؤيا والإنجيل يرتبطان بتعليم الرسول على يد كتبة ينتمون إلى بيئات إفسس.

وموجز ما كتب عن العهد الجديد فى نقاط :

١– كان مرقيون أول من قدم العهد الجديد سنة ١٦٠ وقال إنه يرجع إلى الرسل أو على الأقل أشخاص تربطهم بالرسل صلات وثيقة.

٢– تدخلت الكنيسة فقبلت بعض الأسفار وأوصت بإبعاد بعضها أثناء إقامة الشعائر وإن سمحت بقراءتها للناس فرادى لحسن تأثيرها ثم بالتدريج عدت منحولة ووسائل نقل الضلال ولكنها تعد ثمينة حسب ما وصلنا منها من وجهة النظر التاريخية ، ومعظمها شبيه وعلى نسق الأناجيل الإزائية.

٣– كان هناك تردد بالنسبة لبعض الأسفار والرسائل وظلت حائرة تقبل تارة وترفض أخرى. ولقى الديداكى ورسالة برنابا قبولا زمنا ما. واحتراما بين الكنائس، وأنكر الغرب صحة رسالة العبرانيين وأنكر الشرق صحة الرؤيا فلم يكن هناك اتفاق تام حول كل الموضوعات.

٤– المخطوط الفاتيكانى مجهول المصدر.

٥– هناك خمسة آلاف مخطوط فى العالم المسيحى ليس بينها واحد بخط مؤلفه وبينها فروق يتراوح حجمها بين الإعراب ومعنى الفقرات بأكملها.

٦– بعض النساخ أضافوا من عندهم تفسيرات لاهوتية خطيرة كلها خطأ كما تم إدخال زخارف لفظية ولم يكونوا بحال معصومين وصلاحهم للعمل متفاوت

وتراكمت الأخطاء حتى وصلت لعصر الطباعة بشكل مثقل بالأخطاء.

٧- لا يرجى بحال الوصول إلى الأصل الأصيل وإن كانت محاولات التصحيح واجبة لتقريب الفجوة قدر الإمكان.

٨- ليس هناك يقين أو إجماع حول أى من شخصيات من كتبوا الأناجيل سوى شخصية لوقا الذى صرح باسمه وكتب مقدمته.

٩- انجيل يوحنا ينقل فكرا يونانيا كان متداولا ونشره فيلون فيلسوف الإسكندرية وكلمة لاجوس تحمل فكرا إغريقيا عن معرفة الحق ، والفصل ٢١ أضيف فى وقت لاحق ورواية المرأة الزانية من مرجع مجهول.

١٠- اعتمدت بعض الأناجيل الإزائية على مصدر مجهول ووثيقة مجهولة لا نعرفها.

١١- أقدم المخطوطات يرجع تاريخها للقرن الرابع .

** ** **

مايكل هارت - الخالدون مائة

١- محمد ﷺ (النص الكامل)

لقد اخترت محمداً ﷺ أول هذه القائمة ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ولهم الحق فى ذلك، ولكن محمدا ﷺ فى التاريخ هو الإنسان الوحيد الذى نجح نجاحا مطلقا على المستوى الدينى والدنيوى، وقد دعا إلى الإسلام وبشر به كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا وبعد ثلاثة عشر قرنا من وفاته فإن أثره ما زال قويا ومتجددا.

وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا فى مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا إلا محمدا ﷺ ـ قد ولد فى سنة ٥٧٠م فى مكة جنوب شبه الجزيرة العربية فى منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدا عن مراكز الحضارة والثقافة والفن.

وقد مات أبوه ﷺ ولم يخرج إلى الوجود وماتت أمه وهو فى السادسة ولم يتحسن وضعه المادى إلا فى الخامسة والعشرين عندما تزوج أرملة غنية وكانت نشأته فى ظروف متواضعة فقد كان لا يقرأ ولا يكتب ولما قارب الأربعين كانت هناك أدلة كبيرة على أنه ذو شخصية فذة بين الناس، وكان أكثر العرب فى ذلك الوقت وثنيين يعبدون الأصنام وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى وكان محمدا على علم بهاتين الديانتين.

وفى الأربعين امتلأ قلبه بأن الله اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس وأمضى ثلاث سنوات يدعو إلى الدين الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس وفى سنة ٦١٣ أذن الله له أن يجهر بالدعوة إلى الدين الجديد فتحول قليلون إلى الإسلام.

وفى سنة ٦٢٢م هاجر إلى المدينة وهى تقع على بعد ٢٠٠ كم من مكة وفى المدينة اكتسب الإسلام مزيدا من القوة واكتسب الرسول عددا من الأنصار فكانت الهجرة نقطة تحول فى حياة الرسول وإذا كان الذين اتبعوه فى مكة قليلون فإن الذين ناصروه فى

المدينة كانوا كثيرين، وبسرعة اكتسب الرسول منعة وقوة وأصبح من أقوى الناس أثرا في قلوب أتباعه وفي السنوات التالية تزايد عدد الأنصار واشتركوا في معارك كبيرة مع أهل مكة من الكفار.

وانتهت كل تلك المعارك بدخول الرسول إلى مكة منتصرا في سنة ٦٣٠م وقبل وفاته بسنتين ونصف شهد الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ولما توفي الرسول كان الإسلام قد انتشر في جنوب شبه الجزيرة العربية وكان البدو مشهورين بشراستهم في القتال وكانوا ممزقين رغم قلة عددهم، ولم يكن لهم قوة أو سطوة عرب الشمال الذين عاشوا في أرض مزروعة لكن الرسول ﷺ استطاع ولأول مرة في التاريخ أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعا إلى الإله الواحد لذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شبه الجزيرة وشملت الإمبراطوريتين الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربي اكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية.

وكان العرب أقل بكثير جداً من هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها. وفي سنة ٦٤٢م انتزع العرب مصر من الإمبراطورية البيزنطية كما سحقوا القوات الفارسية في موقعة القادسية سنة ٦٣٣م . وفي موقعة نينوى سنة ٦٤٢م وهذه الانتصارات الساحقة في عهد الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب لم تكن نهاية الزحف العربي أو المد الإسلامي في العالم ففي سنة ٧١١ اكتسحت القوات الإسلامية شمال أفريقيا حتى المحيط الأطلسي ثم اتجهت القوات الإسلامية نحو جبل طارق وعبروا إلى أوربا. وساد أوربا كلها ذلك الوقت شعور بأن القوات الإسلامية تستطيع أن تستولي على العالم المسيحي كله، ولكنه في سنة ٧٣٢ في موقعة ثور بفرنسا هزمت القوات الإسلامية التي تقدمت إلى قلب فرنسا، ومع ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه ورسوله أن يقيموا إمبراطورية ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الهادي وهي أعظم إمبراطورية في التاريخ حتى اليوم، ففي كل مرة تكتسح هذه القوات بلدا كانت تنشر الإسلام بين الناس، ولم يستقر العرب في البلاد التي غزوها، إذ سرعان ما انفصلت فارس وإن ظلت على إسلامها، وبعد سبعة قرون من الحكم العربي لأسبانياوالمعارك

مستمرة تقدمت نحوها الجيوش المسيحية واستولت عليها وهزم المسلمون.

أما مصر والعراق مهد أقدم حضارتين فى التاريخ فقد انفصلتا ولكنهما بقيتا على الإسلام وكذلك شمال أفريقيا وظلت الديانة الجديدة تتسع على مدى القرون فهناك مئات الملايين من المسلمين فى وسط أفريقيا وباكستان وأندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات وفى قلب القارة الهندية انتشر الإسلام وإن ظل على خلاف مع الديانات الأخرى هناك.

والإسلام مثل الديانات الكبرى له أثره العميق فى حياة المؤمنين به ولذلك فمؤسسوا الديانات الكبرى ودعاتها موجودون فى قائمة المائة الخالدون، وربما بدا غريبا حقا أن يكون محمد على رأس هذه القائمة رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين بينما المسيح هو رقم ٣ وموسى رقم ١٦ ولكن لذلك أسباب تبرر ذلك الاختيار من بينها أن الرسول محمد كان دوره أخطر وأعظم فى نشر الإسلام وتدعيم وإرساء قواعد شريعته مما كان لعيسى عليه السلام فى المسيحية فبالرغم من أن عيسى هو المسئول عن المبادئ الأخلاقية فى المسيحية فالقديس بولس هو الذى أرسى قواعد الشريعة المسيحية والمسئول عن الكثير مما جاء فى العهد الجديد- أما محمد ﷺ فهو المسئول الأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعى والاخلاق والمعاملات بين الناس فى حياتهم الدينية والدنيوية كما أن القرآن الكريم نزل عليه وحده وفى القرآن وجد المسلمون كل ما يحتاجونه فى دنياهم وأخراهم.

والقرآن نزل على الرسول كاملا. وسجلت آياته وهو ما يزال حيا وكان تسجيله فى منتهى الدقة فلم يتغير فيه حرف واحد وليس فى المسيحية شئ من ذلك . فلا يوجد كتاب واحد محكم ودقيق لتعاليم المسيحية مثل القرآن . وكان أثر القرآن على الناس بالغ العمق ولذلك كان أثر محمد على الاسلام أعمق من الاثر الذى تركه عيسى على المسيحية فعلى المستوى الدينى كان أثر محمد عميقافى تاريخ البشرية وكذلك أثر عيسى ولكن على خلاف عيسى كان محمد رجل دنيا فكان زوجا وأبا وكان يعمل فى التجارة ويرعى الغنم وكان يحارب ويصاب فى الحروب ويموت . ولما كان الرسول قوة جبارة يمكن أن يقال أيضا أنه أعظم زعيم سياسى عرفه التاريخ.

وإذا استعرضنا التاريخ نجد أحداثا من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين. فمثلا كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن اسبانيا دون أن يتزعم حركتها الاستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار على أن يجئ غيره فيقوم بنفس الدور ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو العرب وعن امبراطوريتهم الواسعه دون أن يكون هناك محمد (ﷺ) فلم يعرف العالم رجلا بهذه العظمة قبل ذلك . ولم يكن من الممكن أن تتحقق هذه الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به وربما ارتضى بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة كالتي قام بها المغول فى القرن الثالث عشر والفضل فى ذلك يرجع إلى جنكيز خان ، فرغم أن غزوات جنكيز خان كانت أوسع إلا أنها لم تدم طويلا – لذلك كان أثرها أقل عمقا فقد انكمش المغول بعد ذلك وعادوا إلى الرقعة التى كانوا عليها قبل جنكيز خان وليست كذلك غزوات المسلمين فالعرب يمتدون من العراق إلى المغرب وهذا الامتداد يضم دولا عربية لم يوحد الإسلام بينها فقط ولكن وحدت بينها اللغة والتاريخ والحضارة ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن ذلك الإيمان العميق هو الذى حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من اللهجات الغامضة، صحيح أن هناك بعض الخلافات بين الدول العربية – وهذا أمر طبيعى – ولكن هذا يجب ألا ينسينا الوحدة بينها. مثلا لم تشترك إيران المسلمة وأندونيسيا فى حظر البترول على العالم فى سنة ١٩٧٣، ١٩٧٤ ولكننا نجد أن الدول العربية البترولية قد شاركت جميعا فى هذا الحظر– وهذا الموقف العربى الموحد يؤكد لنا أن الغزوات العربية فى القرن السابع لا يزال أثرها بليغا حتى اليوم. فهذا الامتزاج بين الدنيا والدين هو الذى جعلنى أؤمن بأن محمدا ﷺ هو أعظم الشخصيات أثرا فى تاريخ البشرية كلها.

لا أجد ما أعلق به على هذا الكلام سوى أن أشد المسلمين حماسة لم يكن ليجد ألفاظا أشد وقعا أو تحليلا أدق مما قدم الكاتب رغم أنه لم يتخل أبدا عن مسيحيته، فقد سما فوق العصبيات الضيقة والإحن الموروثة وسجل الحقائق بكل الموضوعية العلمية فله منا ومن كل منصف كل تقدير وإعزاز فالأحقاد لا تبنى ولن يصح فى النهاية غير الصحيح ولكننى فقط أبرز ما كتبه فى نقاط وعناصر:

١- نشأ محمد ﷺ فى شبه الجزيرة العربية فى منطقة كانت متخلفة من العالم لم تصلها حضارة بعيدا عن مراكز الفن والعلم والحضارة فلم تصنعه الحضارة ولم تعطه ولكن هو الذى صنع الحضارة فهو الأمى الذى علم الدنيا وصنع التاريخ.

٢- أنه استطاع ولأول مرة فى التاريخ أن يوحد بدو الجزيرة المشتتين وقبائلهم الشرسة التى لم يكن لها تاريخ أو ماضى ويجعلهم صناع حضارة وأصحاب أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ ويملأهم أمنا وإيمانا بالله الواحد بعد أن كانوا أمة وثنية تعبد الأحجار وتتيه فى الظلمات. فبفضل تلك الطاقة الإيمانية الخارقة قهروا أمما أعرق حضارة وأقدم تاريخا وأعظم عددا وعدة. وبالطبع امتصوا الحضارة ولم يدمروها. وكانوا أمناء على التراث. فلم يحاربوا العلم ولا العلماء. وامتدت دولتهم من الهند شرقا حتى المحيط الهادى- وانتشر معهم الإسلام فى كل مكان فى أعماق أفريقيا وجزر أندونيسيا المتفرقة - وحتى بعد انفصال بعض أجزاء الدولة عنها بقى الإسلام رغم اختلاف المصالح السياسية- واحتفظ الجزء الأكبر باللغة العربية لغة القرآن حفاظًا على كتاب ربهم فحفظ لغتهم من لهجات كثيرة غامضة.

٣-اختلف محمد عن المسيح عليه السلام فالمسيح لم يترك (حسب معلومات الكاتب) غير القيم الأخلاقية- وحتى الشريعة وعلم اللاهوت وضعه بولس . وبولس هو الذى نشر المسيحية، أما محمد ﷺ فقد ترك القرآن وفيه كل ما تحتاجه الأمة الشابة من سلوك وأخلاق ومعاملات وشريعة وكل ما يحتاجونه لشئون دينهم ودنياهم.

٤- القرآن الكريم نزل على الرسول وحده وتم تسجيله بكل دقة فلم يتغير فيه حرف وليس للمسيحيين كتاب محكم واحد يضم كل ذلك أو يبلغ تلك الدقة.

٥- كان محمد ﷺ رجل دين ودنيا ونجح نجاحا مطلقا على المستوى الدينى والدنيوى وكان زوجا وأبا وتاجرا وجنديا يحارب ويجرح فهو قوة جبارة ويمكن أن يقال كذلك أنه أعظم سياسى عرفه التاريخ.

٦- لم يكن من الممكن لأحد غيره أن يقود العرب البدو ويصل بهم إلى تلك المنزلة كما أن أثر الإسلام لم ينته أو يتبدد سريعا، كما انتهت بعض الامبراطوريات القديمة فقد حافظ الإسلام على بقائه بعد تشتت الامبراطورية وبقى أثره.

٧- ثبت من موقف الأمة العربية فى٧٣، ٧٤ ما يجمعها من روابط وأواصر فى حرب البترول- فالوحدة بينها تؤكد أن أثر الإسلام قوى ومتجدد بعد أربعة عشر قرنا من الزمان فأثر محمد ﷺ باق ولم يضمحل.

*****

(٣) المسيح عليه السلام

أثر المسيح فى البشرية قوى ضخم ولا أحد يناقش أن يكون وضعه فى قمة هذه القائمة - والسؤال هو كيف أن المسيح وهو صاحب أكثر الأديان انتشارا لم يكن أول هذه القائمة ولا شك أن المسيحية بمرور الوقت أصبحت أكثر الديانات عددا- على كل فليس المهم فى هذه الدراسة أثر الدين فى الناس ولكن أثر أصحاب هذه الديانة فيهم. فالمسيحية تختلف عن الإسلام. فالمسيحية لم يؤسسها شخص واحد وإنما إثنان المسيح وبولس ويجب أن يقتسم شرف إنشائها الرجلان.

فالمسيح عليه السلام قد أرسى المبادئ الأخلاقية وكذلك النظرة الروحية وما يتعلق بالسلوك الإنسانى - أما مبادئ اللاهوت فهى من صنع القديس بولس - فالمسيح هو صاحب الرسالة الروحية ولكن القديس بولس أضاف عبادة المسيح كما أنه ألف جانبا كبيرا من العهد الجديد، وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول الميلادى .

وقد توفى المسيح وهو ما يزال شابا وترك وراءه عددا من الحواريين. وعند وفاته ألف أصحابه طاائفة يهودية صغيرة- ولكن القديس بولس هو الذى جعل هذه الفئة الصغيرة هيئة كبيرة تشطة شملت اليهود وغير اليهود- حتى أصبحت المسيحية واحدة من الديانات الكبرى ولهذه الأسباب فإن عددا من الباحثين يرون أن مؤسس المسيحية هو القديس بولس وليس المسيح- وهذا يؤدى بنا أن نضع بولس قبل المسيح وليس واضحا ما كان سيؤول إليه أمر المسيحية لولا القديس بولس. ولكن من المؤكد أنه لا مسيحية بغير المسيح، وإن كان ليس من المنطق أن يكون المسيح عليه السلام مسئولا عن ما أضافته الكنيسة ورجالها إلى الدين المسيحى، فكثير مما أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه مثل الحروب بين المسيحيين (يقصد عملية التصفيةالجسدية أيام قسطنطين لفئات اليعاقبةوالنصارى) وذبح المسيحية لليهود يتناقض تناقضا تاما مع ما دعا إليه المسيح.

وإذا كانت العلوم قد تطورت فى العالم الغربى المسيحى فليس من المنطق أن يقال أن المسيحية هي المسئولة عن نهضة العلوم فى العشرين قرنا الأخيرة، فلم نجد من شروح رجال الدين المسيحى من يقول أن المسيحية تدعوا إلى التأمل فى الكون أو التفكير العلمى ومن المؤكد أن تحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية قد صاحبه فى نفس الوقت انحطاط رهيب فى مستوى التكنولوجيا والاهتمام بالعلم- أما نهضة أوربا فى العلوم فترجع فى الحقيقة إلى أن هناك شيئا ما فى التراث الفكرى تناسب الأسلوب العلمى فى التفكير وهو شئ ليس من تعاليم المسيح وإنما هو التفكير العلمى الإغريقى ممثلا فى هندسة إقليدس وفلسفة أرسطو، ولم ينتعش العلم فى أوربا إبان المد المسيحى ولكن فى عصر النهضة (الرينساس) التي قدمت فيها أوربا كل ما سبق المسيحية من تراث إنسانى.

أما قصة السيد المسيح فهى معروفة كما وردت فى العهد الجديد، وأكثر المعلومات عن السيد المسيح ليست مؤكدة وإن كان يقال أنه ولد قبل السنة التى أجمع عليها رجاله بست سنوات، ونحن لسنا على يقين من إسمه الحقيقى والأغلب أنه الاسم اليهودى المعروف يشوع، وحتى سنة وفاته التى أجمع عليها حواريوه ليست مؤكدة كما أن المسيح لم يترك ورقة مكتوبة وكل ما لدينا من معلومات عن حياته إنما هو مستمد من العهد الجديد .

ومما يؤسف له حقا أن الأناجيل يناقض بعضها بعضا، فنجد فى إنجيل متى تناقضا مع إنجيل لوقا فى إيراد الكلمات الأخيرة للسيد المسيح وإن كانت معظم الكلمات مأخوذة حرفيا من العهد القديم وليس من قبيل الصدفة أن يكون للسيد المسيح كلمات مقتبسة من التوراة فمؤسس المسيحية يهودى مخلص وطالما أشير إلى أن السيد المسيح يشبه من وجوه كثيرة أنبياء اليهودالذين جاءوا فى التوراة كما أنه تأثر بهم بعمق.

ويسوع كالأنبياء عظيم الأثر فيمن حوله- وكان غاية فى الشجاعة وهو على خلاف محمد لم يمارس السياسة ولا السلطة فلم يكن له دور سياسى فى حياته ولا كان للمسيحية من بعده أثر سياسى على الدولة- ولو حققت مبادئ المسيح وطبقت ما ترددت لحظة فى أن أضع المسيح أول القائمة- ولكن الحقيقة أنها لم تلق رواجا واسعا

بين الناس- ولا هى مقبولة - وأكثر المسيحيين يرون أن الدعوة لكى نحب أعداءنا إسراف فى المثالية لا يمكن تطبيقه إلا فى عالم خيالى - ونحن عادة لا نطبق هذا المبدأ ولا نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك ولا ننصح أطفالنا أن يسيروا على هداه- وكذلك معظم تعاليم السيد المسيح ظلت محيرة- كما أنها نصائح لا يطبقها كثيرون.

أحب أن أوجز ما كتبه الكاتب عن المسيح فينقسم إلى شقين (شق عن المسيحية وشق عن المسيح ذاته).

فعن المسيحية قال :

١- صاحب تحول الامبراطورية الرومانية إلى المسيحية انحطاط رهيب فى مستوى التكنولوچيا والعلم.

٢- قصة السيد المسيح وحياته لا نعرف لها مصدرا غير العهد الجديد - وأكثر المعلومات عن حياته ليست مؤكدة سواء إسمه أو سنة مولده أو سنة وفاته كما تناقض متى ولوقا حول آخر جملة نطق بها المسيح.

٣- الكثير مما أضافته الكنيسة يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه، فمثلا الحروب بين المسيحيين (إبادة اليعاقبة والنصارى واتباع أريوس وإدانة كل من احتفظ بشئ من كتابات أريوس بالهرطقةوتعريضه للإعدا أمام محاكم التفتيش).

أما عن المسيح فقد قدم سيرة المسيح فى شكل مقارنة مع بولس فقال :

١- حصر المسيح وتلاميذه الدعوة فى إطار المجتمع اليهودى الضيق فلم ينجح بينما حول بولس تلك الجماعة الصغيرة إلى جماعة نشطة وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول وحول المسيحية إلى دين من أوسع الدبانات انتشارا.

٢- لم يضع المسيح سوى القواعد الأخلاقية والروحية للمسيحية أما بولس فهو واضع شريعتها وأيديولوچيتها وأسس علم اللاهوت وفكره وأضاف تأليه المسيح أما القيم الأخلاقية التى وضعها المسيح (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر وباركوا لأعينكم) فهذه لم تلقى رواجا بين المسيحيين فمعظمهم يعتبرون ذلك إسراف فى المثالية لا يمكن تطبيقه إلا فى عالم خيالى وهم لا يطبقونها ولا ينصحون أطفالهم بالسير على هداها.

٣- لم يترك المسيح ورقةمكتوبة بينما وضع بولس ١٤ سفر من بين ٢٧ سفرا فى العهد الجديد فهو مؤسس المسيحية ويستحق مكانة سابقة للمسيح ذاته فى رأى كثير من المؤرخين ، وباختصار أقول إن الكاتب شأنه شأن الكثيرين غيره قد سحب البساط تماما من تحت المسيح ولم يترك له غير الآمانى الطيبة لو طبقت مبادئه لوضعه على رأس القائمه لكن بضاعته كاسدةونجاحه محدود وكال الثناء العاطر كله لبولس مؤسس المسيحية وفيلسوفها وناشر لوائها . . . ومن عجب الدنيا أن أنصب نفسى مدافعا عن المسيح بعد أن لقى المسيح من مؤرخى المسيحية جزاء سنمار فأقول . . .

١-اذا كانت الوثائق التى وصلتنا كلهاتقريبا تعود إلى القرن الرابع أيام قسطنطين ودمرت الكنيسه كل ما كتب فى القرون الثلاثه الاولى وعدتة أبوكريفا -وكان مصدر المعرفة الوحيد هو العهد الجديد وهو مصدر يقول عنه الكاتب متناقض وغير مؤكد . فمن أين لنا كشف الحقيقة . .

٢-رغم ذلك فإن الفلتات التى وصلتنا فى أعمال تدل على أن المسيحية بدأت انتشارها فى السامرة قبل بولس ودخوله إلى المسيحية وكان بولس يطارد المسيحين فى طريق دمشق ليجرهم إلى مقصلة اليهود عندما غير مساره نحو المسيحية فهذا يعني أفلات المسيحية من قبضة اليهود وبدء الانتشار الكبير . . .

٣-لم يكن بولس زعيم التلاميذ ولم يحولهم إلى جماعه نشطة بل كان على خلاف دائم معهم ولم يكن ناجحا النجاح الذى يصوره لنا الكاتب فإفلاسه واضح ومراتبه موجودة كما بينتها فى الفصل الخاص ببولس.

٤- ظلت المسيحية دين الأقلية فى المجتمع الرومانى فى القرون الثلاثة الأولى وصدر مرسوم التسامح معهم سنة ٣١١ واعترف بأن المسيحية أحد الديانات مثل اليهودية آنذاك والتى كانت معترفا بها قبل المسيحية.

٥- لم تنتشر المسيحية الانتشار الكبير إذا على يد بولس بل بقيت دين أقلية محدودة بعده بقرون وإنما جاء التغيير أيام قسطنطين عندما أطلق يد أنصار بولس وانحاز لهم ضد آريوس بكل ثقله، وقبلها أباد الوثنية.

٦- إذا كان الكاتب يرى أن الفضل يرجع لبولس فى تدوين ١٤ فصلا من ٢٧

سفرا، فإن هذا من وجهة نظرنا يعكس أمرا آخر وله منظور آخر فهذا يعنى أن الكنيسة تحيزت تحيزا مفرطا لبولس فما معنى أن تختار الكنيسة من بين ٤٠ إنجيلا ومائة رسالة تختار منها نصيب الأسد لبولس وتهمل غيره من الرسل، فما معنى أن يكون بالعهد الجديد ١٤ رسالة لبولس ، وأعمال رسل لتلميذه لوقا وإنجيلين لتلاميذ بولس وهما إنجيل لوقا وإنجيل مرقس ثم إنجيل مجهول الأصل هو إنجيل يوحنا الذى يتفق فكره مع الفكر البولسى وإنجيل غير معروف هو إنجيل متى.

ما معنى أن يحتكر بولس العهد الجديد والمسيحية وتنحاز له الكنيسة أيام قسطنطين فهل هذا عدل؟ وما ذنب الباقين الذين رفضت كتاباتهم ورفضتها الكنيسة وهى كتب قيمة باعتراف من قرأوا الفتات منها.

٧- هل إضافة تأليه المسيح كما بين كل من أرخوا للمسيحية من جانب بولس تحتسب له أم عليه وبأى حق يضيف للمسيح شيئا لم يطلبه ولا يرضاه ؟ وإذا كانت الوثائق قد ضيعت وضاع حق المسيح فى الدفاع عن نفسه فلا أقل من أن أقول لكم يا قوم المسيح رفقا بالمسيح.

* * *

٦- بولس

يكاد الحديث عن بولس لا يأتي بجديد، فمعظمه ذكر خلال الحديث عن المسيح ... فاختصر الحديث هنا ...

ترجع عظمة القديس بولس إلى تبشيره بالمسيحية وإلى تطويره لأصول الشريعة وتدوينه لأسفاره الأربعة عشر ومشاركته فى العهد الجديد ومن أهم أفكاره أن المسيح لم يكن نبيا فقط بل كان إلها حقا. وفى تعاليمه عن المرأة ألا تتسلط على الرجل وتخضع له فى سكون وهو كان يردد في الحقيقة شائعا فالمسيح لم يشر بشيء من هذا وبولس هو المسئول عن تأليه المسيح ويرى الكثير أنه مؤسس المسيحية وليس السيد المسيح.

* * *

٢٦ - قسطنطين

أول امبراطور رومانى مسيحى وبسبب اعتناقه المسيحية وتشجيعه لها انتشرت وكان صاحب أعظم دور فى تحويل المسيحية من مجرد عقيدة أقلية تلقى الاضطهاد إلى دين رسمى يسيطر على الملايين وكان تأييده للمسيحية ليس نابعا من التسامح بل نوع من التعصب الشديد فيمكن أن يقال أنه ببداية عصره بدأ الاضطهاد العنيف لليهود والذى استمر قرونا عدة فى أوربا، وقسطنطين لم يجعل المسيحية دينا رسميا فقط بل شجع على انتشارها وفى عصره كان التحول إلى المسيحية كافيا للترقّيه فى الوظائف الحكومية ولذلك اكتسبت الكنيسة فى عهده سلطات هائلة وأصبح لها حصانة أيضا.

وقد لعب قسطنطين دورا هاما فى تاريخ الكنيسة فقد تدخل فى الخلاف الدنى بين آريوس واثناسيوس (لصالح اثناسيوس) وعقد مجلسا كنسيا سنة ٣٢٢ وفى هذا المجلس كان للإمبراطور دوره الكبير وحسم الخلاف بين الطرفين (لصاحل اثناسيوس) وأصبح قراره أساس الكنيسةالأرثوذكسية.

ولم يأخذ قسطنطين من المسيحية أسمى معانيها (التسامح الدينى) فقد كان رجلا قاسيا عنيفا دمويا ليس مع أعدائه فقط ولكن مع أصدقائه وأهله أيضا.

فلأسباب لا نعلمها أعدم زوجته وأكبر أبنائه سنة ٣٢٦ ومن المؤكد أنه عجل بانتشار المسيحية فتحولت من إيمان الأقلية سرا إلى عقيدة الغالبية فى قرن واحد.

١- أقر الكاتب أن مساندة قسطنطين للمسيحية كان تعصبا وليس تسامحا.

٢- أنه تدخل فى توجيه الكنيسة والعقيدة بشكل مباشر.

٣- أنه بدأ حملات الاضطهاد لليهود، وما لم يقله إبادته للوثنية ثم لليعاقبة.

٤- كان رجلا دمويا ليس مع أعدائه فقط بل مع أهله أيضا فأعدم زوجته وأكبر أبنائه لأسباب مجهولة.

٥- هو الذى حول المسيحية من دين الأقلية سرا لدين رسمى للملايين علنا.

***

اساليب لا نرتضيها
أو نقبل التعامل معها

بينما كان القس الأمريكي سوجارت يحاور أحمد ديدات الداعية الأفريقي انبري يحكى هذه القصة [بينما اثنان يتحاوران مسلم ومسيحى فإذا بالمسيحى يقول للمسلم: سآتيك بمريض إن استطعت أن تشفيه باسم محمد صدقتك وإن لم تستطع شفيته أنا باسم المسيح، وأتوا بالمريض وقال له المسلم باسم محمد قم - فلم يقم - ثم قال المسيحى له قم باسم المسيح فقام معافى] وضج الحاضرون من أصحاب سوجارت بالتصفيق.

من قال أننا نحن المسلمين نستشفى باسم محمد ونقول هذا للمريض؟ الشافى وحده هو الله، ونحن لا نستشفى باسم ولى أو نبى وإنما نوجه النداء لله وحده، وأمرنا رسول الله ﷺ أن نلجأ للطب فالله عز وجل لم يخلق داء إلا وخلق له دواء .. كما قال الرسول ﷺ فإن طلبنا من الله الشفاء فإنه يأتى من الله إن أراد حينما يريد ويسخر لذلك الأسباب- وقد يختار لنا الصبر ويجزينا على ذلك فالمرض ابتلاء- ليس من حقنا أن نحدد لله موعدا للشفاء.، ذلك ما نحن عليه- من يضمن صحة تلك الرواية ؟.

لو أن ذلك صحيح وأن اسم المسيح يكفى لدفع الأمراض لأغلق المسيحيون المستشفيات ولما احتاجوا للطب، ولما مات أحد بابوات روما يوما بمرض الزغطة وهو مرض تافه، كيف مات وأعيته الحيل ، كيف وهو يوزع الشفاء على الناس؟ كيف كان المريض الذى تحدث عنه سوجارت جاهزا لأداء هذا الدور؟. أم أنه أتقن الدور؟

دعوا الأوهام وخداع السذج من الناس فتلك حيلة العاجزين- وتعاملوا مع الناس بالمنطق والإقناع.

قصص وكتيبات توزع هنا وهناك عن معجزات البابا فلان والبابا علان- شفى فلانا المسلم وفلانا المسيحى .. وغير ذلك ولا سند لهم سوى رصيدهم الكبير من تصديق جماهيرهم ومن يتناولون هذه القصص بإيمان عجيب.

وفى كتاب المستشار الطهطاوى عن المسيحية كشف ما وراء الكثير من تلك القصص من تكنولوچيا .. فى بعض الأحيان نحن لسنى حواة - بل دعاة - ندعوا إلى الله بالمنطق والحجة الدامغة فالعقل مناط التكليف والمعجزات للأنبياء وليست نهبا لكل البشر، « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول » .

ما أكثر العرافين ومدعى الطب وصناع الشفاء وكثير منهم يطاردهم القانون.

وما أكثر ما يندفع أصحاب الأمراض المزمنة الميئوس منها ومن الذين ألم بهم الإحباط للتمسك بقشة وسط الأمواج والسير وراء الأوهام، ولكن ما أخطر المتاهات وما أضرها على العقل والدين.ما أشد حاجتنا لكى نفتح أعيننا وأبصارنا حتى لا نسقط فى فخاخ المخادعين.

كنت أزور صديقا لى فحكى لى قصة شاهدها. قال لى: « كنت أجلس عند صاحب عمل مسيحى فجاء رجل أعمى يقوده إبنه- وحكى الرجل : دلنى فلان وفلان أن القسيس فلان يشفى المرضى- فذهبت إليه- ورفع الصليب ومس وجهى وقال لى. هل تؤمن بأن الصليب يشفيك وكان لابد بالطبع من الرد بالإيجاب، ثم تلا الطقوس وانتظرت ولم يأت الشفاء ». بقى الأعمى كما هو وعاد بعدها بغير شئ، خسر دينه كما خسر بصره فلم يرجع منهما بشئ.

وفسر لى صديقى تلك الحالة فقال: إن الرجل كان مدمن خمر وشرب مرة كحولا إيثيليا، ومن خصائص هذا الكحول أنه يدمر مركز الأبصار فى المخ وهذه حالة ميئوس منها ولا علاج لها، وهكذا أصبح الرجل سلعة للوهم بلا تعقل.

قصة أخرى حدثت لى.

بينما كنت أقوم بتصوير بعض أوراقى ، ونظرا لغرابة موضوع بحتى ظنتنى سيدة محجبة مسيحيا فقالت لى: هل صحيح أن القسس عندكم يعالجون المشاكل الاجتماعية فإن بينى وبين زوجى مشاكل معقدة وأوصتنى زميلاتى المسيحيات أن أذهب للقسيس فلان ، فذهبت إليه ولكن قبل دخولى إليه سمعت من زميلتى التى سبقتنى صرخة قوية ففزعت ورفضت الدخول، والغريب أنها تعمل بأحدى الكليات قلت لها دون أن أكشف عن شخصى- تذرعى بالحكمة والعقل فى علاج مشاكلك واستعينى بالمخلصين

من الأهل واسألى الله العون ودعى الأوهام.

وثالثة :

كنت أتحدث مع زميل لى مسلم فقلت له إننا نؤمن بأن أجساد الأنبياء لا تأكلها الأرض، فتدخل زميل مسيحى كان بجوارنا فى الحديث وقال- هذا صحيح - فإن القديس فلان بسيناء مات منذ ألف سنة وهو سليم الجسد حتى أنهم أحيانا يجلسونه على كرسى وأحيانا يسلم على الناس الوافدين.

المهم أنه كان يحكى القصة بهالة عجيبة من التصديق حتى أصاب زميلى المسلم بالذهول- فقال لى بعدها: هل من الممكن أن يحدث هذا ... قلت له: هل تعرف القديس الذى يذكره شخصيا ؟ وإذا جاء راهب مجهول وحل محله على الكرسى هل تعرف الفرق ؟ قال لا ... وهنا بدأت الصورة تتضح وقال لى هذا هو التفسير المنطقى الوحيد. والعجيب أن زميلى صاحب القصة جامعى ومدرس. ولا أريد أن أسترسل فلا شك أننا جميعا نصادف مثل تلك القصص فى حياتنا ولست أعفى بعض المسلمين من مثل تلك القصص أقصد بعض المتصوفة الذين خدعوابالوهم أو يروجون لصناديق النذور التى يتعايش منها الكثيرون. وانزلق كثيرون فى هذا الطريق ويتبادلون كتبا صفراء عن معجزات السيد البدوى- وسيدى إبراهيم الدسوقى وغيرهم ومشايخ الصوفية. وإذا كان الإسلام يأمرنا بالتحرى حول صحة ما يروى عن رسول الله ﷺ من حديث وتحقيق السند فما بالك بما ترويه الجماهير بغير سند أو تحقيق ؟.

كنت فى صحن الأزهر وجامعته، أكبر جامعاتنا وأقدمها فرأيت رجلا يتوسط حلقه يلقى حديثا فظننته يلقى علما فاستمعت إليه فإذا به يتحدث عن الغيب ومعناه وسيدنا الخضر، ثم قال كان ابنى مريضا زمنا طويلا ثم رأيت فى حلم أننى أزور سيدى إبراهيم الدسوقى وآخذ كأسا من أحد السقاة وأسقى ابنى، فاستيقظت ولبيت النداء وذهبت إلى دسوق وهناك وجدت رجلا يشبه الذى رأيته فى الحلم يمسك بكأس غاية فى القذارة. ومع ذلك أخذت الكأس وسقيت ابنى فشفى بإذن الله.

قلت للرجل فى مرارة: إذا كان لديك حديث موثق لرسول الله ﷺ أو فقه فى الدين عن عالم جليل فاحك لنا أما أحلامك الخاصة فهذه ليست سندا من أسانيد الدين لسنا ملزمين بتصديقه، هى تخصك أنت وحدك وليست مرجعا لأحد وانضم لى عدد من الجالسين كانوا صامتين، وأصاب الرجل الحرج فقام وانصرف وحمدت الله على ذلك.

ومرة أخرى حكى لى أحد أقاربى وهو ووالده من أنصار الشيخ الراضى، حكى لى يقول: كنت فى مسجد الشيخ الكبير أتأمل صورته المعلقة على الجدار فإذا بشيخ يربت على كتفى ويمد يده بالسلام فتأملت الرجل وتحسست يده ثم تأملت الصورة وأجلت بصرى بين الرجل والصورة فإذا هما شئ واحد فهرولت خارج المسجد وأنا أصرخ وأقول: الشيخ حضر يا جماعة الشيخ حضر .. واندفع عدد من الناس إلى داخل المسجد وبحثوا ولم يجدوا أحدا.

وحكى والده قال: كنت فى مستشفى أجريت عملية جراحية بسبب تمزق أصاب صدرى وأمرنى الأطباء بعدم مغادرة السرير ومرة وجدت رجلا يزورنى فتأملته فإذا هو الشيخ الكبير ومس صدرى ثم أقفل راجعا فقمت من سريرى وتبعته ولكن الأطباء فزعوا لمغادرتى السرير وأسرعوا يفحصون الجرح فإذا به سليم معافى، قلت لصاحبى هل يبعث الأموات فى دنيانا.

قال: لا.

قلت: هل عاد أحد الأنبياء بعد موته ؟.

قال: لا.

قلت: فمن هو الشيخ الراضى حتى يأتى بما لم يأت به الأنبياء.

قال: فما تفسيرك لما حدث.

قلت: إما أن يكون الشخص الغريب شخص حقيقى أضاف ما عندك من الوهم عليه وقربه من صورة الشيخ وخاصة أن الشخص الواحد إذا أخذت له صور من زوايا مختلفة بدا كأن شخص آخر ، فمن الصعب تخيل صاحب الصورة إن لم تكن تعرفه شخصيا قبل ذلك. وإنه اختفى فى ظروف طبيعية عائدا من حيث جاء وإما أن يكون جنا أو شيطانا تلبس بصورة الشيخ مثلا، وهذه قدرة أعطاها الله عز وجل للجن يأخذون صورة

من شاء ومن البشر وقد رأى بعض الصحابة أيام رسول الله ﷺ جنا أو شيطانا فربطوه في أحد أعمدة المسجد فترة ما والشيطان (وهو أحد الجن) وقبيله من مصلحتهم أن يضلوا البشر ويزرعوا فى قلوبهم الخرافات ويدفعوهم وراء المضللين، تلك بضاعتهم منذ آدم عليه السلام، هذان احتمالان لا ثالث لهما.

إن ما يحكيه بعض المتصوفة حول الشريعة والحقيقة والعلم اللدنى- شئ يمس الدين فى جوهره - فنحن فى نظرهم نتبع الشريعة ومعناها حديث رسول الله ﷺ والفقه أما هم فلديهم الحقيقة- أو علم الحقيقة فصلتهم بالله عز وجل تعطى أولياءهم علما لدنياً- هذا القول يمثل خطورة على الدين فنحن لا نعلم عن الدين إلا ما جاء عن رسول الله ﷺ فى حديث أو آية أو تفسير أما هم فيدعون لأنفسهم منزلة خاصة- هذا الأمر غاية فى الخطورة وليس من مصلحتنا تشجيعه.

وفى الختام أقول المعجزات للأنبياء وهبها الله عز وجل لهم ليثبت للناس صدق ما أتوا به من رسالة أما نحن فليس أمامنا سوى اتباع الرسول لا منافسته فى معجزاته فليس لنا فى ذلك من حق ...

لا شافى إلا الله والوقت متروك له سبحانه- الداعية لا سبيل أمامه سوى الإقناع والحجة والله يهدى من يشاء.

نحن لا نتاجر بأحاسيس الناس ولا سلطان لنا فوق سلطان البشر والله ولينا جميعا ومولانا وهو القادر وحده على كل شئ هذه سبيلنا والله يهدى من يشاء إلى طريق مستقيم.

* * *

خاتمة

ما أكثر الكتب والمراجع التى يمكن أن يرجع إليهـا باحث في موضوع خطير كهذا تعد بالمئات والألوف ...

ولكننى حاولت جهدى والله يعلم أن أتفادي الاعتماد على هذا المرجع أو ذاك.

فقد يقال هذا مسلم – وما يقوله المسلمون ليس بمنصف فى هذا الموضوع.

أو يقال هذا مسيحى ملحد ومنـحرف لا يجوز الاستدلال برأيه وهو لا يمثل الأتجاه المستقيم

فما رأيكم لو طرحنا ذلك كله جـانبا وحاولنا أن نستقرى الكتـاب ذاته ونسأله عما بداخلة من أسرار ونستشف ما وراءه من كنوز؟

حاولت جهـدى أن يكون الكتاب هو مرجعى الأول والأخيـر واجعل تقديم النص هو أهم أسانيدى.

ولو لم أستطع سوى شد القارىء للكتاب ونصوصه وأدعوه لقراءته مرات لكفاني ذلك.

فلنحاول أن نكشف الحجب ونرفع الضباب الذى يحـجب العقول والضمائر حتى نقرأ كل شيء ونتاوله بعقل مفتوح .

ونواجة أنفسنا بأنفسنا قـبل أن يأتى يوم لامرد له من الله يوم يضرب الله على الأفواه فتـسكت فطالما جـادلت بالباطل ثم يـسأل ﴿**وما كنتم تستـترون أن يشهد عليكم سمعكم ولاأبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرديكم فأصبحتم من الخاسرين**﴾ فصلت

سيـسأل الله القلوب بما وعـت والأرض بما شهـدت ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهـدا أرجلهم بما كانوا يكسبون**) س. يوم إذا استـطاع الإنسان أن يكذب على الدنيا فلن يستطيع أن يكذب فيه علي الله–

﴿**يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾.

فليغفر الله لنا جميعا ويهدينا إلى طريق الحق وإلى الطريق المستقيم

فهرس
العهد الجديد

* * *